رسالة الغفران

بين التلميح والتصريح

دكتور

فوزي محمد أمين

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - إسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/مصطفى الصاوى الجوينى

الاسكندرية

رسالة الغفران

بين التلميح والتصريح

دكتور

فوزي محمد أمين

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - إسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

صدق الله العظيم

تقديـــم

ليس هناك خلاف على أن « رسالة الغفران » من أهم آثار أبى العلاء وأغناها ، رأى فيها القدماء دليلاً على تمكن أبى العلاء من الأدب واطلاعه فقال الصفدى فى الغيث المعجم : « ومن وقف على كلام أبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران فى ذينك البيتين للنمر بن تولب :

ألمّ بصحبتى وهم هجوعٌ خيالٌ طارق من أُمّ حصن
لها ما تشتهى عسلٌ مُصَفًّى متى شاءتْ وحُوَّارَى بسمن

وكيف غير القوافى منها ، ونزّلها على سائر حروف المعجم ــ خلا حرف الطاء ــ علم تمكن أبى العلاء من الأدب واطلاعه »[1] حتى أولئك الذين تحاملوا على أبى العلاء ، ورموه بسوء المعتقد ، ورأوا فيما صوره من رحلة الغفران مزدكة واستخفافاً ، لم يكتموا إعجابهم بما تومىء إليه من مقدرة أبى العلاء الأدبية . يقول الذهبى وهو واحد من أولئك المتحاملين :

« له (رسالة الغفران) فى مجلد ، قد احتوت على مزدكة واستخفاف وفيها أدب كثير »[2] .

★ ★ ★

وفى العصر الحديث شغلت رسالة الغفران دارسين من الشرق والغرب ، وتباينت زوايا النظر ، وسبل المعالجة ، فبينما شغل فريق بالبناء الفنى وراح يتلمس ما فيه من تفرد أو قصور ، شغل فريق آخر بما حوته الرسالة من آراء نقدية ولغوية كانت ــ فى نظرهم ــ جديرة بالدرس .

(١) تعريف القدماء بأبى العلاء ص ٤٨٥ .
(٢) تعريف القدماء بأبى العلاء ص ١٨٩ .

وفى مقدمة الفريق الأول يأتى الدكتور طه حسين حيث تحدث عن رسالة الغفران فى بحثه الذى قدمه إلى الجامعة المصرية سنة ١٩١٤ ، فلفت إلى ما فيها من سخرية خفية غير أنه رأى أن أبا العلاء لم يخترع فى رسالته شيئاً كثيراً ، وأنه أخطأ مواضع من الخيال كان حقه ألا يخطئها ، وأوقع الخلاف والمهاترة بين أهل الجنة[١] .

ثم جاءت الدكتورة عائشة عبد الرحمن ــ وكان لها الفضل فى إخراج نص الغفران محققاً ــ فكتبت دراسة نقدية حول غفران أبى العلاء،ونبهت أيضاً إلى ما فى الغفران من سخرية لاذعة ، وراحت تتلمس وشائج بين رحلة الغفران وشخصية أبى العلاء وكأن الغفران تعويض خيالى فيه الحركة والانطلاق واللذائذ والمتع ، وفيه قبل كل ذلك البصر، وكل أولئك حرم منه أبو العلاء فى حياته . خرجت الطبعة الأولى من هذه الدراسة فى سنة ١٩٥٤ م ، وفى سنة ١٩٧٢ م قدمت الدكتورة عائشة دراسة أخرى تحت عنوان « جديد فى رسالة الغفران » رأت فيها أن الغفران محاولة مسرحية رائدة فى الأدب العربى تصحح ما شاع من حداثة عهدنا بالأدب المسرحى ، وعلى هذا فقد قدمت نص الغفران ممسرحاً قام فيه الحوار مقام السرد والحكاية[٢] .

هذا فى الشرق ، أما فى الغرب فقد راح الدارسون يلتمسون أثر غفران أبى العلاء فى إبداعات أدبائهم ، ولعل أبرز دراسة فى هذا المجال هى دراسة المستشرق الأسبانى « القس ميجويل أسيد بلاثيوس » الذى رأى تأثر دانتى بأبى العلاء ، وأن كوميديا دانتى الإلهية اعتمدت على أصول إسلامية من بينها الغفران .

وقد لقى رأى بلاثيوس رواجاً لدى دارسى الغرب ، وكان حجة رددها دارسو العرب فى مجال فضل الأدب العربى وسبقه ، وكانوا فى ذلك على حق .

(١) تجديد ذكرى أبى العلاء ص ٢٢٠ وما بعدها .

أما الفريق الثانى الذى شغل بما حوته رسالة الغفران من آراء نقدية ولغوية فيأتى فى مقدمته الدكتور أمجد الطرابلسى ودراسته « النقد واللغة فى رسالة الغفران » وهى محاضرات ألقاها على طلابه فى المدة من سنة ١٩٤٩ إلى ١٩٥١ . وواضح منحى هذه الدراسة من العنوان الذى وضع لها ، غير أن ما يهمنا هنا هو أن نسجل ما زعمه الدكتور أمجد الطرابلسى من أن جوهر رسالة الغفران ليس إلا هذه القضايا النقديةواللغوية، وأن أبا العلاء لم يقصد من البناء الفنى إلا أن يكون مجرد إطار تعرض من خلاله هذه القضايا ، يقول الدكتور أمجد .

« قد لا يبتعد أحدنا عن الصواب إذا قلب النظرية رأساً على عقب ، مفترضاً أن أبا العلاء إنما قصد فى (رسالة الغفران) إلى كتابة رسالة جوابية فى النقد اللغوى والأدبى ، وفى الكلام على الزندقة والزنادقة ، أما الأسلوب القصصى التهكمى الذى لجأ إليه ، والإطار السماوى الهزلى الساحر الذى ابتكره لقصته ، فهما بالنسبة إلينا من الأشياء الجميلة الرائعة ، ولكنهما قد لا يكونان فى نظر المعرى سوى أمور تتصل بالشكل والإطار دون أن تغير من جوهر الموضوع شيئاً . ولا نحسب أن المعرى ومعاصريه والذين جاءوا بعده قبل عصرنا قد استشفوا غير هذا وراء رسالة الغفران »[١] .

* * *

وتضاف إلى هذه الدراسات شذرات وردت هنا وهناك ، فى ثنايا دراسات أوسع كالذى كتبه الدكتور شوقى ضيف فى « عصر الدول والإمارات » ، والذى كتبه الدكتور محمد زغلول سلام فى « الأدب فى مصر الفاطمية »[٢] .

* * *

(١) النقد واللغة فى رسالة الغفران ط الجامعة السورية ص ٦ .

(٢) قدلاتعنينا هنا الدراسات اللغوية البحتة التى قامت حول نص الغفران مثل دراسة الدكتور حسنى حبيل المخطوطة بجامعة الإسكندرية ، ودراسة الدكتورة فاطمة الجامعى . فهذا حقل آخر من حقول مدرسة له اهتماماته وقضاياه .

وإذا كان لنا من تعقيب على كل هذه الدراسات ، فهو أنها وقفت عند ظاهر نص الغفران ، ولم تفطن إلى الدلالة الباطنة وراءه ، وإلى ما اصطنعه أبو العلاء فى غفرانه من أساليب التلويح والتعريض والإيماء بحيث يبدو النص الظاهر مجرد « تورية » واسعة لنص آخر باطنى .

* * *

وإذا كنا فى هذا البحث نقدم قراءة جديدة للنص ، تكشف بعض حجبه ، وتزيح ألواناً من سدوله الكثيفة، فإن ذلك لم يتح لنا إلا بعد أن وضعنا نص الغفران فى سياقه الصحيح كما نعتقد .

ودوافع كتابة النص أو مناسبته تأتى فى مقدمة هذا السياق ، وكانت جوانب منها ما تزال خافية ، منها طبيعة علاقة كل من أبى العلاء وابن القارح بالوزير المغربى وآله،وقد حاولنا استجلاء هذه العلاقة فكانت ضوءاً كاشفاً فسر لنا كثيراً مما ران على النص من غموض .

على أن فهمنا للسياق لم يقف عند هذه الدوافع وإنما تعداها إلى عصر أبى العلاء ، وما سيطر عليه من ذوق أدبى تمثل فى جنوح الأدباء إلى ألوان من التعمية والإلغاز ، واستخدامات للغة تعطى مستويات عدة من الدلالة فيها الظاهر، وفيها الباطن، وحسبك فى تفسير ذلك أن أبا العلاء عاش فى عصر بلغ فيه المد الشيعى أقصاه ، فكانت دولة الفاطميين فى أوج ازدهارها ، وكان اعتقادهم فى الظاهر والباطن يشغل العقول ، وكانت تأويلاتهم الباطنية لأمور المعتقد ، ولآى القرآن حديث الناس .

وانعكس أثر ذلك على الأدب فتفنن الأدباء فى اللعب على مستويات الدلالة المتعددة ، واصطنعوا ما عرفناه عنهم بالملاحن؛وهو أن يكون القول له ظاهر وله باطن ، وقد برع فى ذلك ابن فارس وابن

دريد ، هذا عدا أساليب الإلغاز ، والتورية ، والتعمية ، والتعريض .

وحسبك أن ترى النقاد فى هذا العصر لا يقنعون بظاهر من القول ، وإنما هم دائماً فى رحلة البحث عن الباطن ، يمدح المتنبى كافورا الإخشيدى فينبرى غير واحد للبحث عما يبطنه هذا المدح الظاهر من هجاء ...

وحتى فى الحوار العادى راح أهل الأدب يتلاعبون بمستويات الدلالة للفظ ، يسأل الصاحب بن عباد أبا حيان التوحيدى .

ـــ أبو حيان ينصرف أو لا ينصرف ؟

فيرد أبو حيان .

ـــ إن شاء مولانا لا ينصرف .

وظاهر الأمر حوار فى مسألة من مسائل النحو ، لكن الباطن تعريض من الصاحب بثقل أبى حيان، وفطنة من أبى حيان لمقصد الصاحب .

ويأتى بعد ذلك من عناصر السياق عنصر آخر ذلك هو فن أبى العلاء الأدبى ، فما ينبغى أبداً أن نعزل نص الغفران ونفرده عن سائر ما كتب أبو العلاء وما نظم ، فأسلوب الرجل كل لا يتجزأ ، وقد رأينا أبا العلاء شغف بما شغف به عصره، بل تفوق على كل أدباء العصر فى اللعب بمستويات الدلالة ، نرى ذلك فى لزومياته ، وفى رسائله ، وقد حدثنا هو عن بعض ذلك فى كتابه « زجر النابح » .

وأخيراً يأتى سياق النص ، وينبغى أن نضع فى الحسبان أنه وحدة واحدة ، وأنه يفسر بعضه بعضاً كما قال القدماء . ونحن وإن كنا لم نتحدث عن الفن الأدبى فى عصر أبى العلاء ، أو عن أسلوب أبى العلاء فى الفصل الذى أفردناه للسياق فسيلحظ القارىء حين يمضى مع البحث أن كل ذلك لم يغب عنا .

ونعلم — بعد ذلك — أن هذه القراءة قد تثير ألواناً من الجدل غير أننا نعتقد أنها تقدم النص فى أقرب صورة لما قصده منه أبو العلاء .

وهذه القراءة قد تقدم تفسيراً لبعض ما لا حظه دارسو الغفران من ملاحظات ظلت مفتقدة للتعليل ، غير أنها فى ذات الوقت قد تدفع عديداً من الدارسين لمراجعة أحكامهم ، وإعادة حساباتهم .

وحسبنا بعد ذلك صدق النوايا ، والله من وراء القصد ،،

الفصل الأول
سياق النص

— ١ —

معروف أن « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى رد على رسالة وردت إليه من الأديب الحلبى « ابن القارح » وهو علىّ بن منصور بن طالب الملقب بدوخلة ، قال عنه من شاهده ببغداد : كان شيخاً من شيوخ الأدب « راوية للأخبار ، وحافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار ، قئوماً بالنحو »(١) ، وقد درس ابن القارح على شيوخ اللغة فى الشام وبغداد ، وتكسب بالتعليم فى الشام ومصر(٢) .

وواضح من رسالة ابن القارح أنه كتبها إلى « أبى العلاء » دون سابق صلة بينهما ، وأنها كانت الرسالة الأولى ، ولم نعرف أن ابن القارح أعقب هذه الرسالة بأخرى ، ومن ثم فهى الرسالة الأولى والأخيرة .

ويذكر « ابن القارح » من مناسبة هذه الرسالة أن واحداً من كتاب « نصر الدولة » صاحب « ميافارقين » و « ديار بكر » حمله رسالة إلى أبى العلاء فسرقت ، فكتب هذه الرسالة يشكو إلى أبى العلاء أموره ، ويبث شقوره على حد قوله(٣) .

المفروض — وهذه مناسبة الرسالة — أن تكون اعتذاراً عن ضياع الأمانة التى لم يستطع « ابن القارح » لها حملاً ، وبها إيفاء ، ولكنّ العجيب أننا نرى « ابن القارح » يتسلل إلى أمور الزنادقة والمتزندقين ، فيذكر أخبارهم ، ويفنّد نحلهم ومعتقداتهم ، ويقول فى ثنايا حديثه عن بعضهم :

« ولكنى أغتاظ على الزنادقة والملحدين الذين يتلاعبون بالدين ،

---

(١) معجم الأدباء حـ ١٥ ص ٨٣ .
(٢) انظر معجم الأدباء حـ ١٥ ص ٨٣ ، ورسالة الغفران ص ٥٦ .
(٣) انظر رسالة الغفران ص ٢٦ .

ويرومون إدخال الشُّبَه والشكوك على المسلمين ، ويستعذبون القدح فى نبوّة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ، ويتظرفون ويبتدئون إعجاباً بهذا المذهب »[1] .

وهكذا يتضح مقصد « ابن القارح » ، إنه التعريض « بأبى العلاء » ، والغمز فى معتقده ، وأبو العلاء إذ ذاك مستهدف لمثل هذه الألوان من التعريض بما أثارته أشعاره ، وكتاباته ، والتزامه بمسلك غريب فى الحياة ، وإلا فما شأن أبى العلاء بالزنادقة يحشدهم له ابن القارح فى رسالته ، ويكرر على سمعه أخبارهم ،لولم يكن يعرض به ، ويعده واحداً منهم .

ويمضى ابن القارح فى رسالته ، فيظهر ورعاً وتنسكاً ، ويعلن إقلاعه عن الخمر ، وتوبته عما فرط منه فى حياته اللاهية التى قضاها فى مصر ، يمرج نفسه فى الأغراض البهيمية ، والأعراض الموثمية كما ذكر[2] ، وهو فى تضاعيف ذلك يقص على أبى العلاء خبر حججه الخمس[3] .

ولعل ابن القارح قد استهواه موقف الواعظ ، فأخذ يوجه حديثاً يعنى به أبا العلاء وإن ادعى أنه يخاطب به نفسه من مثل قوله :

« لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم ، أما تستحيون من طول ما لا تستحيون »[4] .

ويتطرق إلى ذكر من أعجله الموت عن التوبة ،فيحكى خبر « فاذوه » ذلك الرجل البغدادى ، الذى كان لا يتورع عن ركوب

---

(١) رسالة الغفران ص ٣٠
(٢) رسالة الغفران ص ٦٣
(٣) رسالة الغفران ص ٥٨
(٤) رسالة الغفران ص ٥٣

مخزية ، وحينما كان يدعوه الناس إلى التوبة يقول لهم : « يا قوم لم تدخلون بينى وبين مولاى ، وهو الذى يقبل التوبة عن عباده » ، وكان أن عاجله الأجل قبل التوبة ، وسقط على رأسه مهراس فهرسه[1] .

ومغزى خبر « فاذوه » واضح ، فهو حث لأبى العلاء أن يسبق إلى التوبة قبل أن يبادره الأجل .

وعلى هذا أيضاً نحمل ما أورده من خبر فرعون ، وكيف خشى « جبريل » أن يسبق إلى التوبة ، فأخذ قطعة من حال البحر فضرب بها وجهه[2] .

ويتطرق إلى الجفوة بينه وبين « الوزير المغربى » ، وكأنه يوضح لأبى العلاء سر هجائه لهذا الوزير ، هذا الهجاء الذى عرف عنه ، وشهر به، حتى إن أبا العلاء قال حينما ورد ذكر ابن القارح فى مجلسه :

« **أعرفه خبراً ، هو الذى هجا أبا القاسم بن على بن الحسين المغربى** »[3] .

وبداية يذكر ابن القارح فضل آل المغربى عليه ، وبخاصة أبى الحسين المغربى والد أبى القاسم ، حيث كان يختلف إليه فى حلب يتلقى عنه العلم ، ثم ما كان من أمر أبى الحسن معه حين استقدمه إلى القاهرة ، وألزمه أن يلزمه لزوم الظل ، وجعله منه مكان المثل فى كثرة الإنصاف والحنو .

ويصف ــ بعد ذلك ــ طموح أبى القاسم « الوزير المغربى » ،

---

(١) رسالة الغفران ص ٥٥ .
(٢) رسالة الغفران ص ٥٥ .
(٣) رسالة الغفران ص ٥٥ .

هذا الطموح الذى أخاف والد الوزير ، وكثيراً ما بثه مخاوفه من طموح ولده .

ويمضى ابن القارح فى ثلب الوزير المغربى غير متعفف ، وغير مراع لحرمة ميت صار أمره لخالقه فيقول :

كان جنونه مجنوناً ، وأصح منه مجنون ، وأجن منه لا يكون » ويقول :

« وكان (أبو القاسم) ملولا ، والملول ربما مل الملال ، وكان لا يمَلُّ أن يَمَلّ ، ويحقد حقد من لا تلين كبده » .

ويقول :

« وبغضى له ــ شهد الله ــ حيّاً وميتاً ، أوجبه أخذُه محاريبَ الكعبة ، الذهب والفضة ، وضربَها دنانير ودراهم ، وسماها الكعبية ، وأنهبَ العربَ الرملةِ ، وخرَّب بغداد ، وكم من دمٍ سفك ، وحريمٍ انتهك ، وحرةٍ أرمل ، وصبىٍ أيتم »[1] .

حديث ينضح مرارة وحقداً ... فمن هو الوزير المغربى هذا ؟ وماذا كان يربطه بابن القارح وبأبى العلاء حتى يشغل الحديث عنه كل هذا الحيز من رسالة ابن القارح ؟...

ربما يحسن أن نستطرد استطراداً قصيراً نتعرف فيه إلى هذه الشخصية .

---

(١) انظر رسالة الغفران ص ٥٧ وما بعدها .

ـ ٢ ـ

الوزير المغربى أبو القاسم الحسين بن على بن الحسين بن على بن محمد المغربى ينتمى إلى أسرة مشرقية يرتفع نسبها إلى الملك بهرام جور ، ونسبة هذه الأسرة للمغرب ليست نسبة إلى الموطن ، وإنما هى لأن واحداً منها كان يتولى ما يعرف بديوان المغرب فى بغداد[١] .

وكان الجد الأعلى لهذه الأسرة على بن محمد يعيش فى « البصرة » إلى أن قام آل البريدى بثورتهم سنة ٣٢٤ فسيطروا على البصرة ، وانتقل « على » إلى بغداد ، وفيها رزق بابنه « الحسين » الذى تقلد أعمالاً متنوعة فى بغداد ، ثم رحل إلى حلب فالتحق ببلاط سيف الدولة الحمدانى كاتباً ، وما لبث أن أصبحت له مكانه بارزة حتى مدحه الشعراء الذين كانوا يتوافدون على البلاط الحمدانى .

ويخلف « أبو الحسن على » ـــ وهو والد الوزير المغربى ـــ أباه فى خدمة سيف الدولة وبعده سعد الدولة ، ثم تحدث جفوة بينه وبين سعد الدولة يترك « حلب » على أثرها إلى « الكوفة » ومن هناك يكاتب العزيز الفاطمى فيرحب به[٢] .

ويطالعنا عصر الحاكم بأمر الله فى القاهرة وأبو الحسن المغربى كاتب مرموق المكانة يجلس فى مجلس الحاكم ، يقول المقريزى فى وصف مجلس الحاكم :

« جلس حسين بن جوهر من اليمين ، وإلى جانبه فضل بن صالح ،

---

(١) انظر الوزير المغربى دراسة فى سيرته للدكتور إحسان عباس .

* ونلفت هنا إلى ما ظنته الدكتور عائشة عبد الرحمن من أن جد الوزير المغربى هو جوهر الصقلى ، وهذا ليس بصحيح ، ولعله قد اختلط لديها الحسين المغربى والحسين بن جوهر حيث كانا معاً من رجال الحاكم بأمر الله الفاطمى ، يراجع فى ذلك كتاب اتعاظ الحنفا للمقريزى حـ ٢ ص ٣٠ » .

(٢) الوزير المغربى ص ٧ وما بعدها .

ودونه ابن البازيار ... » إلى أن يقول : « ودونهما أبو الفتح منصور ، وأبو الحسن بن المغربى الكاتب وأخوه »[1] إذن فلم يكن أبو الحسن المغربى فقط وإنما كان معه أخوه كذلك .

ويبدو أن أبا الحسن المغربى لم يقف دوره فى الدولة الفاطمية عند حد الكتابة ، وإنما كان له دور فى صنع الأحداث السياسية ، فيقال إنه هو الذى أغرى الفاطميين بالشام ، ومهد لهم سبله ، ثم كان له دور أخطر نعلمه عما قليل .

فى هذه البيئة المتصلة بالعلم والسياسة نشأ الحسين بن على الوزير المغربى ، وتفتحت مواهبه فى سن مبكرة ، تنبىء عن عقل نادر الذكاء ، ونفس قوية الطموح . وحسبك به أنه قبل أن يبلغ مشارف الشباب كان يحفظ خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم ، وعدة من الكتب المجردة فى اللغة والنحو فضلاً عن القرآن الكريم[2] .

ونراه وقد اكتمل شبابه يهيىء نفسه لدور سياسى ، ويصور له طموحه عالماً من النباهة والمجد .

قال يوماً لابن القارح : ما نرضى بالخمول الذى نحن فيه . فراجعه ابن القارح : وأى خمول هنا ؟ تأخذون من مولانا — خلد الله ملكه — فى كل سنة ستة آلاف دينار ، وأبوك شيخ من شيوخ الدولة وهو معظم مكرم .

فيقول الوزير المغربى : أريد أن تصار إلى أبوابنا الكتائب والمواكب والمناقب ، ولا أرضى بأن يجرى علينا كالوالدان والنسوان[3] .

---

(١) اتعاظ الحنفا فى أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا حـ ٢ ص ٣٠ .

(٢) وفيات الأعيان حـ ٢ ص ١٧٢ .

(٣) رسالة الغفران ص ٥٧ .

أريد أن تصار إلى أبوابنا الكتائب والمواكب ، هذا ما يطمح إليه أبو القاسم ، ولكن الطموح كثيراً ما يورد صاحبه موارد الهلاك . فما إن نصل إلى تمام القرن الرابع الهجرى حتى نرى أسرة المغربى فى مصر تتعرض لنكبة كتلة التى تعرض لهما البرامكة من قبل فى بغداد ، إذ يعمل الحاكم بأمر الله فيهم السيف ، ولا ينجو منهم إلا الوزير المغربى الذى فر متخفياً، حيث لجأ إلى آل الجراح بالرملة .

ومع أننا لا نستغرب شيئاً فى عصر الحاكم بأمر الله فإن هذا التنكيل بأسرة المغربى يشى باضطلاعهم بدور له خطره ، ويبدو أن انشقاقاً حدث فى البيت الفاطمى ، وأن فريقاً منه على رأسه « ست الملك » أخت الحاكم سعى إلى التخلص منه بعدما اضطرب حاله ، وأعمل السيف فى رجال دولته ، وروج بعض أتباعه على علم منه ، أو على غير علم لدعوى ألوهيته .

ولا نستبعد أن هذا الفريق المنشق استقطب إلى صفه آل المغربى ، مستغلاً فى ذلك طموح ناشئها الفتى ، مثيراً فيه أحلام الزعامة والرئاسة ، وربما مضى هذا الفريق ومعه آل المغربى يحكم مؤامرة لخلع الحاكم أو قتله ، وإذ يكشف أمرهم يعصف بهم ، وغير بعيد أن يكون لابن القارح دور فى الوشاية بآل المغربى ، فحواره مع الوزير المغربى ينبىء عن نفس هلعة فروق ، وربما كان هذا ــ إن صح ــ هو السر فيما نراه من اللهجة المزدرية التى كان يخاطب بها الوزير المغربى ابن القارح .

غير أن الرواية لم تتم فصولاً ، فقد فر الوزير المغربى وفى صدره حقد متضرم ، ورغبة فى الثأر لا تهدأ ، وفى الرملة يغرى بنى الجراح بالخروج على الحاكم ، ويزين لهم أن يقيموا خلافة مناوئة للخلافة الفاطمية ، ويستقدم لهم أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوى صاحب مكة ليبايع بالخلافة ، ويلقب بالخليفة الراشد ، وتعوزه الأموال فينزع

ما على الكعبة من أطواق الذهب والفضة ويضربها دراهم ودنانير .

كان ذلك فى حدود سنة ٤٠١ ، وكان الأمر ينذر بكارثة محققة للخلافة الفاطمية لولا أن لجأ الحاكم بأمر الله إلى سلاح المال بعد أن هزمت جيوشه فى ساحات النزال[١]، وتقوضت خلافة الراشد ، وتقوض معها حلم الوزير المغربى ، فولى وجهه شطر المشرق حيث وزر لبعض الحكام فى الموصل وبغداد .

وظل بصر الوزير المغربى شاخصاً إلى القاهرة ، وسمعه معلقاً بأخبارها، يترقب الفرصة السانحة للعودة والانتقام ، ويخذ له ابن القارح للمرة الثانية ، إذ حاول الوزير المغربى أن يعتمد عليه فى بعض ما كان يدبر ، وهذا ما نفهمه من حديث ابن القارح حين ذكر استدعاء الوزير له فى ميافارقين حيث **قال له ابن القارح : أعرضت حاجة ؟**

قال : لا أردت أن ألعنك

قال ابن القارح : فالعني غائباً

قال : لا ، فى وجهك أشفى .

قال ابن القارح : ولم ؟

قال : لمخالفتك إياى فيما تعلم .

ويقول ابن القارح : إنه كان يسرحسوا فى ارتغاء[٢] .

ففيم خالف ابن القارح ؟ وما الحسو الذى أسره الوزير فى ارتغائه ؟ لعلها كانت مهمة من مهام السياسة ، ولعل هناك بعض الأنصار كان الوزير يريد من ابن القارح أن يكون عوناً لهم وعيناً .

وإذا كان ما ذهبنا إليه صحيحاً فإنا نقدر أن هذا كان بعد سنة

---

(١) انظر اتعاظ الحنفا حـ ٢ أحداث سنة ٤٠١ ، وانظر كذلك الوزير المغربى للدكتور إحسان عباس ص ٣٩ وما بعدها .

(٢) انظر رسالة الغفران ص ٥٩ .

٤٠٤ هـ بعد أن بلغ انشقاق البيت الفاطمى ذروته ، إذ صرف الحاكم ولاية العهد عن أولاده إلى أولاد عمومته ،حيث جعل أبا القاسم عبد الرحيم بن إلياس ولياً لعهده[١] ، فلعل الوزير المغربى أراد أن يستثمر هذا لصالحه ، وأراد أن يحمل ابن القارح بما لا ينهض به خوره وضعفه .

ومهما يكن من أمر ففى هذه اللمحة الخاطفة من سيرة الوزير المغربى رأينا طموحه ، وذكاءه السياسى ، ورأيناه قادراً على أن يكون صدراً أينما ذهب وحل .

على أن ثمة جانباً نريد أن نلمح إليه بشأن هذه الشخصية ،ذلك هو ما كان لها من إسهام فى مجال اللغة والأدب والأنساب ، ولعل أبرز ما يذكر له فى هذا الجانب كتاب مختصر إصلاح المنطق لابن السكيت الذى قرظه أبو العلاء ، وكتاب أدب الخواص ، فضلاً عن أنه كان شاعراً ناثراً له ذوقه المتميز فى النقد الأدبى .

* * *

ذاك هو الوزير المغربى الذى تنكر له ابن القارح ، وأطلق لسانه بذمه ، وقال فيه :

لقّبت بالكامل سترا على ... نقصك كالبانى على الخُصّ
فصرت كالكنف إذا شيدت ... بيّض أعلاهن بالجص
يا غُرَّه الدنيا بلا غرّة ... ويا طويس الشؤم والحرص
قتلت أهليك ، وأنهبت بيـ ... ـت الله بالموصل تستعصى[٢]

وإذا كان ابن القارح قد تنكر للوزير المغربى حينما تنكر له الزمان ، وكان ذلك خلقه ، فما كان ذلك خلق أبى العلاء ، إذ ظلّ يحتفظ لهذه

(١) انظر اتعاظ الحنفا حـ ٢ أحداث سنة ٤٠٤ .
(٢) معجم الأدباء حـ ١٥ ص ١٤ .

الأسرة بمودة حميمة ، وقد وصف أبو العلاء فى رده على ابن القارح والد الوزير المغربى بقوله :

« كان ذلك الرجل سيداً ، ولمن ضعف من أهل الأدب مؤيداً ولمن قوى منهم وادا ، ودونه للنوب محادا »[1] .

وهو وصف يشى بإعجاب وامتنان .

ولا ريب أن أبا العلاء تأذى كثيراً بجحود ابن القارح ، وتأذى أكثر لأن ابن القارح ينال من رجل أعجزه الموت فلا يقدر على دفع . بل لعل ابن القارح ظن أن أبا العلاء هو الآخر لن يستطيع دفعاً عن صاحبه، فى وقت كانت السيطرة فيه للحكم الفاطمى الذى كان لا يرى فى الوزير المغربى إلا خارجاً ، ولعل ذكرى أحداث الرملة التى قادها كانت ماتزال ماثلة حية .

بل لعل ابن القارح أيضاً كان يتقرب بذمه الوزير المغربى إلى البلاط الفاطمى ، الذى اعتقد أن رسالته لابد منتهية إليه ، ولهذا لم ينس حين ورد ذكر الخليفة فى ثنايا عبارته أن يعترض بجملته الدعائية « خلد الله ملكه » ، وفى هذا ما فيه من دلالة على خسة ابن القارح ، وانتهازيته .

ولا ريب أن أبا العلاء كان يدرك من أى موقع يتحدث ابن القارح ، فاكتفى فى القسم الثانى من رسالة الغفران أن يرفع إصبع التحذير منبهاً صاحبه إلى قبح ما أقدم عليه :

« وأمّا صديقه الذى جدب عند السَّبر ، فهو يعرفِ المثل : أعرض عن ذى قبر . إذا حجز دون الشخص تراب ، فقد تقضت الآراب . من ليم فى حال حياته ، استحق المعذرة فى مماته »[2] .

غير أننا نظن أن مثل هذه العبارات لا تشفى أبا العلاء ، ولا تذهب

(١) رسالة الغفران ص ٥٣٢ .

(٢) رسالة الغفران ص ٥٤٦ ، والسبر : الاختبار .

غيظه ، فهل حاول أبو العلاء أن يشتفى من صاحبه بالتلميح إذ عجز التصريح ؟ ربما ...

على أى حال فقد عرف أبو العلاء الوزير المغربى فى مرحلة مبكرة من حياته وحياة الوزير ، ولم يخف إعجابه بمواهب هذا الشاب وبذكائه المتوقد ، وعبر عن ذلك فى الرسالة الإغريضيه التى كتبها للوزير مقرظاً كتابه « مختصر إصلاح المنطق » .

ونقدر أن علاقة أبى العلاء بالوزير المغربى بدأت فى المرحلة الحلبية من حياة الوزير ، أى قبل أن ينتقل إلى القاهرة — ويبدو أن الوزير فى هذه المرحلة الباكرة من صباه كان يتردد على معرة النعمان ، ويختلط بأدبائها وعلى رأسهم أبو العلاء ، وقد ظل الوزير يحتفظ لهذه المرحلة بأجمل الذكريات ، وقد عبر عن ذلك فى بعض شعره إذ يقول :

ما على ساكنى المَعَرّةِ لـو … أن دياراً نبت بهِمْ أَوْ طُلولا
يَسكنُون العُلاَ معاقِلَ شمًّا … ويروْن الآداب ظِلاًّ ظليلا
منزلٌ شاقنى أنيسٌ وما كـ … ـان رسنوّهاً نواحلاً وطُلولا[1]

واستمرت صلة أبى العلاء بالوزير المغربى صافية لم تتكدر ، كان يكن له إعجاباً ، ويحفظ لصنائعه امتناناً ، وفى رسالة المنيح نرى أبا العلاء لا يملك نفسه من الطرب والسرور حين رأى الوزير المغربى يخصه بالذكر فى رسالته فيقول :

« وبلغ وليّه السلامُ الذى لو مرّ بسَلِمَةٍ واريَةٍ لأغدقَت ، أو سَلَمةٍ عاريةٍ لأوْرَقَت ، فحملَ فؤادى من الطَّرب على روق اليعفُور ، بل فوق جناح العصفور ، فكأنما رفَعَنِى الفلك ، أو ناجانى الملك ، جذلاً بما لو جاز تبدُّلُ الغريزةِ ، وتحول النحيزة لنقلنى من آلى العامة إلى عالى السامّة »[2] .

(١) انظر الوزير المغربى ص ١٤٨ .
(٢) رسائل أبى العلاء جـ ١ ص ١٥٦ . =

وظل أبو العلاء يتابع أخبار صديقه الوزير المغربى بكثير من الحب والرجاء ، ويشير الدكتور إحسان عباس إلى تعاطف أبى العلاء مع الوزير المغربى فى محنته ، ويحدث كذلك عن تلك الرسائل . التى ظلت متبادلة بينهما[1] .

ولعلنا ندرك ما كان بين أبى العلاء والوزير المغربى من صلة ، وما ربط بينهما من وشائج حينما نقرأ هذه المرثية الحزينة التى رثى بها أبو العلاء صاحبه ، وحسبها أن تكون هى المرثية الوحيدة فى اللزوميات :

ليس يبقى الضرب الطويل على الدهـــــر ، ولا ذو العَبَالَةِ الدُّرْحَايةَ
يا أبا القاسم الوزير ترحَّلْـــــت ، وخلفتنى ثِقالَ رحايَة
وتركت الكتْبَ الثمينةَ للنــــاس ، ومارحت عنهم بسحايه
ليتنى كنتُ قبل أن تشرب المـــوتَ أصيلاً شربتُه بضُحايَه
إن نحتك المنونُ قبلى فإنّى منتحاها ، وإنها منتحَايَه
أمٌّ دَفْرٍ تقولُ بعدك للـــذَّائقِ لا طعمَ لى فأينَ فَحَايَه
إن يخْط الذّنبَ اليسيرَ حفيظــــاك ، فكم من فضيلةٍ محّايَه[2]

أعجيب بعد ذلك أن يقول أبو العلاء حينما يذكر ابن القارح فى مجلسه :

« أعرفه خبراً ... هو الذى هجا أبا القاسم بن على بن الحسين المغربى » .

وهى عبارة فيها كثير من النفور والازدراء .

ـ السلمة بكسر اللام : الحجارة الصلبة ، الوارية : التى تورى أى تخرج شرراً بالقدح . السلمة بفتح اللام : الشجرة من السلم ، الروق : القرن ، اليعفور : الظبى . النحيزة : الطبيعة . الال : الأحوال جمع آلة ، السامة : الخاصة .

(١) انظر الوزير المغربى ، ت ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) اللزوميات حـ ٢ ص ٤٥٦
العبالة : السمنة ، الدرحاية : القصير ، السحاية : القطعة التى تؤخذ من القرطاس ، الفحا : أبزار القدر .

— ٣ —

عرفنا موقف ابن القارح من آل المغربى ، كما عرفنا موقف أبى العلاء منهم ، ولا ريب أن ذلك يكشف لنا كثيراً من مرامى ابن القارح فى رسالته ، كما يكشف كثيراً من مرامى أبى العلاء فى رده برسالة الغفران .

رسالة ابن القارح كانت — ولا ريب — تعريضاً بأبى العلاء ، وطعنا فى دينه ، وسلكا له مع ابن المغربى الذى كان واحداً من الزنادقة فى نظر ابن القارح .

ومهما حاول ابن القارح أن يموّه على مراميه من رسالته ، بتلفيف العبارة ، وبإغداق المدح والثناء ، وباصطناع أسلوب من يشكو إلى صاحبه سوء الدهر ، وما فشا فيه من الفساد والجهالة ،فلم تكن هذه المرامى لتغيب عن فطنة أبى العلاء ، وما كان لينطلى عليه مثل هذا الأسلوب المخادع المخاتل ، وحسبنا أن أبا العلاء يفتتح القسم الثانى من رسالة الغفران — وهو الذى يرد فيه رداً مباشراً على ابن القارح — بالعبارة : « فهمت قوله » .

قسم أبو العلاء رسالته قسمين ؛ القسم الأول يتخيل فيه ابن القارح ، وقد غفر له بما أظهر من توبة فدخل الجنة ، ويمضى أبو العلاء فى وصف هذه الجنة وكأنها واقع يحياه صاحبه ، يلتقى فيه بألوان من المتع ، وبأنماط من الأدباء والشعراء يحاورهم فى مسائل الأدب واللغة ، ويسمع عنهم ويسمعون منه .

وفى القسم الثانى يرد أبو العلاء على ما أثارته رسالة ابن القارح من أمور وقضايا .

وإذا كانت رسالة ابن القارح هى المفتاح الذى نلج به غفران أبى العلاء ، فإن القسم الثانى من الغفران هو المفتاح الذى نلج به جنة

الغفران ، ونفهم أبعاد مشاهدها ، ومواقفها . وعليه يكون القسم الثانى نقطة البدء ، ويكون حرياً بفهم متعمق متأن .

وفى هذا القسم من الغفران نرى أبا العلاء يعرى صاحبه تعرية كاملة ، وإذا كان ابن القارح قد قص عليه خبر بعض الزنادقة ، فإن أبا العلاء يحشد له حشداً منهم ، ويعرج به إلى النحل والفرق فيظهر خبثها ، ويبين الفساد فى معتقداتها ، وكأنه يقول لصاحبه ؛ أنت أولى بهؤلاء ، وهم أشبه بك فيما اعتنقوا من نحل ، وفيما تمخرقوا به من معتقد .

ويعرج أبو العلاء إلى دعوى صاحبه فى الزهد والورع فيسخر ما وسعته السخرية ، ويرميه بآبدة بعد أخرى .

يعرض إلى ما أدل به ابن القارح من حججه الخمس فيقول :

« وكأنّى وعَمَاعِمُ الحجيج يرفعون التلبيةَ بالعَجِيج ، وهو يفكر فى تلبيات العرب ، وأنها جاءت على ثلاثةِ أنواع ؛ مسجوع لا وزن له ، ومنهوك ، ومشطور »[1] .

هو — إذن — لا تأخذه رهبة الموقف ، وليس للخشوع مكان فى قلبه ، وإنما هو مشغول بأمر الأوزان التى جاءت عليها تلبيات العرب .

ويمضى أبو العلاء فيورد قطعاً من الشعر يرى أن ابن القارح لابد وأن يذكرها وهو يؤدى مناسكه ، فمن ذلك قول الشاعر :

ذكرتُكِ والحجيجُ له عجيجٌ ... بمكة ، والقلوبُ لها وَجِيبُ
فقلت — ونحن فى بلدٍ حرامٍ ... به لله أُخلِصت القلــوبُ
أتوبُ إليك يا ربَّاه مما ... جنيت فقد تظاهَرَتْ الذنوب
فأما من هوى ليلى وحبى ... زيارتها فإنِّى لا أتوبُ[2]

(١) رسالة الغفران ص ٥٣٤ ، وعماعم الحجيج : جماعاتهم .
(٢) رسالة الغفران ص ٥٣٨ .

وعجيب أمر هذا الحاج الذى يتشبث بليلاه فى موقف من المفروض فيه أن ينسى كل أمور دنياه ، ووراء اسم « ليلى » ضع كل ما تريد من أهواء ورغائب ، وحسبك — بعد — أن يختار أبو العلاء أبياته هذه من شعر المجنون وفى ذلك ما فيه من غمز .

ولا يترك أبو العلاء لصاحبه فرصةً للإفاقة ، وإنما يعاجله بسهم آخر أكثر نفاذاً ، فيقول : ولعله (أى ابن القارح) قد ذكر هذه الأبيات فى الطواف :

أطوِّفُ فى البيت فيمن يطو	فُ، وأرفع عن مِئزرى المسبلِ
وأسجدُ بالليل حتى الصبا	حِ، وأتلو من المُحْكَمِ المُنْزَلِ
عسى فارجُ الكربِ عن يوسفٍ	يسخِّر لى ربَّةَ المحْمَلِ[1]

ودعك مما يحيط به أبو العلاء هذه السخرية من سياجات لغوية ، كأن يتوقف ليناقش « هاء الندبة » أو حذف « أن » من خبر « عسى » فليس هذا — وإن كان وجهاً آخر من السخرية — مغزى إيراد مثل هذه الأبيات ، وإنما المغزى يتمثل فى هذا المتعبد الذى يسجد حتى الصباح ، ويقرأ محكم التنزيل ليفرج الله كربه،ويسخرله ربه المحمل ، وقارن — بعد ذلك — بين صورة هذا المتعبد ، وصورة متعبداً آخر متمثل فى ابن القارح يتقرب إلى الله بالحج ، فهل يقصد من وراء حجه ما يقصده هذا الساجد حتى الصباح ؟!.

* * *

وعن دعوى ابن القارح الإقلاح عن الكأس والخمر فإن أبا العلاء يتلقفها ويمطر الشيخ بسخرياته ، فيصوره وقد أعد معه خنجراً كخنجر ابن الرومى[2] ، فإذا جلس فى مجلسه « **فيكون هذا الخنجر**

(١) رسالة الغفران ص ٥٣٩ .
(٢) رسالة الغفران ص ٥٣٩ .

قريباً منه فإذا قُضِي أن يمرَّ بباب المسجد الكهلُ المرقَّب (الزق الجلدى) وثبَ إليه وثبةَ نمِر إلى متخلِّفَةٍ من وَقيرٍ أمِر (قطيع كثير العدد) فوجأه بذلك الخنجر وجأةً فانبعث بمثل الدَّم أو الخالصِ من العندم »[1] .

صورة تثير الضحك ، تائب من الخمر يجلس ومعه خنجر يجأ به كل ما يمر عليه من زقاق الخمر ، إنها صورة تشى بالرغبة أكثر مما تشى بالتوبة .

وكان ابن القارح قد ذكر فى رسالته أن بعض الناس عرض عليه كأس خمر فامتنع عنها ، وقال : خلونى والمطبوخ على مذهب الشيخ الأوزاعى[2] .

ويقف أبو العلاء عند هذا القول فيعبث بالشيخ ساخراً ، ويعرض به قائلاً :

« والتوبةُ إذا لم تكن نَصُوحاً لم يُلْفَ خَلَقُها مَنْصُوحاً ، وكان فى بلدنا رجلٌ مغرمٌ بالقهوة ، فلما كبِرَ رغب فى المطبوخ ، وكان يحضرُ مع ندامَاه وبين يديه خُردَاذِىٌّ فيه مُطبَّخة ، وعندهم قدَحٌ واحد ، فإذا جاء القدحُ إليه ليشرب غسله من أثِر الخمر ، وشرب فيه ، فإذا فرغ خرداذىُّ المطبوخ رجع فشرب من شراب إخوانِه »[3] .

وما يزال أبو العلاء يدور حول الخمر ، فيصوغ عبارة واعظة على نمط الأمثال ، وكأنه يرد بها على الموقف الواعظ فى رسالة ابن القارح ، ويتفنن فى إيراد أسماء الخمر وكناها من مثل « الفيهج » و « أم ليلى » و « أم زنبق » :

(١) رسالة الغفران ص ٥١٩ .
(٢) رسالة الغفران ص ٥٢٠ .
(٣) رسالة الغفران ص ٥٢٥ .

« لعنت القهوة ، فكم تهبط بها إرهوة ، لا خِيرةَ فى الخمر ، توطِيءُ على مثلِ الجمر ، من اصطبح فَيْهَجاً فقد سلكَ إلى الداهيةِ مَنْهَجاً ، من اغتبق « أمَّ لَيْلَى » فقد سَحَب فى الباطل ذيْلاً ، من غَرِىَ « بأمِّ زُنْبَق » فقد سمح بالعقل الموبَق ، من حَمل بالراحةِ راحا ، فقد أسرع للرَّشَدِ سَراحا . من رَضِىَ بصحبةِ العُقار ، فقد خلعَ ثوبَ الوَقارِ »(١) . وغير خاف أن الخطاب كله تعريض .

★ ★ ★

ويدور أبو العلاء بابن القارح دورة أخرى فيبين له أن ما يشكوه من الضعف والوهن بعد السبعين لا يدل إلا على ضيق بالعجز لا ضيق بالحياة ، ولعله لو أحس نبضِ العافية لعاد إلى دنيا لهوه ، وعالم لذائذه .

ويفتن أبو العلاء فى فضح الشيخ وتعريته فيحكى له خبر أبى عمرو بن العلاء وقد كان يدارى شيبه بالخضاب ، « فاشتكى فى بعض الأيام ، فعاده بعض أصحابه ، فقال : تقوم إن شاء الله من علتك ، فقال : ما آمل بعد ست وثمانين ، وعاد إليه وقد تماثل ، فقال : لا تحدث بما قلت لك » .

ويعلق أبو العلاء على ذلك فيقول :

« وهذا من ظريف ما رُوى ، رغب فى تمويهِ بالخضاب ، وكَتَم سنَّه عن كل الأصحاب »(٢) .

فهل يصف أبو العلاء هنا إلا صاحبه هذا الرأى جاوز السبعين ولم يزل مشدوداً إلى الدنيا بأسباب الرغبة والشهوة ؟!

ويمعن أبو العلاء فى العبث بالشيخ فيلوح له بأنه مازال مهوى أفئدة النساء وبخاصة العجز والمكتهلات :

(١) رسالة الغفران ص ٥٥٦ . والرهوه : المكان المرتفع .
(٢) رسالة الغفران ص ٥٠٠ .

« ولعله لو نشِطَ لهذه المأْرُبة ، لتنافست فيه العُجُزُ والمكتَهِلاَت وعلت خِطْبَةُ المنهبلات ، لأن العاقلةَ ذاتَ الإحْصَافِ تجنُبُ إلى معاشرةِ حليفِ الإنْصَافِ »[1] .

وتسنح الفرصة للتعريض بحياة ابن القارح فى مصر ، وبأنه مازال متعلقاً منها بسبب ، وإن تظاهر بأنه لا يبغى من المرأة إلا معيناً على الكبر :

« ولا أشُكُّ أنّه قد استخدم فى « مصرَ » أصناف جوارٍ ، وهنّ للمآربِ موارٍ ، ولولا أن أخا الكَبْرةِ يفتقِرُ إلى مُعينٍ ، لكانت الحزامةُ أن يقتنعَ بوردِ المَعِين »[2] .

★ ★ ★

أما عن البخل والشح وانعدام المروءة والنخوة فقد قدم ابن القارح نفسه صيداً سهلاً ، إذ حدث عن بنت أخت له سرقت منه ثلاثة وثمانين ديناراً ، فشكاها للسلطان ، فأخرجت بعضها وقالت : « والله لو علمت أن الأمر يجرى كذا كنت قتلته »[3] .

ولعل أبا العلاء تعجب كثيراً لهذا المسلك ، إذ كيف يشكو الإنسان إلى السلطان أقرب الناس إليه ، ولعله تساءل عن هذه المسكينة لو كانت لقيت من خالها عطفاً وبراً ، أكانت تلجأ إلى السرقة ؟ وأى حرص على الدنيا أشد من أن يكون المال أحب إلى رجل من قرابته ، وأولى رحمه ؟!

وتلقف أبو العلاء قصة الدنانير ، وذهب بالشيخ وجاء ، يذيقه ألواناً من السخر ، ويجرعه دعابة خشنة تقطر سما ، فمرة يلمح إلى أن

(١) رسالة الغفران ص ٥٠٣ .
(٢) رسالة الغفران ص ٥٠٥ .
(٣) رسالة الغفران ص ٦٤ .

هذه الدنانير مكتسبة من التمسح بأعتاب الفاطميين ، والتمرغ فى ترابهم :

« وهذه ولا ريب من دنانيرِ مصْرَ ، لم تجيء من عند السوق ، ولكن من عند الملوك » .

ومرة ثانية يقارن هذه الدنانير بأوجه حبائب الشعراء فيفضلها على وجوه حبائب المرقش والجعدى ، ومرة ثالثة يصف هذه الدنانير بأنها مقدسات ، وأنّها توفى على عدة أصحاب موسى ، ولو كانت سنوّ « زهير » مثلها لما شكا طول الحياة ، وهى تجرى مجرى الوطن فى الإيناس[1] .

فإذا بلغ أبو العلاء غايته من السخرية بشح ابن القارح ، وبخله ، ونهمه للمال انثنى ليوجه إليه طعنةً قاتلة إذ يخوفه أن تكون بنت أخته ورثت عنه الهجاء فيصيبه شئ من هجائها :

« ويجوزُ أن يكون قد رشح إلى هذه المرأةِ شيءٌ من آداب الخُئُولة ، فليتّقِ مَعَرَّةَ بيانها ، أكثَرَ من اتقائِه خُلْسَةَ بَنَانِها »[2] .

وهكذا يعود أبو العلاء لأخص صفات ابن القارح ، وأخسها ، فيبرزها وكأنه لا يعنيها ، إنه ابن القارح الذى هجا أبا القاسم بن الحسين المغربى ، والذى تنكر لأولى نعمته ، وأصحاب الفضل عليه .

لقد رد أبو العلاء على موقف ابن القارح من آل المغربى ردا موجزا متحرزا ، ولعله خشى مغبة الإفصاح ، ولكن ليس معنى ذلك أن قضية آل المغربى كانت قضية هامشية فى رسالة الغفران ، وإنما هى — فى ظننا محور من محاورها الكبرى ، ولعل لأبى العلاء طرائق أخرى

---

(١) انظر قصة الدنانير فى رسالة الغفران ص ٥٦٠ وما بعدها .
(٢) رسالة الغفران ص ٥٨٠ .

للنيل من صاحبه أكثر خفاء ، وأشد إيجاعا .

وعلى أى حال فقد اتضح لنا منحى أبى العلاء ، ووضعنا أقدامنا على بداية الطريق الصحيح .

الفصل الثانى
ابن القارح وشخوص الغفران

ربما يترقف قارىء الغفران متعجباً إزاء ما يصفه ابن القارح من أمر محشره ، وربما تملؤه الدهشة من هذا الذى يريد أن يخدع خزنة الجنة عن أنفسهم بما ينظمه فيهم من مدائح يبغى بها ما ليس له ، ويتنقل من ملك إلى آخر بقرآن إبليس هذا — كما ورد على لسان بعض الملائكة ، حتى إذا استيأس من الملائكة توجه إلى حمزة بن عبد المطلب بأبيات نظمها فى مديحه ، ويقول له حمزة :

ويحَك ! أفى مثلِ هذا الموطن تجيئني بالمديح ؟ أما سمعت الآية « لكلِّ امرىء يومئذٍ شأنٌ يُغنيه » .

فيجيبه باستخفاف ظاهر :

« بلى قد سمعتُها ، وسمعتُ ما بعدها : « وجوهٌ يومئذ مُسفِرة ، ضاحكةٌ مستبشرة ، ووجوهٌ يومئذ عليها غَبَرَة ، تَرْهَقُها قَتَرة ، أولئك هم الكفرة الفجرة »[1] .

أية جنة — إذن — تلك التى يبغيها هذا المارق المستخف بكلام الله سبحانه وآيه ، والمتوسل بقرآن إبليس فى موقف لا يجدى فيه إلا الصدق ؟!

ونخطىء كثيراً إذا تصورنا أن جنة الغفران هى الجنة التى أعدها الله للمتقين ، إنما هى جنة علائية ظاهرها النعيم ، وباطنها العذاب ، جنة بناها أبو العلاء ، ونسج مشاهدها ومواقفها بتؤدة ليقفنا على مباذل ابن القارح ، وما اتسم به من شهوانية وإسراف .

ولا نشك أن حياة ابن القارح فى القاهرة ، وما تمثله أبو العلاء من مباذله فى بلاط الفواطم ، كان المثير الكامن ، والمادة المرجعية فى تصوير جنة الغفران .

(١) رسالة الغفران ص ٢٥٣ .

وقد رأينا آنفاً كيف عرّض أبو العلاء بحياة صاحبه فى القاهرة، وبتملقه للحكام؛ وباستغراقه فى صنوف من المتع الحسية، وحسبنا فى رحلة الغفران أن نرى ابن القارح يعبر «الصراط» محمولاً «زَقْفُونَه» على ظهر جارية فاطمية، وهذا إيماء من أبى العلاء أن نفهم أية جنة يصور، وأن نلمس الخيط الرابط بين الغفران رحلة خيال، وبين حياة ابن القارح فى مصر وما كان فيها من إفراط وابتذال.

وقد جمع أبو العلاء لصاحبه فى الغفران عديداً من الشعراء والأدباء واللغويين، وقد لا يرى قارئه فى هذه الشخوص إلا احتفالاً من أبى العلاء بصاحبه الذى أحب الأدب والأدباء، ودعا ربه ألا يحرمه من هذا الأدب فى آخرته. غير أننا لا نرى فى هذه الشخوص إلا مرايا وأقنعة، يطل منها وجه ابن القارح على نحو أو آخر، وتجسد لنا مثالبه بصورة أو بأخرى، ويومىء بها أبو العلاء إلى مراميه ومقاصده.

وأول ما يلفتنا من شخوص الغفران شخصية «الأعشى» وهذا التماثل الذى عقده أبو العلاء بينها وبين شخصية ابن القارح حتى لكأنهما شخصية واحدة، تتداخلان، وتتميع بينهما الحدود الفاصلة، فبعد أن يستوى ابن القارح فى مجلس لذته، وأمامه أنهار الخمر التى ما خطر مذاق خمرها بخلد واحد من شعراء الخمر فى الفانية، وحوله ندماه الذين اصطفاهم من علماء اللغة، يطل أبو العلاء فيقول — وكأنه يوجه إلى ما أراده من المزج بين الشخصيتين:

«وهو (ابن القارح) — أيّدَ الله العلمَ بحياتِه — معهم»
«كما قال البكرى (الأعشى):

نازعتُهم قُضُبَ الريحانِ مرتفقاً وقهوةً مُـزَّةً راوُوقُها خضلُ
لا يستفيقون منها وهى راهنةٌ إلا بهاتِ، وإن عَلُّوا، وإن نَهلوا

يسعى بها ذو زجاجات له نطف   مُقلَّصٌ أسفلَ السربالِ مُعتمِلُ
ومستجيبٌ لصوتِ الصَّنجِ يَسْمَعُهُ   إذا تُرَجِّعُ فيه القَيْنَةُ الفُضُلُ[1]

هكذا ومن البداية يمثل أبو العلاء مجلس ابن القارح من أصحابه بمجلس الأعشى فكأنه هو ، وكأنه لا يصلح لوصف مجلس ابن القارح إلا ما وصف به الأعشى مجلسه .

ويمضى أبو العلاء فيؤكد هذا التماثل ، ويقرب بين ابن القارح والأعشى درجة أخرى ، فحينما تستبد النشوة بنفوس الشرب نسمع ابن القارح يأسى لفقدان الأعشى ، وكأنه يأسى لفقدان بعض منه :

« آهٍ لمصرع الأعشى ميمون ، وكم أعمل من مطيَّةٍ أمون ولقد وَدِدْتُ أنّه ما صدته قريْش لما توجَّهَ إلى النبى — ﷺ — وإنما ذكرتُه الساعة لما تقارعت الآنيةُ بقوله فى الحائية :

وشمولٍ تحسبُ العينُ إذا   صُفِّقت جُنْدُعَها نَوْرَ الذُّبَحْ »

وينشد أبياتاً ثمانية ، ثم يأخذ فى تحسر أسيان :

ولو أنه أسلم لجاز أن يكون بيننا فى هذا المجلس فيُنشدَنا غريبَ الأوزان ، مما نَظَمَ فى دارِ الأَحْزَان ، ويحدّثنا حديثَه مع « هَوْذَةَ بن علّى » و « عامرِ بن الطُّفَيْل » و « يَزيد بن مُسهر » و « علْقَمَة بن علاثَة » ، و « سلامة بن ذى فائش » وغيرهم ممن مدحه أو هجاه ، وخافه فى الزمن أورجاه »[2] .

(١) رسالة الغفران ص ١٧٢ .

(٢) رسالة الغفران ص ١٧٢ — ١٧٤ .

وما أورده أبو العلاء فى هذه العبارة فيه إشارة إلى الصفات الجامعة بين الأعشى وابن القارح ، فالتماثل بينهما ليس فى الإقبال على الخمر فقط وإنما — أيضاً — فى أن كليهما مادح هجاء ، ومن ثم ود ابن القارح لو يسمع من الأعشى أخباره مع ممدوحيه ومهجويه ، وكأنه يريد أن يرى نفسه فى صاحبه .

ويقفز أبو العلاء درجة ثالثة ليطلعنا على تلك الأواصر العميقة التى تربط بين الرجلين ، حتى لكأنهما يفكران بعقل واحد ، ويتخاطران على بعد ما فصل بينهما من أزمان ، فإذا خطر لابن القارح خاطر النزهة فى جنته العلائية جسد بعض قول الأعشى ، أو قل أراد أن يكونه :

« فيركَبُ نَجِيباً من نُجُب الجنة خُلِقَ من ياقوت ودر ، فى سجسج بعد عن الحرِّ والقرّ ، ومعه إناءُ فَيهْج ، فيسير فى الجنّة على غير منهج ، ومعه شئٌ من طعام الخلود ذُخِر لوالد سَعِدَ أو مولود ، فإذا رأى نجيبَه يُمْلع بين كثبان العنبر ، وضَيْمُرانٍ وُصِل بصَعْبر ، رفع صوته متمثلاً بقول البكرىّ :

ليت شعرى متى تَخُبُّ بنا النّـــاقَةُ نحو العُذَيْبِ فالصَّيُّـونِ
محقِباً زُكرةً، وخُبْزَ رُقَاقٍ وحِباقا وقِطعةً من نونِ »[1]

أرأيت إلى قول الأعشى كيف يعيش فى وجدان ابن القارح صورة حيّة حتى إذا قيض له فى الجنة العلائية أن يشكل واقعة قفزت هذه الصورة التى تعيش داخله رغبة محبوسة ، لتعيش خارجه حركة ملموسة .

---

(١) رسالة الغفران ص ١٧٥ ، ١٧٦ الفيهج : الصافى من الخمر ، يملع : يسرع ، الضميران والصعبر : ضربان من الشجر ، الزكرة : وعاء من جلد ، الحباق ، نبات طيب الرائحة .

يسمع « الأعشى » هذا الصوت الذى يترنم بشعره فيبرز على مسرح الغفران ، ويلتقى الصنوان، ويفرح ابن القارح كأنما ظفر ببغية منشودة ، ويلتفت إلى صاحبه هشّا بشّا مرتاحاً على حد تعبير أبى العلاء[1] .

ولعل قارئاً لم يتساءل من قبل : لم كان الأعشى أول شخصية تتمثل لابن القارح ، أو يمثلها أبو العلاء له على مسرح الغفران ؟! ثم ما سر هذه الهشاشة والبشاشة والارتياح فى لقاء الشيخ بصاحبه ، أكان ذلك إلا لأن الرجلين وجها شخصية واحدة أو هكذا كانا فى تصور أبى العلاء ؟!

لقد مهد أبو العلاء ليعطينا هذا الانطباع تمهيداً مدروساً ، وتسلل بنا فإذا نحن مع الرجلين وكأننا مع رجل واحد ، وهو يمضى بنا فى خطى محسوبة ، ويورد علينا من الصور والمواقف ما نظنه يرد على غير حساب وروية ، فإذا رجعنا البصر وجدنا أن أبا العلاء يعطى بقدر ، ويلون مواقفه ، ويحرك شخوصه فيتقدم بها أو يتأخر ، وينطقها أو ينطق عنها كل أولئك يسير وفق خطة محكمة محبوكة .

يقفز أبو العلاء قفزة رابعة فيعقد مجلس منادمة لابن القارح فيه عدى بن زيد ، وفيه النابغتان ؛ نابغة بنى جعدة ، ونابغة بنى ذبيان ، وكان من الممكن إذا كان الأمر أمر عرض للمتع أن يستمتع المتنادمون ماشاءوا ثم ينفض مجلسهم ، ولكنا نجد ابن القارح يفتقد فى هذا المجلس قرينه ، أو قل يفتقد نفسه فيهتف فجأة : « **فكيف لنا بأبى بصير ؟** » فلا تتم الكلمة إلا وأبو بصير قد خمسهم ... ثم ينضم إلى المجلس « لبيد »[2] .

---

(١) رسالة الغفران ص ١٧٧ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٠٣ .

افتقاد عزيز ، وأمنية تتحول واقعاً فى لمحة طرف ، لكأن « الأعشى » لم يرد من خارج ، وإنما برز من داخل صاحبه ، ثم نمضى مع الندماء فإذا التماثل صار تداخلاً ، يتكلم أحد القرنيين بلسان صاحبه.

يقول « لبيد » : « **سبحان الله يا أبا بصير ! بعد إقرارك بما تعلم غفر لك** » . فينبرى ابن القارح للدفاع ، وكأنه يتحدث بلسان الأعشى :

« **كأنك يا أبا عقيل تعنى قوله :**

وأشربُ بالرِّيف حتى يقالَ : قد طال بالريف ماقد رجَنْ
صريفيّةً طيّباً طعمُها تُصفَّق ما بين كُوبٍ ودَنّ
وأقرَرْتُ عينى من الغانياتِ ، إما نِكاحاً وإما أُزَنْ

وقوله :

فبتُّ الخليفةَ من بعلِها وسيدَ تيّا ومستادِها

وقوله :

فَظَلِلْتُ أرعاها ، وظَلَّ يَحُوطُها حَتَّى دَنَوْتُ إذا الظلامُ دنا لَها
فرمَيْتُ غفلةَ عينِه عن شاتِهِ فأصبتُ حَبَّةَ قلبِها وطِحالَها

ونحو ذلك مما رُوى عنه ، فلا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون قاله تحسيناً للكلام على مذهب الشعراء ، وإما أن يكون فعله فغُفِرَ له »(١) .

ونظن أن الأعشى كان قادراً على مثل هذا الدفع ، لولا أن أبا العلاء أراد أن يومىء إلينا أن الرجلين رجل واحد ، وأن ما وجه للأعشى على وجه التخييل إنما هو موجه لابن القارح على وجه التحقيق ، ومن ثم لا يكون دفاع ابن القارح عن الأعشى إلا دفاعاً عن النفس.

---

١) رسالة الغفران ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

[وقد مضى أبو العلاء فى غفرانه يحكم هذا التماثل بين الأعشى وابن القارح ، فيثب بنا وثبات ، يأخذ من الأعشى ويعطى لابن القارح ، ويأخذ من ابن القارح فيعطى للأعشى على نهج مرسوم.]

لقد كان الأعشى مداحاً فلماذا لا تكون هذه صورة ابن القارح فى الغفران ، وإذا كانت كتب التراجم لم تحمل إلينا شيئاً يذكر من شعر ابن القارح ربما لغثاثته وضعفه كما يصفه ياقوت[1] ، فلماذا لا يدع له أبو العلاء شعراً ؟ ولماذا لا نراه طوافاً بمدائحه فى محشره يريد أن يخدع خزنة الجنة بباطله ؟! وإذا كان الأعشى توجه يبغى الإسلام فصدته قريش وحبه للخمر ، وقام إلى الحشر مضيع العمل ، فلماذا لا يوضع ابن القارح فى موقف مشابه حين يضيع منه كتاب التوبة ؟!

★ ★ ★

[لا بأس علينا — إذن — أن نفهم أن كثيراً مما وُجّه للأعشى أو ووجه به فى الغفران إنما هو موجه على الحقيقة لابن القارح] ولنتأمل مثلاً هذه العبارات الغاضبة التى قرّع بها النابغة الجعدى الأعشى فى ثنايا تلك المشادة التى أضرمها أبو العلاء بينهما ، قال النابغة الجعدىّ :

« أغَرَّك أن عَدَّكَ بعضُ الجهّالِ رابعَ الشُّعَرَاءِ الأربعَة ؟ وكذب مُفَضِّلُكَ ، وإنى لأطولُ منكَ نَفَساً ، وأكثرُ تصرُّفاً ، ولقد بَلَغْتُ بِعَدِدِ البيوتِ ما لم يبلغْهُ أحدٌ من العَرَبِ قبلى ، وأنتَ لاهٍ بعفارتِك تفترى على كرائم قومك ، وإن صَدَقْتَ فخِزْياً لك ولمُقَارِّك ، ولقد وُفِّقت الهِزَّانِيةُ فى تَخْلِيَتِك : عاشرتْ منك النابحَ ، عَشِىَ فطافَ الأخْوِيةَ على العظام المُنْتَبَذَةِ ، وحَرَصَ على انتباثِ الأجداثِ المنفردة ... »[2] .

(١) معجم الأدباء حـ ١٥ ص ٨٤ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٢٩ .

إن هذه العبارة تمضي لا يشعر القارىء إلا بأنها حديث عن الأعشى حتى إذا اقترب من نهايتها سمع حسيس قضية آل المغربى ، ورأى سخط أبى العلاء المكظوم على ابن القارح يتفجر صوراً غاضبة ، ألا ترى هذا النابح الذى يطوف على العظام المنتبذة ، وينتبث الأجداث المنفردة ؟ أليس هو ابن القارح الذى أقعى على أبواب الفواطم يتلقف ما يلقون به إليه من فتات العيش ، متنكراً لآل المغربى الذين هم أولو نعمته ، نابشاً بهجائه قبر الوزير المغربى ؟!

وأعد قراءة العبارة من جديد — وقد ألقينا إليك بمقاليد الإيماء — ولا بد أنك ستفهم أن الهزانية فيها ليست امرأة الأعشى التى تخلت عنه ، وإنما هى مجرد إيماء لتخلية أخرى هى تخلية الوزير المغربى لابن القارح ، وازدراؤه له بعدما تكشف له ما تكشف منه .

[هى إذن حجب من الرمز والإيماء ما إن تنزاح حتى نرى أبا العلاء يلهب ابن القارح بألسنة من النار ، ويقذفه بحمم من الازدراء والسخرية .

وعلى هذا أيضاً ينبغى أن ندرك العبث بابن القارح فى ذلك الوصف الذى يورده أبو العلاء على لسانه بشأن صاحبه الأعشى الذى حرمت عليه خمر الآخرة ، فلا يعقل أن يظن أن الخمر ذهبت بلبه ، أو غطت على عقله]

« وإنه لوقُورٌ فى المجلس ، لا يخِفُّ عند حَلّ الحُبْوَة ، وإنما مَثَلُه معنا مَثَلُ أبى نُوَاسٍ فى قوله :

أيها العاذِلان فى الرَّاحِ لُومَا	**لا أذوقُ المدامَ إلا شَمِيمَا**
نالنى بالعتَابِ فيها إمامٌ	**لا أرى لى خِلافَهُ مُستقيما**
إن حظِّى منها إذا هِىَ دارت	**أن أَرَاها ، وأن أَشُمَّ النسيما**
فاصرِفَاها إلى سواى فإنِّى	**لستُ إلا على الحديثِ نديما**

فكأنّى وما أحسِّنُ منها قَعَدِىٌّ يُحَسِّنُ التحكيما
لم يطق حَمْلَهُ السلاحَ إلى الحرب، فأوصى المطيقَ ألا يقيما»[1]

أليست هذه الصورة موصولة بما حدّث به ابن القارح فى رسالته من التوبة عن الخمر والإقلاع عنها ، وبقوله : « **خلونى والمطبوخ على مذهب الأوزاعى** » ؟!

[ولعل أبا العلاء خشى أن ينخدع ابن القارح بجنة الغفران فيتوهم أنه سيحظى فى الآخرة بجنة المتقين ، أو يظن أن أعماله تنطلى على أحد ، أو أن توبته المرائية صدقها إنسان ،لذلك لم يرد أبو العلاء أن يترك صاحبه على وهمه الخادع دون أن يوجه إليه ضربة توقظه من خدره ، ولعله من أجل هذا اصطنع أبو العلاء هذه المشادة بين الأعشى والنابغة الجعدى وهو على ثقة ــ بعدما أحكم التماثل بين ابن القارح والأعشى ــ أن القارىء سيفطن إلى ما يريد].

ها هو النابغة الجعدى يستبد به الغضب ، ويضرب الأعشى بكوز فى يده ، وتندفع عبارته دون تحسب :

« اسكت يا ضُلَّ بن ضُلّ ، فأقسِمُ أنَّ دخولَك الجَنَّةَ من المنكرات ، ولكنَّ الأقضِيةَ جرت كما شاء الله ! لحقك أن تكون فى الدّرَكِ الأسفلِ من النار ، ولقد صَلِىَ بها من هو خيرٌ منك ، ولو جاز الغَلَطُ على ربِّ العِزَّةِ لقلتُ : إنك قد غُلِط بك »[2]

وإياك أعنى فاسمعى يا جارة .

[شخصية الأعشى ــ إذن ــ كانت مرآة رأينا من خلالها وجه ابن القارح ، ولكن يبدو أنها لم تستغرق كل ما يريد أبو العلاء أن ينفثه ،

(١) رسالة الغفران ص ٢٣٢ .
(٢) رسالة الغفران ص ٢٣٠ .

ومن ثم راح يتقلب بصاحبه بين شخصيات تراثية متعددة كل منها — في ظننا — تجسد لنا جانباً من جوانب شخصية ابن القارح ... ولا نترك مجلس الندماء دون أن نقف عند بعض شخوصه فمثلاً ما أمر النابغة الجعدى ؟ وما أمر نابغة بنى ذبيان ؟ وما أمر حسان بن ثابت ؟ ولماذا اختار أبو العلاء هؤلاء دون سواهم ؟ وماذا يجسدون من أخلاق ابن القارح ؟!

ولعلنا نعجب لما ظهر به النابغة الجعدى أو أظهره به أبو العلاء من الغفلة والحماقة ، فهو يسأل الأعشى عن « الرباب » التى ذكرها السعدى فى قوله :

ذكر الرَّباب ، وذكرُها سقمُ وصَبَا وليس لمن صَبَا عَزْمُ

وهل هى ذات الرباب التى ذكرها الأعشى فى قوله :

فما نطق الدِّيك حتى ملأ تُ كوب «الرَّباب» له فاستدارا

وهذا سؤال يدل على غفلة شديدة ، ومن ثم كانت سخرية الأعشى من هذا السائل الذى أصابه الفَنَد .

ونمضى بعد ذلك فنرى النابغة الجعدى يتصرف فى كثير من الحماقة فيحتد على الأعشى ، ويقذفه بكوز كان فى يده(1) .

وموقف ابن القارح فى هذه المشادة مزدوج الدلالة ، وكأنا نراه انشطر فى كلا الشخصين فما يوجه للأعشى هو موجه له كما فهمنا ، وما يقوم به نابغة بنى جعدة هو أيضاً من ابن القارح ، وهذه هى مقدرة أبى العلاء الفنية التى نقف أمامها مشهدوهين . إن الغفلة والحماقة والفند كل أولئك أوابد يرمى بها أبو العلاء صاحبه ، وإلا لم اصطنع هذا الموقف ، وأدار الحديث على هذا النحو ؟ ثم لماذا اختار نابغة بنى جعدة لهذا الدور بالذات ؟.

---

(1) رسالة الغفران ص ٢٣١ .

والإجابة عن هذه الأسئلة تستدعى منا تفهماً لكيفية توظيف أبى العلاء للتراث ، فهو حينما يختار شخصية من الشخصيات التراثية يكون اختياره بمثابة إشارة أو إحالة على هذه الشخصية فى كل ما عرف عنها ، وقديكتفى أبو العلاء بجانب من الشخصية مطمئناً إلى إحاطة القارىء ببقية الجوانب ، وبهذا تبدو عديد من الشخصيات وكأنها جبال ثلجية لا يظهر منها على سطح الماء إلا رءوسها .

علينا — إذن — أن نستحضر كل ما نعرفه من أمر أى شخصية يوظفها أبو العلاء .

والنابغة الجعدى كان محمقاً ولا شك ، وهذا ما أظهره أبو العلاء وما تظهره أخبار النابغة ، ولكن هناك خطأً آخر أومأ إليه أبو العلاء إيماء ، وذلك حينما أظهر انحياز المجلس إلى الأعشى ، ثم انصراف الجعدىّ فى ثوب الملوم المعنف . لقد غلب الجعدى — إذن — فى المعركة برغم ما اشتط فيه من غضب . فإذا رجعنا إلى أخبار الجعدى عرفنا أنه كان هجّاء ، ولكنه كان مغلّباً لم يصمد أمام شاعر ، هاجاه أوس بن مغراء فغلبه ، وهاجاه كعب بن جعيل فغلبه ، وهاجته ليلى الأخيلية فغلبته[1] . وما نظن إلا أن أبا العلاء يلوح بهذا الجانب فى شخصية الجعدى ، وهو جانب وثيق الصلة بشخصية ابن القارح وهجائه الذى يريد أبو العلاء أن يصور فسولته.

وهكذا نرى أنفسنا من جديد نحوم حول آل المغربى ، وموقف ابن القارح منهم .

[ونترك نابغة بنى جعدة إلى نابغة بنى ذبيان ، وكنا نظن أن الحوار فى مجلس الندماء سيدور حول اعتذارياته للنعمان] فيها عرف ، وقيل عنه إنه أشعر الشعراء إذا رهب ،[ولكننا نفاجأ أن قصيدة النابغة فى وصف المتجردة هى الموضوع الشاغل ، يقول ابن القارح :

---

(١) الأغانى جـ ٥ ص ١١ .

« يا أبا أمامة ، إنك لرجلٌ حصيف الرأى ، فكيف حسّن لك لُبُّك أن تقول للنعمان بن المنذر :

زعم الهمامُ بأن فاها باردٌ   عذبٌ إذا ما ذُقْتَهُ قلتَ ازددِ
زعم الهمامُ ولم أذقْه بأنّـه   يُشْفَى ببرد لثاتِها العَـطِشُ الصَّدِى

ونعود مرة أخرى لازدواجية الدلالة فى فن أبى العلاء ، فاختيار قصيدة المتجردة فيه ما فيه من الغمز باهتمامات ابن القارح وشواغله ، ولكنا لا نظن أن هذا كان كل مقصد أبى العلاء .

ولعلنا لو رجعنا ببصرنا صفحة أو صفحات لرأينا هذه الأبيات التى يقسم فيها النابغة بأغلظ الأيمان وأوكدها أنه ما قال من شئ يسئ إلى النعمان ، نقرأ قوله :

فلا لعمر الذى قد زرتُه حِجَجاً   وما هُرِيقَ على الأنصابِ من جَسدِ
والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ تمسَحُها   ركبانُ مكَّةَ بين الغِيلِ والسَّنَدِ

ونقرأ قوله :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً   وهل يأْثَمن ذو إمَّةٍ وهو طائعُ
بمصطحِباتٍ من لَصافٍ وثَبْرةٍ   يَزُرْنَ إلالاً سَيْرُهُنَّ تدافعُ[1]

ففيم القسم وهذه قصيدة المتجردة يدور حولها الحوار ؟ هو إذن شاعر كذوب .

ولا بد أن نربط بين هذا الموقف وبين ما ورد فى رسالة ابن القارح ، إذ رأيناه يحاول أن يبرر هجاءه للوزير المغربى بأنه كان مغضباً لله ولرسوله ، ويشهد الله على ما فى قلبه :

« وبُغضى له ــ شَهِدَ اللهُ ــ حيًّا وميّتاً أوْجَبَهُ

(١) رسالة الغفران ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

أبنؤه محاريب الكعبة الذهب والفضة ، وضربها دنانير ودراهم ، وسمّاها الكعبية » [1] .

ولعلنا الآن نذكر هذه الأبيات التى أوردها أبو العلاء لسويد بن صميع فى صدر رحلة الغفران وهى :

إذا طلبوا منى اليمينَ منحتهُم يميناً كبرد الأتحميِّ الممزَّقِ
وإن أحلفونى بالطلاق أتيتُها على خيرِ ما كُنّا،ولم نتفرَّقِ
وإن أحلفونى بالعَتاقِ فقد درى عُبَيْدٌ غلامى أنه غيرُ مُعتَقِ [2] .

وهكذا نرى رحلة الغفران يفسر بعضها بعضاً ، فالشواهد محسوبة ، والمواقف مرسومة ، والوقفات مخطط لها ، والشخوص كلها أقنعة .

ومن النابغة الذبيانى إلى حسان بن ثابت ، ولأول وهلة نرى أن حسانا لم يستدع إلى مجلس الندماء ، وإنما كان مروره عارضاً ، ومن ثم فهو شخصية ثانوية فما الذى استدعى ظهورها ؟ أكان لمجرد مناقشته فى مدائحه لرسول الله ﷺ التى بدأها بالخمر ؟ ما نظن ذلك ...

وما إن يتحدث حسان حتى نبصر غاية المرمى ... يقول حسان واصفاً سماحة الرسول ــ ﷺ ــ :

« وقد شفع ــ ﷺ ــ فى أبى بصير بعد ما تهكّم فى مواطن كثيرة ، وزعم أنه مُستَر مفترياً وليس بمفتر ، وما سمع بأكرم منه ﷺ ، لقد أفَكْتُ فَجَلَدَنى مع « مسطح » ثم وهب لى أخت مارية » [3] .

---

(١) رسالة الغفران ص ٦١ .
(٢) رسالة الغفران ص ١٣٧ .
(٣) رسالة الغفران ص ٢٣٥ .

ويلفتنا فى العبارة أن حسانا يقرن نفسه إلى الأعشى ، وقد رأينا ما يمثله الأعشى فى الغفران .

ويلفتنا فيها ثانياً ذكر حسان لحادثة الإفك التى تولى هو ومسطح كبرها ... فما الذى أوجب ذكر هذه الحادثة فى حديث عن مقدمات القصائد الخمرية ؟ ثم ما ذكر مسطح ؟! وقد كان حسان فى مندوحة من ذكره .

وما نرى « مسطح » إلا جوهر الموقف ، فمسطح هذا الذى تولى كبر حادثة الإفك لم يحفظ لأبى بكر صنيعاً ، وأبو بكر هو الذى كان ينفق عليه ويرعاه[1] . ألا نرى أنفسنا مرة أخرى مع ابن القارح الذى لم يحفظ لآل المغربى صنيعاً ؟!.

[هكذا يـدس أبو العلاء ما يريده دساً قد يمر على القارىء دون أن يفطن ، وقد يخيل القارىء أنه استطراد عارض ولكن علينا أن نعرف أننا نقرأ لأبى العلاء.]

ويمضى أبو العلاء فيثير مناقشة لغوية حول بيت حسان :

فمن يهجو رسولَ اللهِ منكـم   ويمدَحُهُ ، وينصُرُه سَـواءُ

والمناقشة اللغوية ، وما حذف من البيت ، وما ذكر ليست — فى ظننا — إلا تمويهاً على مرمى البيت الذى يفهمه ابن القارح جيداً ، لكأن أبا العلاء يريد أن يفهم صاحبه أنه أقل من أن يلتفت إليه ، وسواء هجاؤه لآل المغربى ومدحه ، وهذا منتهى السخرية .

ولا يريد أبو العلاء أن يصرف حسان بن ثابت قبل أن يستثمر فى شخصيته جانباً آخر يمت إلى ابن القارح بسبب وثيق ، ففى غمرة الحديث عن « من » المحذوفة نفاجأ بسؤال موجه إلى حسان ، وكنا

---

(١) انظر سيرة النبى لابن هشام تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد حـ ٣ ص ٣٤٨ .

نتوقع أن يكون سؤالاً متصلاً باللغة والمحذوف منها والمذكور ، ولكن إذا به ينقلنا نقلة بعيدة عن هذا كله ، فيقول قائل :

« **كيف جُبْنُك يا أبا عبد الرحمن ؟** » .

وقد يكون غريباً أن يسأل إنسان عن جبنه ، ولكن تزول الغرابة إذا عرفنا أن السؤال موجه أساساً إلى ابن القارح وإن كان اتخذ من حسان بن ثابت معبراً .

★ ★ ★

[ونمضى مع أبى العلاء ، وإن غيظه المكظوم ليتساقط كسفاً على رأس ابن القارح ، فبعد أن انفض مجلس المنادمة ، كان هناك « عوران قيس » فى الانتظار] وقد يعجب القارىء من أمر هذا اللقاء ، وقد يتساءل : ولم العوران من قيس بالذات ؟! ، وربما التفت إلى أن أبا العلاء جاء من قبل بالأعشى ، وبحسان بن ثابت الذى عمى بأخرة من حياته ، فما بال ابن القارح بأهل هذه الزمانه ؟

قد يقال : إنها جنة الضرير فلن تكون الجنة جنة عند أبى العلاء إلا إذا ارتد كل من أصيب فى عينيه بصيراً ، وهذا قول الدكتورة عائشة عبد الرحمن[1] ، وهو قول صحيح لو كانت هذه الجنة التى صورها أبو العلاء جنة أخروية ، أما وقد عرفنا أنها ليست كذلك فلابد أن نتوقف عند هذا الحشد من أصحاب تلك الزمانة .

ولعلنا ــ والأمر كذلك ــ أن نلتفت إلى ما جاء فى رسالة ابن القارح من شكوى عينيه :

« **وكنت أكتب خمسينَ ورقةً فى اليوم وأدرس**

---

(١) انظر الغفران لأبى العلاء دراسة نقدية الطبعة الثالثة ــ دار المعارف ص ١٢٤ وما بعدها .

مائتين ، فصرت الآن أكتبُ ورقةً واحدة ، وتحكّنى عيناى حكًّا مؤلماً ، وأدرس خمس أوراق وتكلّ »[1] .

أترى يتمنى أبو العلاء لصاحبه أن يكون واحداً من هؤلاء لقاء ما قدم من عمل ؟! ربما كان ذلك .

على أن الحوار الذى دار مع هؤلاء « العوران » لم يكن ــ فى نظرنا ــ حواراً ذا بال ، إن هو إلا بعض استفسارات يستفسرها ابن القارح ثم يمضى ، فما الخبىء وراء هؤلاء ؟!

ولقد عرفنا من أمر أبى العلاء أنه يومىء بالشخصية ، فلا يكون ذكرها إلا إشارة باستحضار كل أخبارها ، إذن فلنعد إلى مصادرنا لنتعرف إلى عوران قيس ...

أما ابن أحمر فكان أعور ، رماه رجل يقال له « مخشىّ » بسهم فذهبت عينه ، وعمر تسعين سنة ، وسقى بطنه فمات ، ويقول فى ذلك :

أُرَجِّى شباباً مُطَرِهمًّا وصحَّةً ... وكيف رجاءُ المرء ما ليس لاقيا
وكيف وقد جربتُ تسعين حجَّةً ... وضمَّ فؤادى نوطةً هى ماهيا
وفى كل عام يدعوان أطِبَّةً ... إلىّ ، وما يُجْدُون إلا الهواهيا

ومن عجيب ما قالوا عن ابن أحمر أنه أكثر بيت آفات ، ويروون قوله :

تَمَشَّى باكناف البليخ نساؤنا ... أراملَ يستَطْعِمْن بالكفِّ والفمِ
نقائذ برسامٍ وحمّىً وحصبةٍ ... وجوعٍ وطاعونٍ وفقرٍ ومَغْرمِ[1]

(١) رسالة الغفران ص ٦٤ .

(٢) انظر الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٥٦ وما بعدها تحقيق أحمد شاكر . وانظر أيضاً طبقات فحول الشعراء جـ ٢ ص ٥٨٠ تحقيق محمود شاكر .

هى الآفات ــ إذن ــ يضعها أبو العلاء على طريق صاحبة متجسدة فى شخصية ابن أحمر .

ونمضى بعد ذلك إلى « الراعى النميرى » ، و « تميم بن مقبل » فنرى صفة جامعة تجمع بينهما هى أن كلا منهما هجاء مغلب .

فالراعى النميرى مات ذلاً وحزناً إثر قصيدة جرير التى دمغه بها ، وكان منها البيت الذى سبق فى سيره الركبان :

فغضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلاباً[1]

أما « تميم بن مقبل » فقد غلب عليه النجاشى ، كما غلب عليه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

ويشارك « الشماخ » الراعى وابن مقبل فى صفة الهجاء ، غير أنه وإن لم يكن مغلباً فقد كان فاقداً للمروءة والنخوة ، هجا قومه ، وهجا ضيفه ، وضن على الناس بقراه .

ويجمع الشماخ بابن مقبل بعد ذلك أن كلاً منهما كان رقيق الدين ، فالشماخ كان فى أوائل المرتدين ، وظل ــ حتى بعد عودته للإسلام ــ جاهلى السمت والطباع[2] ، أما تميم بن مقبل فقد بلغ من رقة الدين أنه كان يبكى الجاهلية بعد إسلامه ، وقد عوتب فى ذلك فقال :

ومالِىَ لا أبكى الدِّيَارَ وأَهْلَها وقد زارها زُوَّارُ عَكٍّ وحِمْيَرَا
وجاءقَطَا الأَجْبَابِ من كلِّ جَانبٍ فَوَقَّعَ فى أعطانِنا ثم طيَّرا[3]

---

(1) انظر طبقات فحول الشعراء حـ ١ ص ٥٠٢ ومقدمة ديوان الراعى .

(2) انظر ما كتبه عمر الدسوقى فى مقدمة ديوان الشماخ بن ضرار ، ط دار المعارف ص ١٠ .

(3) انظر طبقات فحول الشعراء حـ ١ ص ١٥٠ ، الأجباب : جمع جب وهى البئر الكثيرة الماء .

لم يبق من عوران قيس إلا حميد بن ثور ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ونفهم من شعره أنه كان منكباً فى شبابه على اللذات يقول مثلاً :

فلا يبعدُ الله الشبابَ وقولنا إذا ما صبونا صبوةً سنتوبُ
ليالى سمعُ الغانيات وطرفُها إلىّ ، وإذْ ريحى لهن جَنَوبُ

ونعرف فيه كذلك ألواناً من التحايل ، فحينما منع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشعراء من التشبيب بالنساء تحايل حميد بن ثور فتغنى بسرحة مالك يكنى بها عن المرأة فقال :

أَبَى الله إلا أنّ سرحةَ مالـك على كل أفنان العضاه تروقُ[1]

على أننا نظن أن أبا العلاء ما جاء بحميد بن ثور إلا لينطقه ببعض أبيات فيها تعريض بابن القارح ، وهذا جانب لافت فى فن أبى العلاء إذ كثيراً ما يأتى بالشخصية لمحل الشاهد .

يقول ابن القارح لحميد : « لقد أحسنت فى الدالية التى أولها :

جِلبَّانةٌ وَرْهَاءُ ، تخصى حِمَارَها بفى من بَغَى خيْراً لديها الجلامدُ
إزاءُ معَاشٍ لا يزالُ نِطاقُها شَدِيداً ، وفيها سوْرَةٌ وهْىَ قَاعِدُ[2]

والبيت الأول ــ وهو فى نظرنا محور التلويح ــ يصف امرأة صخابة ، قليلة الحياء (تخصى حمارها) ، لا يرجى لديها الخير ، وكل هذه المعانى موجهة لابن القارح .

ويمضى الحوار فى الغفران فنرى ابن القارح يظهر إعجابه بأبيات أخرى فى دالية لحميد :

تأوَّبها فى ليْلِ نَحْسٍ وقرَّةٍ خليلى أبو الخَشْخاشِ والليلُ باردُ
فقامَ يُصَادِيها فقالت : تريدنى على الزاد؟ شكلٌ بيننا متباعِدُ[3]

(١) معجم الأدباء جـ ١١ ص ١٠ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٦٤ ، جلبانة : صخابة كثيرة الكلام ، ورهاء : حمقاء .

(٣) رسالة الغفران ص ٢٦٥ ، يصاديها : يعارضها ويداريها

ونشعر كأن البيت الثانى موجه من أبى العلاء لابن القارح ، وكأنه يقول له : كيف تريدنى صاحبا وشكلانا متباعدان ؟!.

وهكذا نحس أن هذا الحوار الظاهرى بين « ابن القارح » و « حميد » يخفي تحته حواراً آخر بين أبى العلاء وابن القارح ، موّه عليه أبو العلاء بأن أورد الأبيات وكأنها مدار لحديث نقدى ، ومن هنا ينبغي أن نكون على حذر بصدد هذه الأحكام النقدية ، التى نحس أن كثيراً منها مجرد لفت للقارىء إلى الخبىء المستكن تحت الظاهر .

[وبعد فهؤلاء هم عوران قيس أوحى أبو العلاء من خلالهم لصاحبه ما أوحى من ازدراء بهجائه ، ومن وصمه بالشح والبخل ، وشرّة الطبع ، وقلة الحياء ، فضلاً عما بشره به من سوء المصير والعاقبة متمثلاً فى العور ، والاستقساء ، والبرسام ، والحمى ، والحصبة ، والذل المميت إلى غير ما حفلت به سير أولئك العوران من آفات ، على أنك — لابد مدرك — أن كل ذلك أو بعضه موصول بموقف ابن القارح من الوزير المغربى وآله .]

★ ★ ★

[على أن قضية آل المغربى فى الغفران لم تتم فصولاً ، ولم تزل تتضرم سعيراً تحت ألوان النعيم التى ملأ بها أبو العلاء جنته ، ولم تزل أصداء هذه القضية تتناثر هنا وهناك ، وتتزيى بزى أو بآخر على امتداد رحلة ابن القارح فى الغفران .

ومما يستوقنا فى هذه الرحلة « حمدونة » و « توفيق » اللتين تمثلتا لابن القارح حوريتين ، وكانت « حمدونة » تسكن فى الفانية باب العراق بحلب ، وكانت من أقبح النساء ، طلقها زوجها لرائحة كرهها فى فمها ، وأما « توفيق » فكانت امرأة سوداء تخدم فى دار العلم ببغداد ، وقد أقبل عليهما ابن القارح مبهوراً بجمالهما ، مستمتعاً

بفتنتهما ، حتى إذا كان فى ذروة متعته كشفت له كل منهما عن نفسها ، وكيف كانت فى الفانية[1] .

وقال الباحثون إن أبا العلاء يجسد هنا مبدأ التعويض ، وأن من حرم شيئاً فى الدنيا رزقه فى الآخرة[2] ، على أن هذا لا يجيب عن تساؤل حائر : لم نغّص أبو العلاء على صاحبه متعته فكشف له عن حقيقة « حمدونة » و « توفيق » ، إن أبا العلاء صنع بصاحبه صنع صاحب وليمة ملأها لضيفه بأطايب الأطعمة ، حتى إذا طعم الضيف وأتخم ، قال له : أتدرى ماذا أكلت ؟ لقد أكلت جيفة منتنة !

ولعل هذا هو ما أورد أن يوصله أبو العلاء لصاحبه من وراء قصة « حمدونة » و « توفيق » ، لكأنه أراد أن يلفت ابن القارح إلى وخم مرعاه ، وإلى أنه باع نفسه بثمن بخس ؛ لذة زهيدة ، قبيحة المنبت ، سيئة المآل .

ومن اليسير فى هذا السياق أن نفهم لقاء ابن القارح بالحطيئة على وجهه الصحيح ، وندرك المغزى فيه والمرمى .

ولعلنا نرى منذ البداية ما أعده أبو العلاء للحطيئة من منزل حقير ، فبيته فى أقصى الجنة كأنه حِفْش أمةٍ راعية ، وعنده شجرة قميئة ، وهو لم يصل إلى هذا إلا بعد هياط ومياط ، ثم هو ــ بعد ــ كابى الوجه ، ليس عليه نور سكان الجنة[3] ، وكل أولئك تجسيد لدنو المنزلة ، وسفول المكانة .

ويدور الحوار بين ابن القارح والحطيئة فيعرف ابن القارح أن الحطيئة ما وصل إلى الشفاعة فى الآخرة إلا ببيتيه :

---

(١) انظر رسالة الغفران ص ٣٠٧ ، الحفش : البيت الصغير . بعد هياط ومياط : بعد شدة .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٨٤ وما بعدها .

(٣) انظر الغفران ، دراسة نقدية د . عائشة عبد الرحمن ص ١٢٥

أبتْ شفَتاى اليومَ إلا تكلُّماً بهُجْرٍ ، فما أدرى لمن أنا قائِلُه
أرى لِيَ وجْهاً شوَّه اللهُ خلْقَه فقُبِّحَ من وجهٍ، وقُبِّحَ حَامِلُه

ومرمى البيتين واضح ... لكأن أبا العلاء يريد أن يقول لابن القارح إنك لو أنصفت لهجوت نفسك بدلاً من هجائك الناس ، ولعلك لو فعلت لكنت من الصادقين .

ثم يمضى الحوار فيسأل ابن القارح : ما شأن الزبرقان بن بدر ؟ فيقول الحطيئة : هو رئيس فى الدنيا والآخرة ، انتفع بهجائى ولم ينتفع غيره بمديحى .

وما نرى الزبرقان فى هذا الحوار إلا معادلا للوزير المغربى ، الذى عاش رئيساً فى الدنيا ، ولن يضيره هجاء ابن القارح أو غيره ، بل إن هذا الهجاء حسنات تضاف إلى مذخور أعماله .

★ ★ ★

ولا نريد أن نترك قضية آل المغربى دون أن نعرج على جنة الحيات ، وقد رأينا فيها الحية القارئة ، وحية ذات الصفا ، وما نرى فى الحيتين إلا أبا العلاء ، مثلت الحية القارئة جانباً من علمه ، وورعه ، أما حية ذات الصفا ، فقصتها معروفة ، ونكاد نسمع من خلالها صوت أبى العلاء موجهاً إلى صاحبه قبيل نهاية رحلة الغفران : كيف آمن لك ، وينطلى على خداعك وتمويهك ، ومازال ما صنعته آل المغربى ماثلاً للأعين ، أو على حد المثل المروى على لسان الحية : كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ؟!.

هكذا وقع هذا الحضب الناكز الذى رأينا تقحمه فى بداية الغفران على حية ، بل حيات ...

★ ★ ★

ويستفرغ أبو العلاء شخصيات التراث من أصحاب المغامز والآفات ، ولا يستفرغ غضبه على ابن القارح ، فلماذا لا يدع له شخصية تستوعب ما بقى من مخازيه ، ومثالبة ، ويفرغ فيها ما يختزنه لصاحبه من احتقار وازدراء ؟ وكانت شخصية « أبى هدرش » .

وقد تفنن أبو العلاء فى رسم هذه الشخصية ، فأبو هدرش جنىّ من الجان المؤمنين،آمن بعد ماض طويل فى المعصية فأدخل جنة العفاريت ، وهى جنة ليس عليها النور الشعشعانى ، وإنما هى ذات أدحال وغماليل ، أى ذات مسارب وأشجار متراكمة ملتفة مظلمة ، وأهلها يأوون إلى مغارات ، وعلى باب مغارة من هذه المغارات جلس أبو هدرش . وما نرى هذه الأدحال والغماليل إلا أدحال ابن القارح وغماليله ، أحقاده ، وضغائنه ، وأدواء نفسه .

ويمضى أبو العلاء — على عادته — ليقرب بين القرين وقرينه ، ويحكم بينهما ألواناً من التماثل والتشابه ، فيصور أبا هدرش شيخاً أشيب وهى صورة تقف فى خط مواز مع صورة ابن القارح الذى جاوز السبعين . ويشير أبو العلاء إلى أن أبا هدرش كان يملك الحولة فى دنياه ، وحرمها فى آخرته ، أى أنه كان يستطيع أن يتشكل فى أشكال مختلفة فيتحول من صل إلى جرذ ، إلى هر ، والحولة هذه تقع من ابن القارح فى مغمز فهو الذى استطاع أن يتقلب بنفاقه بين تيارات مختلفة ، ويبدو لكل فريق بالوجه الذى يعجبه .

ويبدأ أبو هدرش فى إنشاد أشعاره ، وهى أشعار صنعها أبو العلاء متمثلاً لشخصية « أبى هدرش » ، أو قل لشخصية ابن القارح .

ينشد أبو هدرش قصيدتين الأولى رائية والثانية سينية ، وكلتا القصيدتين تصور ماضياً عامراً بالمنديات والمخزيات ثم توبة وطاعة ، أليس هذا شأن ابن القارح ، وما يدعيه من التوبة بعد حياة حافلة بالآثام ؟!

وفى القصيدة الرائية بيت لا يمر علينا بسهولة ، ولا يخفى علينا ما يحمله من سخرية ، فبعد أن تحدث أبو هدرش طويلاً عن مآثمه يقول :

ثم اتَّعظْتُ وصارتْ توبتى مثلاً   من بعد ماعشتُ بالعصيان مشهورا

أرأيت إلى هذه التوبة التى صارت مثلاً ؟ أليست أجدر بأن تكون توبة ابن القارح المدعاة ؟

وإذا انتقلنا إلى القصيدة الثانية نتوقف عند قول أبى هدرش :

وقام فى الصفوةِ من هاشمٍ   أزهرُ لا يغفِلُ حقَّ الجليسْ
يسمع ما أُنزل من ربه القُدُوس   وحْياً مثل قرعِ الطسيس
يجلدُ فى الخمر ، ويشتدُّ فى الأَمْرِ ،   ولا يُطلِقُ شربَ الكسيس
وَيرجُم الزانىَ ذا العرسِ لا   يقبلُ فيه سؤْلَةً من رئيس

إن أبا هدرش لم يذكر من أمر النبى — ﷺ — إلا أموراً ثلاثة ، هى رعاية حق الجليس ، والجلد فى الخمر وتحريم شربه ، ورجم الزانى ، فهل هذا كل أمر الإسلام ؟ أو أن كل واحد من هذه الأمور الثلاثة يمس جانباً من شخصية ابن القارح ، ويناله فى مطعن .

[هكذا تعكس شخصية أبى هدرش شخصية ابن القارح على نحو من الأنحاء ، ولقد تفنن أبو العلاء فى عرض ماضيها المعرق فى الإثم والضلالة ، وحرب الله تحت راية إبليس]

وحسبك أن تقرأ من القصيدة الرائية :

وكنت آلفُ من أترابِ قُرْطُبَةٍ   خُوداً، وبالصين أخرى بنت يغبورا
أزور تلك وهذى، غيرَ مُكترِثٍ   فى ليلة قبل أن أستوضح النورا
ولا أمر بوحشىٍّ ولا بشر   إلا وغادرتُه ولهانَ مذعورا
أرَوِّعُ الزِّنجَ إلماماً بنسوتها   والرُّومَ والترك والسَّقلاب والغُورا

وأركب الهَيْقَ فى الظلماء معتسِفاً أو لا قَذبٌ ربادِ بات مقرورا[1]
وأحضرُ الشَّرْبَ أغروهم بآبدةٍ يُزْجُون عُوداً ، ومِزْمَاراً ، وطُنْبُوراَ
فلا أفارقهم حتى يكونَ لهم فعل يَظَلُّ به إبليسُ مسرورا

أما القصيدة السينية فنعرض عليك منها :

لا نُسكَ فى أيامنا عندنا بل نُكِسَ الدِّينُ فما إنْ نكيسْ
فالأحَدُ الأعظم، والسبتُ، كالـ إثْنَيْنِ، والجمعةُ مثلُ الخميس
لا مُجُسٌ نحن ولا هُوَّدٌ ولا نصارى يبتغون الكنيس
نمزِّق التوراةَ من هُونِها ونحطم الصُّلبان حطمَ اليَبِيسْ
نحارب اللهَ جنوداً لإبـ ـليس أخى الرأىِ الغبينِ التَجِيسْ
نُسَلِّم الحكمَ إليه إذا قاس ، فنرضى بالضلالِ المَقِيسْ
نزين للشارخ والشيخ أن يفـ ـرغَ كيساً فى الخَنَا بعذكيس

هكذا يشوى أبو العلاء صاحبه على جمر جنته إن جاز لنا التعبير .

★ ★ ★

[لعلنا وبعد هذه الصحبة لشخصيات الغفران قد فهمنا بعض أسرار أبى العلاء فى الإيماء ، وفى توظيف التراث] ولعلنا الآن نستطيع أن نفهم سر هذه الوقفة الطويلة التى وقفها أبو العلاء عند بيتى النمر بن تولب .

ألمَّ بصُحْبَتِى وهم هجوعٌ خيالٌ طارقٌ من أمِّ حِصْنِ
لها ما تشتهى : عسلاً مصفى إذا شاءت وحُوَّارَى بِسَمْنِ

إذا راح فى استطراد طويل يقلب رَوِىَّ البيتين على حروف المعجم ، وقد يكتفى باحث أن يرصد من هذا ميل أبى العلاء للاستطراد ، ولكن لم استطرد أبو العلاء هنا بالذات ؟! هذا هو السؤال .

---

(١) الهيق : ذكر النعام ، ذب الرياد الثور الوحشى .

وفى ظننا أن الاستطراد هنا توقف بالقارئ عند هذه الشخصية التى ورد ذكرها وكأنه عرضى ، ليعلم الصفة الجامعة بينها وبين ابن القارح ، وما إن نعود إلى أخبار النمر بن تولب حتى يتكشف لنا سر توقف أبى العلاء واستطراده ، لقد كان النمر بن تولب من الذين أُهْتِرُوا فى آخر عمرهم ، وكان يلهج بقوله : اسقوهم صبوحاً ، أصبحوا الركب ، أغبقوا الركب[1] .

هذا إذن !! ، ولعلنا بعد ذلك نعيد النظر فى استطرادات أبى العلاء .

ومما نلفت له أيضاً ، أن أبا العلاء قد يلوح باسم الشخصية مجرداً وهذا ما نشتمه فى شخصية أبى ذؤيب ، فهو وإن أسهم بناقته التى يحتلبها فى تجسيد متع الجنة العلائية ، فإن اسمه يسهم فى تجسيد مخازى ابن القارح ، ويكفى أنه من اسم الذئب مصوغ .

كذلك نرى بعض الشخصيات جسدها أبو العلاء ليجبه ابن القارح من خلالها بما يريد ، وقد ألمحنا إلى شىء من ذلك فى شخصية « حميد بن ثور » ، وفى ظننا أن أسد القاصرة من هذا القبيل ، ولكأن أبا العلاء جسد لنا هذا الأسد ليسمع ابن القارح دعوة يود أن يدعوها عليه ، وهى دعوة الرسول ـ ﷺ ـ على عتبة : « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » وتبقى بعد ذلك شخصيتا « زهير » و « لبيد » وهما يمثلان الجانب النظيف فى الغفران ، وهو جانب لابد منه ، ليتم التقريع من خلاله ، وليفضح بنقائه دمامة الوجه القبيح .

---

(١) انظر الصاهل والشاحج ص ٢٧٦ .

الفصل الثالث
الإلغاز والإيماء فى الغفران

أبو العلاء لا يعطى نفسه لقارئه بسهولة ، وإنما على القارئ أن يخترق إليه حجباً عديدة لعل أيسرها حجاب غريب اللغة ، أما ما وراء ذلك فألوان من التمويه والتخفى ، وصرف القارئ بالظاهر عن الباطن ، والتلفيف الذى قد يضل القارئ فى غماليله ومساربه .

ولعل أخفى ما واجهنا فى الغفران هو تلويح أبى العلاء ببيت يذكره من قصيدة إلى بيت أو أبيات منها أو إلى القصيدة برمتها ، ويورد أبو العلاء ما يذكره ملففا برأى نقدى ، أو يجعله موضوعاً لمحاورة لغوية ، أو ما إلى ذلك من المواقف التى يخترعها أبو العلاء ليورد البيت أو الأبيات التى هى مجرد إيماء أو إشارة لبيت أو أبيات غيرها .

وكان ما لفت نظرنا إلى هذه الظاهرة ما أداره أبو العلاء فى غفرانه من حوار بين ابن القارح والراعى النميرى ، إذ يسأل ابن القارح الراعى النميرى :

« أحق ما روى عنك سيبويه فى قصيدتك اللامية التى تمدح بها عبد الملك بن مروان من أنك تنصب « الجماعةَ » فى قولك :

أيام قومى والجماعةَ كالذى ... لزم الرِّحالةَ أن تميلَ مَمِيلاَ

فيقول : حق ذلك »[1] .

ويكتفى ابن القارح بهذا الرد فلا يعقب ، ولقد عجبنا كثيراً لهذا الحوار ، ولهذا التشكك الذى أبداه ابن القارح فى قول « سيبويه » دون أن يذكر مبرراته ، ثم لهذا الإقرار والتسليم دون محاولة لمعرفة الأسباب التى حدت بالنميرى لنصب الجماعة ...

وخطر لنا خاطر : أيكون أبو العلاء لا يقصد هذه المحاورة لذاتها ؟ ألعل فى البيت معنى يلوح به أبو العلاء ؟ وبدا لنا البيت غسيلاً لا يحمل شيئاً ، ألعل أبا العلاء أراد أن يلوح بأبيات أخرى من القصيدة

(١) رسالة الغفران ص ٢٦٣ .

التى منها هذا البيت ؟ ورجعنا إلى ديوان النميرى فإذا بعد هذا البيت مباشرة :

وتركتُ كلَّ منافقٍ مُتقلِّبٍ   وجدَ التلاتل دينَه مَدْخولا
ذَخِرِ الحقيبةِ ما تزال قَلوصُه   بين الخوارج هِزَّةً وذويلا[2]

وما أحرى هذا أن يكون مرمى أبى العلاء ومبتغاه ، يلوح به لنفاق صاحبه ، وتقلبه ، وتلونه ، وخبث دينه .

وذكرنا على الفور قصة أبى العلاء مع الشريف المرتضى ، إذ كان المرتضى متعصباً على المتنبى يزرى به فى مجلسه ، فقال أبو العلاء :

لو لم يكن للمتنبى من الشعر إلا قوله :

لكِ يا منازلُ فى القلوبِ منازلُ

لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى ، وأمر بإخراج أبى العلاء من مجلسه إذ فهم أنه يلوح ببيت من هذه القصيدة هو :

وإذا أتتكَ مَذَمَّتِى من ناقصٍ   فهى الشهادةُ لى بأنّىَ كاملُ[1]

[فهو أسلوب — إذن — أتقنه المعرى ، وعرفه عنه معاصروه ، وكان علينا أن نراجع شواهد الغفران من جديد ، وبخاصة تلك التى لففها أبو العلاء بآراء نقدية ، أو مسائل لغوية .]

وكانت وقفتنا الثانية مع أبى على الفارسى فى محشره ، وقد امترس به قوم يطالبونه ، ويقولون : تأولت علينا ، وظلمتنا ، ومنهم يزيد بن الحكم الكلابى وهو يقول : ويحك أنشدتَ البيت برفع الماء ، يعنى قوله :

فليت كفافا كان شرُّك كُلُّه   وخيرُك عنى ما ارْتَوَى الماءُ مرتوِى

(١) ديوان الراعى النميرى ص ٢٣٤ ، ذخر الحقيبة : واهى الأمانة .
(٢) تعريف القدماء بأبى العلاء ص ٢٦٧ .

ولم أقل إلا الماءَ ، وكذلك زعمت أنى فتحت الميم فى قولى :

تبدل خليلاً بى، كشكِلك شكلُه فإنى خليلا صالحا بك مَقْتَوى

وإنما قلت مُقتوى بضم الميم[1] .

وقد تشككنا أيضاً فى مغزى هذا الحوار ، وقيمته ، فرجعنا إلى قصيدة يزيد بن الحكم ، فها لنا ما نقرأ ، إنها تلخيص كامل لقضية الغفران ، ولتقرأ معنا ما يقوله يزيد بن الحكم :

تُكَاشِرُنى كرهاً كأنك ناصحٌ
وعينُك تُبْدى أن صَدْرَك لى دَوِى

لسانُك ماذىٌّ ، وغيبُك علقمٌ
وشرُّكَ مبسوطٌ ، وخَيْرُك مُنْطَوِى

فليت كفافاً كان خيرك كله
وشرك عنى ما ارتوى الماءَ مُرتوى

عَدوك يخشى صَوْلَتى إن لَقِيتُه
وأنت عَدُوّى ليس ذاك بمستوِى

تُصافحُ من لاقيتَ لى ذا عداوةٍ
صفاحاً ، وغَيىّ بين عينيك مُنْزَوِى

أراك إذا لم أهْوَ أمرا هَوِيتَه
ولستَ لما أهْوَى من الأمرِ بالهوى

أراكَ اجتَوَيْتَ الخيرَ منىّ ، وأُجْتَوى
أذاك ، فكل يَجْتَوِى قربَ مُجْتَوِى

وكم موقف لولاى طِحتَ كما هَوَى
بأجرامه من قُلّة النّيقِ منهَوِى

إذا ما ابتنى المجدَ ابنُ عمك لم تعن
وقلتَ : ألا يا ليتَ بنيانَه خوِى

---

(٢) رسالة الغفران ص ٢٥٤ .

فإنك إن قيل : ابنُ عمِّك غانِمٌ
شجٍ أو عميدٌ أو أخو مَغْلةٍ لَوِى

تملَّأتَ من غَيْظٍ علىَّ فلم يزل
بك الغيظُ حتى كدْتَ بالغيظِ تنشوى

وما برحت نفسٌ حسود حسبتُها
تذيبُك حتى قيل : هل أنت مكتوى

وقال النطاسيون : إنك مُشْعَرٌ
سُلالا ، ألا بل أنت من حَسِدٍ ذوى

جمعتَ وفحشاً غيبةً ونميمةً
خصالاً ثلاثاً لست عنها بمُرْعَوِى

أَفُحْشاً وجُنْباً واختِبَاء عن النَّدىَ
كأنك أفعَى كديةٍ فرّ محجوى

فيدحو بك الداحى إلى كل سوأةٍ
فياشر من يدحُو بأطيش مدحوى

بدا منك غش طالما قد كتمتَه
كما كتمت داءَ ابنها أمُّ مُدَّوى[1]

ولسنا ـــ بعد ـــ بحاجة إلى تعليق ، فقد صح ما توقعنا ، وتجلت بذلك ظاهرة من ظواهر الأسلوب العلائى فى الغفران .

وقد وقفنا من هذه الظاهرة على عديد من الشواهد ، نوردها فيما يلى :

١ ـــ يقول ابن القارح لعدى بن زيد : إنى أريد أن أسألك عن بيتك الذى استشهد به سيبويه :

أرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أو بُكـورُ   أنت فانظر لأىِّ حالٍ تصِيرُ

(١) الأمالى حـ ١ ص ٩٦ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، النيق : أرفع موضع فى الجبل ، الكدية : الأرض الغليظة الصلبة .

وتدور المناقشة حول قول سيبويه برفع أنت بفعل مضمر يفسره الفعل « انظر »[1].

وفى ظننا أن ما يرمى إليه أبو العلاء من قصيدة عدى هو قوله :

ويقولُ العداةُ : أوْدَى عدىّ وعَدِىٌّ بِسُخْطِ رَبٍّ أسير
أيّها الشامتُ المُعَيِّرُ بالدهـــــــر أأنتَ المبرّأ الموْفُـورُ
أم لديْك العهدُ الوثيقُ من الأيـــــــامِ بل أنت جاهلٌ مغرور[2]

ولا يخفى ما فى الأبيات من تقريع لابن القارح على موقفه من الوزير المغربى الذى استشعر فيه أبو العلاء لوناً من الشماتة.

٢ ـــ يقول ابن القارح لعدىّ : جئت بشيئين فى شعرك وددت أنك لم تأت بهما ، ويذكر له منهما قوله :

فصاف يفرِّى جُلَّه عن سراته يبذ الرهان فارِهًا مَتَتَابِعا[3]

ولعل ابن القارح كان يريد أن يحاور صاحبه فى وصف الفرس بالفاره بينما ذاك من صفة البرذون والحمار ، ولكن العجيب أن ابن القارح يقطع الحوار بعدما قال له عدى بعباديته :

« يا مكبور (أى يا مجبور) لقد رزقت ما يكب (أى يجب) أن يشغلك عن القريض ، وانصياع ابن القارح وقطعه الحوار يوحيان بأن الحوار ليس هو المقصود ، وكذلك البيت موضوع الحوار ، وإنما هو فيما نظن قول عدىّ من ذات القصيدة :

وما خنتُ ذا عهدٍ وأبتُ بعهده ولم أحْرم المضطَرَّ إذ جاءَ قانعا[4]

وهو تلويح بخيانة ابن القارح وشحه .

(١) رسالة الغفران ص ١٩١ .
(٢) شعراء النصرانية حـ ٤ ص ٤٥٥ .
(٣) رسالة الغفران ص ٢٠٠ ، ويفرى : يمزق ، والجل : ما تلبسه الدابة لتصان به .
(٤) شعراء النصرانية حـ ٤ ص ٤٧٢ .

٣ ــ يقول ابن القارح لصحبه من الشعراء اجعلوها ساعة منادمة فإن من قول شيخنا العبادى :

وسماعٍ يأذَنُ الشيـخُ له   وحديثٍ مثلِ ماذىٍّ مُشارِ[١]

وأبو العلاء يقصد قول عدى :

ليت شعرى عن دخيل يَفْتَرِى   حيثما أدرك ليلى ونهارِى
لامرئٍ لم يبلُ منى سَقْطَةً   إن أصابته ملمّاتُ العِثار
قاعدا يكرب نفسى بَثُّها   وحراماً كان سجنى واحتصارى
نحنُ كنّا قد علمتُم قبلكم   عُمدَ البيت وأوتادَ الإصارِ[٢]

وأبو العلاء يلوح إلى افتراءات ابن القارح عليه ، ومارماه به من تهم فى معتقده ، محاسبا له على ما يبثه فى سجنه واحتصاره تنفيساً عن ألمه ، ثم يأتى البيت الأخير تحذيراً من الاغترار بالدنيا والركون إليها ، وتلك معان يريد أن يبثها أبو العلاء لصاحبه .

٤ ــ يخطر لابن القارح أن يحاور حسان بن ثابت فى أشياء منها قوله :

فمن يهجُو رسولَ الله منكم   ويمدحُه وينصرُه سواء[٣]

وأبو العلاء يقصد مع هذا البيت ما يليه من قصيدة حسان :

أتهجُوه ولستَ له بكُفْءٍ   فشركما لخيركما الفِداءُ

٥ ــ يلتقى ابن القارح بالشماخ فيجده قد نسى شعره من هول ما لقى فى محشره ، فيقول له :

« وإن شئت أن أنشدك قصيدتيك فإن ذلك ليس بمتعذر علىّ

---

(١) رسالة الغفران ص ٢٠٣ .
(٢) شعراء النصرانية حـ ٤ ص ٤٥٤ .
(٣) رسالة الغفران ص ٢٣٦ .

فيقول : أنشدنى ضفت عليك نعمة الله » فينشده :

عفَا من سُلَيْمَى بَطْنُ قَوٍّ فَعَالِزُ
فذاتُ الغَضَا فالمشرفاتُ النواشِزُ[1]

ولعل مرمى أبى العلاء من هذه القصيدة قول الشماخ :

ومرتَبَـةٍ لا يُسْتقَـالُ بها الـرَّدَى
تلاَفَى بها حلمى عن الجهلِ حاجزُ[2]

وهو تحذير من كاظم لغيظه .

٦ — يلتفت ابن القارح فإذا بجران العود النميرى فيحييه ، ويرحب به ، ويقول لبعض القيان أسمعينا قول هذا المحسن :

حملن جِرانَ العَوْدِ حتى وضعْنَه بعَلياءَ فى أرجائها الجنُّ تعزِف
وأحرزن منَّا كلَّ حُجْزَةِ مِئْزَرٍ لَهُنَّ وطاحَ النوفلىُّ المزخرفُ
وقلن تمتَّعْ ليلةَ النَّأْيِ هذه فإنكَ مرجوم غداً أو مُسَيَّفُ[3]

ونظن أن أبا العلاء يلوح بما فى هذه القصيدة من وصف للقوّادة :

يبلغهن الحاجَ كلُّ مكاتب طويلِ العصا ، أو مقعدٍ يتزحَّفُ
ومكمونَةٍ رَمْداء لا يَحْذَرُونَها مكاتَبَة ترمى الكِلَاب وتحذفُ
رأتْ وَرَقاً بيضاً فشدت حَزِيمها لها فهى أمضى من سُلَيْكٍ وألطف[4]

ويريد أبو العلاء بهذه الأبيات أن يغمز جانباً يعرفه فى صاحبه .

٧ — يقول له امرؤ القيس بعدما سمع ما ينسبه الناس إليه من تسميط : أبعد كلمتىّ يقال لى مثل ذلك ، ومن كلمتيه هاتين البائية :

خليلىّ مرّا بى على أم جندب لأقضىَ حاجاتِ الفؤادِ المعَذَّبِ[5]

(١) رسالة الغفران ص ٢٣٩ .
(٢) ديوان الشماخ بن ضرار ١٦٧٤ .
(٣) رسالة الغفران ص ٢٧٧ .
(٤) الشعر والشعراء حـ ٢ ص ٧٢١ .
(٥) رسالة الغفران ص ٣١٩ .

وأبو العلاء يلوح ببيت امرئ القيس فى هذه القصيدة :

وإنك لم يفخرْ عليكَ كفاخرٍ ضعيفٍ، ولم يغلبْك مثْلُ مغلَّبِ

والمقصد مفهوم ، وقد رأينا كيف جمع أبو العلاء لصاحبه من الشعراء المغلبين النابغة الجعدى ، وتميم بن مقبل العجلانى ، والراعى النميرى .

٨ ـــ يقول ابن القارح محاورا امرأ القيس : كيف ينشد قولك :

جالت لتصرعَنِى فقلت لها: قِرِى إنى امرُؤٌ صرعى عليكِ حرام

أتقول : « حرامُ » فتقوى ، أم تقول « حرامِ » فتخرجه مخرج « حذام » و « قطام »[1] ؟.

ونظن أنا أبا العلاء يعنى من أبيات هذه القصيدة قول امرئ القيس :

أبلغ سُبَيْعاً إنْ عرضْتَ رسالةً إنى كهمِّكَ إن عشوتُ أمامى
أقصِر إليكَ من الوعيد فإنَّنِى مما أُلاقِى لا أشُدُّ حِزامى
وأنا المنبِّه بعدما قد نوّموا وأنا المعالنُ صفحةَ النوّام
وأنازل البطَلَ الكريهَ نزالِهِ وإذا أناضِلُ لا تطيش سهامى[2]

والأبيات استهانه بابن القارح ، وتوعد له ، وإشارة إلى ماينتظره على يدى أبى العلاء .

٩ ـــ يدير ابن القارح حواراً مع عنترة حول قصيدته :

هل غادر الشعراء من متردم

وهل صحيح أن المعانى يمكن إن يستنفدها الشعراء ؟[3] .

ويعنى أبو العلاء من هذه القصيدة قول عنترة :

(١) رسالة الغفران ص ٣٢٠ .

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١١٧ .

(٣) رسالة الغفران ص ٣٢٣

نبئت عمرا غيرَ شاكرٍ نعمتى والكفرُ مخبثةٌ لنفس المنعم

وقوله أيضاً :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدرْ للحرب دائرةٌ على ابنىْ ضمضمِ
الشاتمىْ عرضِى ولم أشتِمْهُمَا والناذريْن إذا لم ألقَهُمادمى

والتلويح هنا بكفران النعمة ،والجحود، والجبن ، والتوقح ، وكل أولئك موصول بقضية الغفران وبواعثها .

١٠ — يقول ابن القارح للمرقش الأكبر :

« وإن قوما من أهل الإسلام كانوا يستزرون بقصيدتك الميمية التى أولها :

هل بالديار أن تجيب صَمَمْ لو كان حيًّا ناطقاً كلَّمْ

وهى عندى من المفردات »[1]

والتلويح هنا بالبيتين :

لسنَا كأقوامٍ مطاعِمهُم كسبُ الخنَا ، ونهكةُ المَحْرمْ
إن يخصِبُوا يَعْيَوْا بخصبهم أو يُجْدِبُوا فهمُ به الأَمْ[2]

خبث المطعم ، ونهكة المحرم ، والبطر على الخصب ، واللؤم الملازم كل أولئك مرتبط بالقضية الأساس وهى قضية آل المغربى .

١١ — يسأل ابن القارح المرقش الأصغر عن قصة « جناب » وقوله فيه :

فآلى جنابٌ حلفةً فأطعتُه
فنفسكَ ولِّ اللومَ إن كنتَ لائما[3]

(١) رسالة الغفران ص ٣٥٦ .
(٢) المفضليات ص ٢٣٧ .
(٣) رسالة الغفران ص ٣٥٧ .

ويقصد أبو العلاء قول المرقش من القصيدة :

ألـم تَرَ أن المـرءَ يجـذِمُ كفَّـه
ويجشِمُ من لَوْمِ الصديقِ المجَاشِمَا[1]

أى أن المرء قد يقطَع كفه ، ويجشم المجاشم خشية أن يلومه صديقه ، وعلى هذا فالبيت تعريض بالوفاء المفقود لدى ابن القارح .

١٢ ــ يقول للمهلهل عدى بن ربيعة :

« يا عدى بن ربيعة ، أعزز علىّ بولوجك هذا المولج ، لو لم آسف عليك إلا لأجل قصيدتك :

أليتنـا بـذى حُسَـمٍ أنيـرى   إذا أنت انقضيتِ فلا تحورى

لكانت جديرة أن تطيل الأسف عليك »[2] .

ومظنة التلويح قول المهلهل :

فلو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيْبٍ   ليعلمَ بالذنائب أىّ زيـرِ

وهو سخرية من ابن القارح الذى قام يعظ بعد ماض حافل بالمعصية ، فلو قام أبو القاسم المغربى من قبره ليبصر أى داع صاحبه !!

١٣ ــ يثير ابن القارح حوارا حول الآية : « وإذ قال ابراهيم ربى أرنى كيف تحيى الموتى » ثم يتطرق إلى أساليب العرب حول القائل يوجه الخطاب لغيره وهو يعنى نفسه ممهداً بذلك لبيت الحادرة :

بَكَرَتْ سُمَيَّةُ غدوةً فتمتع   وغدت غدوَّ مفارقٍ لم يربع[3]

وهو يشير من هذه القصيدة إلى البيتين :

(١) المفضليات ص ٢٤٧ .
(٢) رسالة الغفران ص ص ٣٥٣ .
(٣) رسالة الغفران ص ٢٨٢ .

أَسُمَىَّ ويحكِ هل سمعتِ بغَدْرَةٍ رُفِعَ اللواء لنابها فى مَجْمَع
إنا نعف فلا نريب حليفنا ونكف شح نفوسنا فى المطمع[1]

* * *

وإذا صح ظننا بعد ذلك فيما ذهبنا إليه من تلويحات المعرى – وهو فيما نعتقد صحيح – لكانت هذه التلويحات – إذا ضممنا بعضها إلى بعض بمثابة بناء باطنى لرسالة الغفران يسرى تحت البناء الظاهرى يتغذى به ، ويغذيه ، ويكمل كل منهما الآخر.

لا ينبغى – بعد – أن ننخدع بما يلفف به أبو العلاء محاور تلويحاته من النكت اللغوية ، أو النقدية ، كأن يسأل عن حذف أو ذكر ، أو يجادل فى رفع أو نصب ، أو يقول إن هذه القصيدة عندى من المفردات ، أو إنها جديرة بإعلاء شأن صاحبها إلى غير ذلك من أطر مموهة ، ينبغى أن يكون القارئ من أحكامها على حذر ، فهى أحكام وظفت توظيفاً فنياً ، ولا تعبر عن رأى نهائى لأبى العلاء ، فما يستحسنه هنا ، ويعده من المفردات ، قد يكون له فيه رأى آخر إذا ورد فى سياق مخالف ، وقد لا تمثل هذه الأحكام النقدية أكثر من تسليط ضوء على هذه القصائد التى أطلت منها رءوسها ليرجع إليها القارئ فى مظانها ، أو يسترجعها إذا كان لها مستظهرا ليفطن إلى المراد من أبياتها .

* * *

على أن أبا العلاء فيما لجأ إليه من تلويحات لم يأت ببدع فى عصره ، فقد شاع هذا الأسلوب وعرف بين الأدباء ، حتى غدا سمة من سمات الحديث الرامز بينهم ، وتحضرنا هنا قصة ذلك الشاعر الذى عتب على سيف الدولة تفضيل المتنبى عليه ، فطلب منه سيف الدولة أن يعارض قصيدة المتنبى التى أولها :

(١) المفضليات ص ٤٥ .

لعينيكِ ما يلقى الفؤادُ وما لقى ... وللحب ما لم يبقَ منّى وما بقى

وهو يقصد التلويح لهذا الشاعر المتطاول بقول المتنبى فى هذه القصيدة :

إذا شاءَ أن يلهو بلحيةِ أحمق ... أراه غبارى ثم قال له الحقِ[1]

وشبيه بذلك سؤال بعض الوزراء لشاعر ثقيل عن قائل القصيدة التى أولها :

الحب ما منع الكلامَ الألْسُنَا ... وألذُّ شكوى عاشقٍ ما أعلنا

وهو يلوح منها بالبيت :

والهَ المشير عليك فىّ بضلَّةٍ ... فالحر ممتَحنٌ بأولاد الزنا[2]

بل كان يكفى فى بعض المواقف أن يذكر اسم الشاعر مجردا فيفطن السامعون إلى قوله الذى هو محل التلويح[3] .

* * *

وثمة خط آخر يتضافر مع ما أشرنا إليه من تلويحات فى تشكيل البنية الباطنة فى الغفران ذلك هو ما نراه فى الجمل الدعائية المعترضة التى بثها أبو العلاء فى ثنايا رسالته ، فظاهر هذه الجمل دعاء لابن القارح ، وباطنها دعاء عليه ، وقد مضى أبو العلاء فى هذه الجمل الدعائية على نهج الملاحن الذى عرف عن ابن فارس فى كتابه « فتيا فقيه العرب » وابن دريد فى ملاحنه ، وأسلوب الملاحن هذا أسلوب أتقنه أبو العلاء ، وقد رأينا طرفا منه فى رسالة « الصاهل والشاحج » حيث أراد « الشاحج » أن يحمل الجمل رسالة إلى عزيز

(١) الصبح المنبى عن حيثية المتنبى ص ٣١٤ .
(٢) نفسه ص ٣١٩ .
(٣) نفسه ص ٣٣٦ ، وانظر كذلك صفحات ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، كذلك انظر يتيمة الدهر للثعالبى جـ ٣ ص ٤٥ .

الدولة قائمة على هذا الأسلوب ، فلما عجز عن حملها وسخر منها دعا عليه دعوات ظاهرها الخير وباطنها الشر تنحو النحو ذاته .

ومعروف أن أسلوب الملاحن يعتمد على الدلالات المتعددة للفظة ، أو على بناء الجمل بناء خاصاً يفهم منه الشيء وضده ، أو على التلاعب بالضمائر ، وما تعود عليه ، إلى غير ذلك مما يلف العبارة بغموض تتعدد معه التأويلات .

وقد لفتنا فى جمل أبى العلاء الدعائية أبنتيها الغريبة ، وتراكيبها التى كأنها تحفز القارىء إلى معاودة قراءتها ، والكشف عن مستورها .

ونعرض هنا لعدد من هذه الجمل الدعائية التى لا نظن أن أبا العلاء يقصد منها إلا المعنى الخبىء .

يقول مثلاً : **فإذا سمع الشيخ ــ ثبّت اللهُ وطأته ــ ما قاله ذانك الرجلان . طمع فى سلامة كثير من الشعراء**[1] .

والضمير فى الجملة الدعائية محير ، والمعنى الظاهر دعاء بتثبيت وطأة ابن القارح على الأرض ، ولكن المعنى الآخر الذى نظنه مقصد أبى العلاء هو دعاء بتثبيت وطأة الدهر على ابن القارح ، وهكذا نرى أن المعنى انقلب إلى الضد حينما توجهنا بالضمير وجهة أخرى .

ومن مثل هذا ما نراه من دعاء أبى العلاء : « **أرغم الله أنف شانئه** »[2] .

فالضمير ظاهرا يعود على ابن القارح ، وباطنا يعود على لفظ الجلالة ، فيكون الدعاء بإرغام أنف الكاره لله ، والمقصود ابن القارح .

---

(١) رسالة الغفران ص ٢٨٦ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٠٥ .

وعلى هذا أيضاً نفسر الجملة الدعائية « **أحَلّ الله الهلكة بمبغضه** »[1] وأخفى من هذا نوعا ما مانراه فى قول أبى العلاء « **ثبّت الله الإحسَان عليه** »[2] ، فالإحسان ظاهراً هو إحسان ابن القارح ، وباطناً إحسان الناس عليه ، وكأن أبا العلاء يدعو عليه أن يظل فقيراً محتاجاً إلى إحسان الناس ، وقريب من هذا قول أبى العلاء « **لا أخلاه الله من الإحسان** »[3] .

[ومما يتلاعب فيه أبو العلاء بتعدد دلالات الكلمة ، أو بصلاحية صورتها أن تكون مفرداً وجمعاً قوله : « **أزْلَفه الله مع الأَبْرَار المتقين** »[4] ، فظاهر الجملة دعاء لابن القارح أن يدخل الجنة مع الصالحين المتقين ، على اعتبار أن « الأبرار » جمع « بار » ، وما إلى هذا قصد ، وإنما قصده « الأبرار » جمع « بر » وهو الفأر وفى المثل العربى « **لا يعرف هرّا من برّ** » أى قطا من فأر ، ويكون المعنى دعاء على ابن القارح أن يزلفه الله مع الجرذان الخائفين] وشبيه بذلك قول أبى العلاء « **عمَّرَة الله بالسُّرور** »[5] وقوله « **ملأ الله فؤاده بالسرور** »[6] . فالمتبادر إلى الذهن أن السرور هو الانشراح والغبطة ، ولكن أبا العلاء يقصد بالسرور جمع « سر » ومن معانى السر عضو الرجل ، أورد ذلك صاحب اللسان ، وأورد شاهدا عليه قول الأفوه الأودى :

لما رأت سرِّى تغيـرَّ، وانثـنى — من دون نهمةِ سيرِها حين انثنى

ولسنا بحاجة إلى إيضاح .

(١) رسالة الغفران ص ٣٤٧ .
(٢) رسالة الغفران ص ٣١٧ .
(٣) رسالة الغفران ص ٢٨٤ .
(٤) رسالة الغفران ص ٣٧٠ .
(٥) رسالة الغفران ص ٢٨٣ .
(٦) رسالة الغفران ص ٣٢٠ .

ومن هذا القبيل قول أبى العلاء : « **أعْلى الله دَرَجَته** »[1] ، فقد نفهم الدرجة على أنها المستوى أو المنزلة ، ولكن ما إلى هذا قصد أبو العلاء ، وإنما قصد إلى « درجة » جمع « دارج » وهو الذى يدرج الميت فى كفنه ، أو فى قبره ، أو يدرجه صريعاً ، وعلى هذا فالعبارة دعاء لقتلة الشيخ لا للشيخ .

ويقول أبو العلاء : « **أمضَى القادِرُ له اقتِرَاحَه** »[2] ، وظاهر القول دعاء أن يجيب الله الشيخ إلى ما يريد ، ولكن الاقتراح هنا من « القرح » وعلى هذا ينقلب المعنى إلى الضد .

ويقول : « **لا انفكّت الفوائدُ واصلةً منه إلى الجُلساء** »[3] ، ويقصد بالفوائد جمع فائدة وهى ما يصيب الفؤاد من داء .

ويقول : « **لا فتئ خصمه مُفْحَماً** »[4] ، ويقصد من معانى المفحم « الريان » .

ويقول : « **أنطقه الله بكلّ فضل** »[5] ، ويقصد من معانى الفضل « الزيادة والنفل » ، ويكون المراد : « أنطقه الله بنفل القول » وهذا غاية الذم .

ويقول : « **بلّغه الله الأمانى** »[6] ، ويقصد الأمانى جمع مَنًى بفتح الميم وهو الموت .

ويقول : « **أدَامَ الله تَمْكِينَه** »[7] ، ويقصد بالتمكين التثبيت فى المكان أى الإقعاد .

---

(1) رسالة الغفران ص ٣١٠ .
(2) رسالة الغفران ص ٢٦٩ .
(3) رسالة الغفران ص ٢٨٠ .
(4) رسالة الغفران ص
(5) رسالة الغفران ص ٢٤٨ .
(6) رسالة الغفران ص
(7) رسالة الغفران ص ١٧٥ .

ويقول : « **بلّغه اللهُ أقاصيَ الأَمَل** »[1] ، والموت أقصى غاية الأمل كما يقال .

ويقول : « **لازال خصمه مغلَّباً** »[2] ، ويقصد بالمغلب الغالب لا المغلوب .

ويقول : « **جعل الله سمعه مستودعاً كل الصالحات** »[3] ، أى مودعاً من كل الصالحات .

ويقول : « **صار وليُّه من المتبوعين، وشانِئُه بالسَّفَه من المسبوعين** »[4] ، ويقصد بالمتبوع المطارد ، وبالمسبوع المطعون عليه ، وعلى هذا يكون المعنى صار ناصره من المطاردين ، وكارهه من المطعون عليهم بالسفه أى سفها .

ويقول : « **لازال الرَّشَدُ قَرِيناً لمحله** »[5] ، وقرين بمعنى مقرون أى مقيد ، أى لازال الرشد مقيداً لوجوده .

وبوسعنا أن نمضى حتى نستفرغ كل الجمل الدعائية فى الغفران ، ولكن حسبنا هذا القدر إشارة إلى الظاهرة ، ولفتا إليها ، فأنت واقع — ولا ريب — إن رجعت إلى هذه الجمل،وأنعمت النظر فيها على المعنى المستور الذى يرمى إليه أبو العلاء ، والذى يكون خطا من خطوط البنية الباطنة فى الغفران .

على أن أبا العلاء بهذا الإلغاز فى جملة الدعائية كان يرد على إلغاز مماثل من ابن القارح ، فقد كتب إليه فى مستهل رسالته : « **وجعلنى فداءه ، وقدمنى قبلة على الصحة والحقيقة ، وبعد القصد ، والعقيدة ، وليس على مجاز اللفظ ومجرى الكتابة** »[6] .

(١) رسالة الغفران ص ٣٤٤ .
(٢) رسالة الغفران ص ٣٧٥ .
(٣) رسالة الغفران ص ٣٢٤ .
(٤) رسالة الغفران ص ٣٤١ .
(٥) رسالة الغفران ص ٣٧٠ .
(٦) رسالة الغفران ص ٢١ .

فظاهر القول دعاء لأبى العلاء ، وإظهار لحبه إذ يتمنى ابن القارح أن يفديه ، وأن يموت قبله ، ولكن ما إلى ذلك قصد ابن القارح فالضمير فى « **فداءه** » عائد على لفظ الجلالة السابق عليها ، فكأن ابن القارح يتمنى أن يكون فداء لله ، أما قوله : قدمنى قبلة فإنها تعنى « فضلنى عليه » و « جعلنى سابقاً له » .

ولذلك كان أول ما استفتح به أبو العلاء القسم الثانى من الغفران قوله : « فهمت قوله : « جعلنى الله فداءه » أى فهمت ما ترمى إليه ، من وراء قولك هذا .

★ ★ ★

[على أن هذا المنجى من الإلغاز لم يكن غريباً على أسلوب أبى العلاء ، ولم يكن أيضاً غريباً على معاصرى أبى العلاء من الأدباء والكتاب ، فكل منهم أدلى بدلوه فى غمرة الإلغاز ، ولا سيما إذا كان الأمر أمر تقية ، أو مواربة ، أو تعريض بالذم فى سياق المديح .]وقد ألمح الدكتور إحسان عباس إلى ألوان من هذا فى الرسائل المتبادلة بين أبى العلاء وبين هبة الله الشيرازى داعى دعاة الفاطميين ، فالشيرازى يقول له : « **وأنا ملب دعوته معترف بخبرته** » فيورد « خبرة » مصحفة وهو يعنى « حيرة »[1] . ويقول : « هذا الذى جاء به المعرى يزيد الأعمى عمى » وهو يقصد بالأعمى المعرى نفسه[2] . ويرد أبو العلاء بالأسلوب نفسه ، وعلى نحو ما لاحظنا من المقصد المستور فى الجمل الدعائية ، يقول لداعى الدعاة : « **والله يجمل الشريعة بحياته** » وهو يقصد بالشريعة « النهر » **وبالحياة الدماء**[3] .

---

(١) رسائل أبى العلاء المعرى ص ٩١ .
(٢) رسائل أبى العلاء المعرى ص ٩٥ .
(٣) رسائل أبى العلاء ص ٩٥ .

ولو تابع الدكتور إحسان عباس جمل أبى العلاء الدعائية كلها فى رسائله لداعى الدعاة لوجدها كلها تسير على هذا النسق ، فيقول مثلاً له « **هدى الله الأمم بهدايته** » وهو يقصد « **بأن يهديه** » ويقول : « **ضوأ الله الظلم ببصيرته** » أى فى بصيرته ، ويقول : « **وأذهب شكوك الأفئدة برأيه** » أى « فى رأيه »[1] . ولا نستطرد فحسبنا هذا دليلاً على صحة ما ذهبنا إليه .

★ ★ ★

علينا ـــ إذن ـــ أن نفطن إلى أن أبا العلاء يتعامل مع اللغة تعاملاً خاصاً ، وإلى أن مستويات الدلالة فى أسلوبه متعددة ، منها الظاهر الذى قد لا يكون مقصوداً ، ومنها الباطن الخفى المقصود ، وهذا يدفعنا إلى إطالة النظر فيما يكتب أبو العلاء ، وإلى ما يدسه دساً فى ثنايا عبارته من إيماءات ، وتعريض .

على أن أبا العلاء لم يتركنا فى غفرانه نخبط فى عمياء ، وإنما هو بين الفينة والفينة يلقى إلينا بمفتاح نلج به إلى عالم الغفران الباطن ، وقد رأينا أن توقفه واستطراده ، وإثارته لنكتة نقدية أو لغوية كانت كلها مفاتيح ، ونرى الآن أيضاً ألواناً أخرى منها عبارة تلفتنا بغرابتها ، أو غرابة موقعها ، وسؤال يوجهه ابن القارح أو يوجه إليه ، المهم أن نفطن إلى مفاتيح النص ، ونظفر بها .

★ ★ ★

ولقد لفتنا فى مشهد وقوف ابن القارح على طرفة قوله له : « **يا ابن أخى يا طرفة ... خفف الله عنك** »[2] وقد أثار نداؤه لطرفه بـ « **ابن أخى** » تساؤلنا ، إذ هو نداء لم يختص به ابن القارح أحدا من

---

(١) رسائل أبى العلاء ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٢) رسالة الغفران ص ٣٣٤ .

الشعر ء ألعله إشفاق ؟! ، ألعله لأن طرفة قتل شاباً ؟! ألعل وراء هذا النداء خبيئاً ؟! وأخيراً فطنا ، فطرفة هو ابن العبد ، وإذا كان الشيخ عمه فهو عبد أيضاً ، وهنا النكتة التى يلمح إليها أبو العلاء ، فإذا ضممنا إلى ذلك إشارات أخر وردت فى الغفران علمنا من أمر ابن القارح ما لم تحدثنا به التراجم من أنه كان هجيناً أسود . وليس ذلك رجماً منا بالغيب ، وإنما هو استيحاء لنص الغفران ، وفهم لإيماءاته ، ونعود بك إلى بداية الغفران وهذا الحشد من السودان الذى ذكره أبو العلاء مثل « عنترة » ، و « زبيبة » و « السليك بن السلكة » و « خفاف بن ندبة » وأمه ، و « الأسود بن المنذر » ، و « الأسود بن معد يكرب » إلى آخر هذه السلسلة ، ثم ما اكتفى أبو العلاء بذلك بل عرج إلى أساود الطعام والشراب . وما نظن أن هذا كان استطراداً عابراً من أبى العلاء ، وإنما هو لون من ألوان التعريض ، يعرض فيه أبو العلاء بهجنة ابن القارح وسواده .

ويطالعنا التعريض مرة أخرى فى محشر ابن القارح ، وسؤال النبى ـ ﷺ ـ عنه ، وقد رآه : « **من هذا الأتاوىّ ؟** »[1] ، والأتاوىّ هو الغريب الدخيل ، وليست الغربة المقصودة هنا ـ فى ظننا ـ إلا غربة اللون .

ولقد مرّ بنا كيف أن أبا العلاء لوح لصاحبه بأبيات من قصيدة عدىّ بن زيد فيها قوله :

ليت شعرى عن دخيلٍ يَفْتَرى حيثما أدرك ليلى ونهارى

فما أمر هذا الدخيل ؟!

ولعلنا نلتفت ـ بعد ذلك ـ إلى ما أورده أبو العلاء فى سياق الغفران من أرجوزة بشار ، فقد حرص أن يمضى فى الأرجوزة إلى قول

---

(1) رسالة الغفران ص ٣٠

بشار :

الحرُّ يُلْحَى والعَصَا للعبـدِ وليس للمُلْحِفِ مثل الرَّدِّ[1]

ولعلنا ــ أيضاً ــ نفهم سر اختيار أبي العلاء للأبيات الخمرية من لامية الأخطل ، وهى ليست بالقطع أفضل ما قال الأخطل فى الخمر ، وإنما سر اختيارها هو البيت الذى حرص أبو العلاء أن يكون فى مفتتح اختياره :

أناخوا فجرُّوا شاحياتٍ كأنها رجالٌ من السودان لم يَتَسرْبَلُوا[2]

ونفهم ــ أيضاً ــ لم حشر أبو العلاء لصاحبه فى النار هؤلاء السودان من أمثال تأبط شراً ، وعلقمة بن عبده ، وعنترة العبسى ، وكأنه يبشره بمصير كمصيرهم .

وعلينا فى ضوء ذلك أن نفهم نداءه لعنترة فهماً جديداً ، فقوله له « ياأخا عبس » ينبغى أن تحمل على « يا أخى من عبس » .

ولعلنا ندرك ــ أيضاً ــ لماذا لم يتذكر ابن القارح من غناء قينات الفسطاط إلا غناءهن لأبيات عنترة :

أَمِن سُمَيَّةَ دمعُ العينِ تَذْرِيفُ
لو أَنَّ ذا منك قبلَ اليوم مَعْرُوفُ
تجَلَّلَتِنِى إذا أَهْوى العَصَا قِبَلِى
كأنها رَشَأٌ فى البيت مَطْرُوفُ
العَبْدُ عَبْدُكُم ، والمالُ مالكُمُ
فهل عذابُكِ عنِّى اليومَ مصروف ؟[3]

ثم أيضاً هذه المسألة اللغوية التى أثارها حول محب ومحبوب ، فما نراها إلا مجرد تمهيد للبيت :

(1) رسالة الغفران ص ٣٤٥ .
(2) رسالة الغفران ص ٣٤٥ .
(3) رسالة الغفران ص ٣٢٤ .

أحب لحبها السودان حتى   أحب لحبها سود الكلاب[1]

وفى هذا السياق يكتمل لدينا المغزى من اختياره لتوفيق السوداء لتكون إحدى حوريات الجنة .

ويتضح لنا الآن مرمى العبارة « منزهة من لحن الهجناء » فى وصفه لألحان جاريات الأوز فى الغفران :

« فجئن بها مُتْقَنةً محمولةً على الطرائقِ ، ملحّنَةً ، مصيبة فى لحن الغناء ، منزهة عن لحن الهجناء »[2] .

وقد نعيد من جديد قراءتنا لهذا البيت الذى ورد فى سينية أبى هدرش فى وصف الرسول ﷺ :

وقام فى الصّفـوة من هاشم   أزهرُ لا ينكر حق الجليس

فلماذا اختيار « أزهر » أى « أبيض » بالذات من صفات الرسول ـــ ﷺ ـــ إلا إذا كان الأمر أمر تعريض .

★ ★ ★

وهكذا نمضى فى الغفران فيلفتنا الإيماء بعد الإيماء إلى سواد ابن القارح ، وإلى هذه الهجنة فيه .

تقول له الحية القارئة :

« ولو تنفست فى وجهك لأعلمتك أن صاحبة عنترة ثَفِلَةٌ صَدُوف »[3] .

فلماذا اختارت الحية صاحبة عنترة دون سواها ؟ أليس ذلك لاقترانها فى الأذهان بعبد أسود ؟!

(١) رسالة الغفران ص ٣٢٦ .
(٢) رسالة الغفران ص ٢٢٦ .
(٣) رسالة الغفران ص ٣٧٠ . تفلة : منتنة الريح ، وصدوف : كريهة رائحة الفم .

وفى القسم الثانى من الرسالة يقول أبو العلاء فى معرض التهكم بابن القارح ، ورغبة النساء فيه :

« **ولعله تقدر له كصاحبة أبى الأسود أم عمرو ، ورب خير تحت الخمِر** »[1] ، والمقصود بأبى الأسود أبو الأسود الدؤلى ، فلماذا قرنه بابن القارح فى هذا المعرض ؟!

إن هذا الفهم يكمل معرفتنا بابن القارح ، ويبصرنا بما أغفلته كتب التراجم من أمره ، فقد عرفنا عنه أنه كان يخدم عند « ابن خالويه » فى « حلب » وعند « أبى على الفارسى » فى « بغداد »[2] ، فلماذا لا يكون خادماً أسود .

وإزاء هذا تأخذ بعض مواقف الغفران دلالة جديدة ، ونضرب مثلاً لذلك بما حدث فى مشادة النابغة الجعدى والأعشى ، إذ عللت ثورة النابغة بأنها ربما تكون من أثر الخمر ، أما الأعشى فما ينبغى له ذلك لأنه حرم الخمر فى الجنة ، وهنا ينبرى النابغة قائلاً :

« **قد كان الناس فى أيام الخادعة يظهر عنهم السفه بشرب اللبن ، لا سيما إذا كانوا أرقاء لِئاماً كما قال الراجز :**

ياابن هشامٍ أهلك النَّاسَ اللَّبنْ — فكلهم يغـدو بسيف وقَرَنْ

وقال آخر :

ما دهرُ ضَبّةَ فاعلم نحتُ أثْلَتِنا — وإنما هـاج من جُهّالها اللّبَنُ

وقيل لبعضهم : متى يخاف شر بنى فلان ؟ قال : إذا ألبنوا »[3] .

والكلام كله تعريض بابن القارح ، ولعلك تنبهت إلى ما ورد فى

(1) رسالة الغفران ص ٥٠١ .
(2) معجم الأدباء حـ ٥ ص ٨٣
(3) رسالة الغفران ص ٢٣٣

السياق من القول : « ولا سيما إذا كانوا أرقاء لئاما » وكأن أبا العلاء يقول لابن القارح : « الآن تعرض لى أيها الرقيق اللئيم بعدما شبعت » .

وعلى هدى من هذا كله نستطيع أن نفهم مقدمة الغفران ، لقد ذكر أبو العلاء أن فى مسكنه « **حماطة** » وهى ضرب من الشجر اليابس تتخذ منه العصى ...

وأورد بعد ذلك بيتين متظاهراً بتفسير معنى « الحماطة » :

إذا أمّ الوليّد لم تُطِعْنى حَنَوْتُ لها يَدِى بِعَصًا حماط
وقلت لها عليك بنى أقيش فإنك غيرُ مُعْجبة الشّطَاط

ثم عاد أبو العلاء فقال : إن من معانى الحماطة حرقة القلب ، وحبة القلب ، وإنه ما يقصد إلا حبة القلب[1] ، فهل يقصد فعلاً ما قال ، أو أنه يعمى ويلغز ، ويصرف القارىء إلى معنى غير مراد ؟!

وليتضح لنا القصد الصحيح لأبى العلاء علينا أن نربط بين عصا الحماط هذه ، وبين العصا فى بيت بشار الذى لوح به والذى أشرنا إليه آنفاً :

الحرُّ يُلْحَى والعصا للعَبْد وليس للمُلْحِف مثل الرد

اتضح المراد إذن ، لكأن أبا العلاء يفتتح الرسالة ملوحاً لهذا العبد المتهجم بعصا حماط .

ونمضى بعد ذلك فنراه يقول :

« وأنّ فى طمرىَّ لحضْباً وكل بأُذَاتى .... »[2] .

ويقول :

---

(١) رسالة الغفران ص ١٣١ .
(٢) رسالة الغفران ص ١٣٢ .

« وأن فى منزلى لأسود ... »[1] .

وما نرى هذا الأسود وذاك الحضب إلا ابن القارح ذاته ، وعلى ذلك علينا أن ندرك أن المنزل والطمرين ليساهما الجسد كما فهم الشراح ، وإنما هما الموطن والدار ، فكل من أبى العلاء وابن القارح من موطن واحد ، وما معرة النعمان التى هى موطن أبى العلاء إلا ضاحية لحلب التى هى موطن ابن القارح وتابعاً لها .

هكذا تتضح المقاصد ونفهم صرخة أبى العلاء فى بدء رسالته :

« يا قوم إن فى ديارى عبداً أسود شبيهاً بالحية ، موكلاً بأذاتى ، أعانى منه ما أعانى » .

ونفهم ـــ بعد ذلك ـــ لم اختار أبو العلاء من أسماء الله سبحانه « الجبر » الذى يعنى القوة :

« قد علم الجبر الذى نسب إليه جبرئيل ... » .

وكأنه يستعين بهذه القوة على درء هذا الخصم المخادع المراوغ المتخفى ، وفى هذا السياق نفهم أيضاً لم كان مفتتح الرسالة : « اللهم يسر وأعن » .

★ ★ ★

ونتابع شخصية ابن القارح فى هذا السياق الباطنى ، ونرى أبا العلاء يثير قضية الانتحال فى الشعر ، فيصور لنا ابن القارح يروى على أصحابه فى الغفران قصائد يحفظها من شعرهم فينكرونها ، يروى على النابغة الذبيانى القصيدة :

ألمّا على المطُورَة المتَأبِّدة   أقامتْ بها فى المَرْبَع المتجردة

---

(١) رسالة الغفران ص ١٣٢ .

فيقول : ما أذكر أنى سلكت هذا القرىّ قط[1] .

وينشد لنابغة بنى جعدة القصيدة :

ولقد أغدو بشرَبٍ أُنُفٍ   قَبْل أن يَظْهر فى الأرضِ رَبَش

فيقول نابغة بنى جعدة : ما جعلت الشين قط رويا[2] .

وينشد على الأعشى القصيدة :

أمن قتلَةَ بالأَنْقَـــــاء دارٌ غيرُ مَحْلُولَهْ

فيقول له : إنك منذ اليوم لمولع بالمنحولات[3] .

ثم نراه — بعد — مع الخليل بن أحمد وهو يظن أن الأبيات العينية من شعره ، وهى المبدوءة بالبيت :

إن الخليط تصدع   فطر بدائك أوقع

غير أن الخليل ينكرها[4] .

ثم فى آخر رحلة الغفران نراه يلقى آدم عليه السلام فيقول قد روى لنا عنك شعر منه قولك :

نحن بنو الأرض وسكّانُها   منها خُلقنا وإليها نَعود
والسَّعْدُ لا يَبْقى لأصحابه   والنَّحسُ تمحوه ليالى السعود

ويسأله أيضاً عما نسب إليه فى حادثة قتل قابيل لهابيل :

تغيّرت البلادُ ومن عليها   فوجهُ الأرض مُغْبَرٌ قبيحُ
وأودى ربعُ أهليها فبانُوا   وغُودِر فى الثّرى الوجهُ المليح

فينكر آدم كل ذلك ، والعجيب أننا نرى آدم يفسر لابن القارح

(١) رسالة الغفران ص ٢٠٧ .
(٢) رسالة الغفران ص ٢٠٨ .
(٣) رسالة الغفران ص ٢١١ ، ٢١٢ .
(٤) رسالة الغفران ص ٢٧٩ .

الأسباب التى لو كان فكر فيها لما سأله عن مثل هذا المنحول ، وابن القارح يقف موقف التلميذ[٢] .

قضية الانتحال — إذن — لم تثر لذاتها ، ولا لمجرد أن أبا العلاء يدلى بدلوه فيها ، وإنما عرضها أبو العلاء هذا العرض ، وجعل ابن القارح ينشد الشعراء فيجبهونه بالإنكار ، وجعل « آدم » عليه السلام يتولى تبصرته بالأصيل من المنحول ، ليقول له من خلال ذلك ، إنك حاطب ليل ، ليس لك بصر بما تحمل من الشعر ، ولا تستطيع أن تميز أصيله من دخيله .

هذا مستوى من مستويات الإيماء ، ولكنا نلمح فى عبارات آدم عليه السلام إيماءات أخرى ، إذ يقول آدم لابن القارح : « **أبيتم إلا عُقُوقاً وأذيّة** »[١] ، ويقول له : « أعزز علىّ بكم معشر أُبَيْنِىّ ، إنكم فى الضلالة متهوكون »[٢] .

وهذا رجع — فيما نرى — لقضية آل المغربى ، وغدر ابن القارح بهم ، وكأن أبا العلاء أراد أن يصعّد القضية إلى أفق إنسانى إذ الغدر معدن الجبلة الآدمية ، ولعل ذلك كان السر وراء عقد مثل هذا اللقاء بين ابن القارح وآدم عليه السلام .

★ ★ ★

وكما أثار أبو العلاء قضية « الانتحال » ليومىء بها إلى دلالة غير دلالتها الظاهرة ، نراه يثير قضية الرجز والشعر وأيهما أرفع منزلة ، فيزلف ابن القارح إلى ما صنعه له من جنة الرجّز :

ولقائل أن يقول : إنما قصد أبو العلاء إلى إبداء رأيه فِي الرجز وأنه أدنى منزلة من الشعر ، ومثل هذا ترددعنهفىغير رسالة الغفران ،

(٢) رسالة الغفران ص ٣٦٠ وما بعدها .
(١) رسالة الغفران ص ٣٦١ .
(٣) رسالة الغفران ص ٣٦٤ .

وهذا قد يكون مقبولاً إذا أخذنا الأمر على ظاهره ، ولكن ألمثل هذا قصد أبو العلاء ؟ وهل تحتاج قضية الرجز والشعر مثل هذه الوقفة على ما تردد حولها من أقوال النقاد ، وكلها تذهب إلى تفضيل الشعر .

لعل ما يضئ لنا هذا الموقف هو ما بقى لنا من أرجوزة لابن القارح أوردها ياقوت فى معجمه ، وكان يمدح بها الحاكم بأمر الله الفاطمى ، تقول :

إن الزمان قد نَضَرْ   بالحاكم الملك الأَغَرْ
فى كفه عضبٌ ذكَرْ   فقد عدا على القَصَر
من غَرِّه على الغُرَرْ   يَمْضِى كما يمضى القَدَر[1]

كان الرجل ـــ إذن ـــ من الرجاز ، ولا ريب أنه نظم عديداً من الأرجاز ورصعها بغريب اللغة كما تنبئ أشطاره التى رواها ياقوت .

فى ضوء ذلك لابد أن يكون لنا توجيه آخر لقول رؤبة فى الغفران مخاطباً ابن القارح :

« أجئت لخصامنا فى هذا المنزل ، فامض لطيتك ، فقد أخذت بكلامنا ما شاء الله »[2] .

وسنفهم أيضاً أن أبا العلاء نفث ازدراءه لأرجاز ابن القارح فى العبارة التى أوردها على لسانه :

« أقسمت ما يصلح كلامكم للثناء ، ولا يفضل عن الهِنَاء »[1] .

★ ★ ★

---

(١) معجم الأدباء حـ ١٥ ص ٨٧ ، القصر : أعناق الناى والإبل . والغر : حد السيف .
(٢) رسالة الغفران ص ٣٧٧ .
(٣) رسالة الغفران ص ٣٧٧ .

وإذا كان هذا شأن أبى العلاء فيما أثاره من قضايا الأدب والنقد فلاشك أن هذا شأنه أيضاً فيما أثاره من مسائل اللغة فقد وظفت هى الأخرى للإيماء ، وتهكم أبو العلاء بصاحبه من خلالها ما شاء له التهكم ، فالرحلة على امتدادها فى الغفران كانت درساً لغوياً لابن القارح ، لكن ما يهمنا هنا هو أن نرى كيف وظف أبو العلاء هذه المحاورات اللغوية للتعريض بصاحبه ، ونضرب على ذلك مثلاً بما دار حول « إوَزَّة » إذ يقول أبو عثمان المازنى لعبد الملك بن قُرَيْب الأصمعى : « يا أبا سعيد ، ما وزن إوَزَّة ؟ » ، فيقول الأصمعى : « **ألى تعرض بهذا يا فُصْعُل وطال ما جئت مجلسى بالبصرة ، وأنت لا يرفع بك رأس** » ... ويحتدم النقاش ، ولا يقنع المازنى برأى الأصمعى ، فيقول الأصمعى :

رَيَّشْت جُرْهُمْ نَبْلاً فَرَمَى جُرْهُماً منهنّ فُوقٌ وغِرَار

« **تبعتهم مستفيداً ، ثم طعنت فيما قالوه معيداً ، ما مثلك ومثلهم إلا كما قال الأول :**

أعلمه الرِّمَايَةَ كلَّ يَوْمٍ فلما اسْتَدَّ ساعِدُه رَمَانى[1]

والمسألة ــ كما ترى ــ كلها تعريض بجحود ابن القارح لأصحاب الفضل عليه ، ولا ننسى أن ابن القارح كان ــ كما قال هو ــ يختلف إلى أبى الحسن المغربى فى حلب ، ويتلقى عنه .

★ ★ ★

ونقف وقفة أخيرة عند هذا السؤال الذى سأله إبليس لابن القارح :

---

(١) رسالة الغفران ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

« إن الخمر حرمت عليكم فى الدنيا ، وأحلت لكم فى الآخرة فهل يفعل أهل الجنة بالولدان المخلدين فعل أهل القريات ؟ »[1]

ولعل هذا السؤال — مع أن أبا العلاء أورده على لسان إبليس، — أغضب كثيراً من أهل الغيرة الدينية ممن لم يفهموا مغزاه ، وأبو العلاء فيما نرى لم يقصد إساءة للدين ، أو استخفافاً به . وهو كما قلنا غير مرة لا يصور جنة أخروية ، إنما هى جنة ابتدعها لابن القارح وله منها مآرب أخرى .

ولعلنا نفهم مغزى هذا السؤال الإبليسىّ إذا قرناه بصورة أخرى فى مفتتح رحلة الغفران ، إذ يقول أبو العلاء :

« فقد غُرس لمولاى الشيخ الجليل — إن شاء الله — بذلك الثناء شجرٌ فى الجنّةِ لذيذُ اجتناء ، كلُّ شجرةٍ تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظلٍّ غاط ، ليسِ فى الأعَيُن كذات أنْواط ، ... والوِلْدانُ المخلّدون فى ظلال تلك الشجر قيامٌ وقعود ، وبالمغفرة نِيلت السُّعُود »[2] .

هكذا كان الولدان أول ما أظهره أبو العلاء فى جنته التى صنعها لابن القارح ... وكان الولدان محور سؤال إبليس له .

وقد علمنا من أسلوب أبى العلاء فى التعريض السؤال يوجهه لابن القارح على لسان شخوص الغفران ، والسؤال يسأله ابن القارح يبدى من خلاله اهتماماً بموضوع ما ، هو عين ما يراد التلويح به ، وما نظن سؤال إبليس إلا تعريضاً من أبى العلاء بهذه الرذيلة فى الشيخ .

وفى هذا السياق ربما نفهم سر اهتمام الشيخ بأن يسأل تأبط شراً عن نكاح الغيلان ، وعن أبياته التى يقول فيما :

(١) الغفران ص ٣٠٩ .

(٢) رسالة الغفران ص

أنا الذى نَكَحَ الغِيلانَ فى بَلَدٍ ما طَلَّ فيه سِمَاكِىٌّ ولا جادا
فى حيث لا يَغْمِتُ الغادى عَمَايَتَه ولا الظَّليمُ به يَبْغِى تِهِبَّادَا[1]

ولعل أبا العلاء يورى بكلمة الغيلان عن الغلمان ولا غرابة فى ذلك فمن أساليب الإلغاز التى عرفناها عن عصره استخدام الكلمة محرفة أو مصحفة .

ولعل ما يرجح هذا الفهم لمقصد أبى العلاء ويقويه ما نجده فى القسم الثانى من الغفران حينما أخذ أبو العلاء يتهكم بابن القارح الذى يطلب غلاماً لخدمته .

يقول : « **وحدثنى ابن القِنَّسرى المقرئ أنه سمعه يسأل عن غلام للخدمة ، وربما كان استخدام الأحرار يمنع من القرار** »[2] .

وتتوالى بعد ذلك العبارات مفعمة بالرمز ، مليئة بالكناية والتعريض « **وأن يخدم نفسه الوحيد ، خير من أن يلج بيته العبيد** »[3] .

وحسبنا هنا أن نلفت إلى « يخدم نفسه » و « يلج بيته » ، وما يقصده أبو العلاء من ورائهما .

ونسوق إليك ما ذهب إليه أبو العلاء من تصوير لواحد من الغلمان :

ورب نازل من الأدب فى خانٍ ، ليس بالخائن ولا المستخان يخدُمه صبىٌّ من الرِّقِّ حر ، وفى خدمته السَّرَقُ والضُّرُّ ، إذا أرسله بالبِتَكِ ــ بناتِ الدرهم ــ ليأتيه بالطُّبَيخة حيث يكثُر الطُّبَيخ ، ويتيحُ سعرَه المشتعَل مُتيح ــ سرق فى السبيل القِطَع ، وانتهى فى الخيانة وتنطَّع ، ثم وقف بالبائع

(١) رسالة الغفران ص ٣٥٩ .
(٢) رسالة الغفران ص ٥٠٥ .
(٣) رسالة الغفران ص ٥٠٥ .

فَعَبَنَه غَبْن الرائع ، فأخذ صغيرةً من طبيخ ، لا تلقى الناظر بمثل الوَرْس اللطيخ ، ثم انصرف بها لاعباً ، كأنما هَدَى كاعباً ، فلم يزل يتلقفُ بها فى الطريق ، حتى كسرها بين فريق ، فاختلط حبها بالحصباء ، وزَهِد فى قربها كل الأرباء ، ويجوز أن يحملها فى حال السلامة ، ويمضى ليسبح مع الفتيان ، فإذا نزل فى الماء اختطفها بعضُ العَرَمَةِ من الصبيان ، فأكلها وهو يراه ، لا يحفل بأديمها إذ فراه ، وقد يرسله بالغضارة (الصحفة المتخذة من الفخار) يلتمس لبناً ، فيقابل من سوء الرأى غَبَناً ، فإذا حصل فيها الهُدَبِد (اللبن الخاثر) ، عَثَر فإذا هو على الصحراء مُتَلَبِّد ، وصارت الفخارة خزفاً لا يراد ، يلغيه النَّسَكَةُ والمرّاد »[1] .

إنه — كما يحكى ظاهر العبارة — غلام سيئ الخلق ، أرسله صاحبه ليشترى له بطيخة فاحتجن لنفسه بعض مال سيده ، ثم لم يكن حريصاً — حتى — فى المتبقى ، إذ غبنه البائع ، وباعه بطيخة صغيرة ، مضى بها الغلام متلكئاً ، غير عابئ بحاجة سيده ، إنما هو يتلقف بها حتى يكسرها ، أو قد تراوده فكرة السباحة ، فإذا نزل ليسبح تسلط عليه بعض عرمة الفتيان فغصب البطيخة وأكلها ، وقد يبعثه سيده ليشترى له اللبن ، فإما أن يعود بعد أن يتخثر ما معه من لبن ، وإما أن يعثر فتسقط منه صفحة الفخار فيتلبد لبنها على الأرض .

ونسأل ما أمر البطيخ ، وعرمة الفتيان ، واللبن المتخثر ، وهذا الغلام الذى يسئ التصرف فى مال سيده .

---

(١) رسالة الغفران ص ٥٠٦ .

وربما يلقى لنا أدب العصر بعض إضاءة هذا النص الملغز ، يقول الثعالبى : إن أدباء العصر كانوا يكنون عن الغلام الذى يخون سيده ، ويسلم نفسه لغيره حتى يتسع أمره بأنه غلام يسئ التصرف فى مال سيده ، ويورد لنا من شواهد هذا قول أبى نصر الزنجانى فى غلام اسمه يوسف :

مضى يوسفٌ عنّا بتسعينَ دِرْهَماً وعادوثلثُ المال فى كفّ يوسفِ
فكيف يُرَجّى بعد هذا صلاحُه وقدضاع ثُلثا مالِه فى التصرف[1]

لعل أبا العلاء قصد إلى شئ من هذا ، ولعل لنا الآن توجيهاً آخر للبطيخة والصحفة المكسرة ، واللبن المتخثر . ولعلنا فهمنا مرمى قول أبى العلاء :

« فإذا نزل فى الماء اختطفها بعض العرمة من الصبيان فأكلها وهو يراه » .

على أن يراه هنا من رأى بمعنى أوقع الشده ، ويكون الضمير عائد على بعض العرمة . ، وعلى هذا أيضاً تكون العبارة بعدها دقيقة الموضع « **لا يحفِل بأديمها إذ فَرَاه** » .

ويمضى بنا أبو العلاء ، وكأنه يدفعنا دفعاً إلى أن نفطن إلى الخبئ من عبارته ، فيحكى لنا قصة هذا الغلام الذى باعه صاحبه رغم تعلق الغلام به من أجل العوم :

« وكان فى بلدنا غلامٌ لبعض الجند يزعمُ ــ ويصدق فيما يزعم ــ أنه كان مملوكاً لأبى أسامة جُنَادة بن محمد الهَرَوىّ بمصر ، وكان يأسف لفراقه ، ويعجب من جميل أخلاقه ، ويقول : إنه باعه من أجْل العوم فما أوقع غلاءً فى السوم »[2] .

(1) الكناية والتعريض للثعالبى ص ٢٣

(2) رسالة الغفران ص ٢٠٧

فما قصة السباحة والعوم التى يلاحقنا بها أبو العلاء ؟!

والسباحة وركوب البحر ، وصيده عند أهل العصر كناية عن معاشرة النساء ، ويورد الثعالبى من شواهد ذلك قول الشاعر :

لا أركبُ البحرَ ولكننى أطلب رزق الله فى الساحل[1]

فكأن « جُناده » هذا باع غلامه رغم تعلق الغلام به من أجل الزواج .

وعلى هذا ينبغى أن نقف طويلاً أمام عبارة أبى العلاء بعد ذلك :
« **وإنما ذكرت ذلك لأنه (أى ابن القارح) — عرّف الله الوقت بحياته — أى طيبه — ممن عرف « جُناده » وجربه** » فانظر إلى قوله عرفه وجرّبه ، وأى إيحاء يوحى به .

وفى إطار ذلك ينبغى أن نعيد قراءة رحلة الصيد البرية التى قام بها ابن القارح فى غفران أبى العلاء مرافقاً لعدى بن زيد العبادى إذ يركبان سابحين من خيل الجنة وتنتاب ابن القارح شهوة الصيد ، ونترك أبا العلاء يقص علينا ذلك :

> **« فإذا نظر إلى صِوارٍ (قطيع البقر) ترتّعُ فى دَقارِىّ الفردوس — والدقارىّ : الرياض — صوب مولاى الشيخ المِطْرَد — وهو الرمح القصير — لأخنسَ ذَيَّالٍ . قد رتع هناك طويلَ أيَّامٍ وليال ، فإذا لم يبق بين السِّنَان وبينه إلا قِيدُ ظُفُرٍ قال : أمسك — رحمك الله ، فإنى لست من وحشِ الجَنَّةِ التى أنشأها الله سبحانه ، ولم تكن فى الدار الزائلة ، ولكنى كنتُ فى مَحلّةِ الغرور أرود فى بعض القفار ، فمر بى ركب مؤمنين ، قد كَرَى (نفد)**

(١) الكناية والتعريض ص ٢٣

رادهم ، فصرعوني واستعانوا بي على السفر
فعوضني الله — جلت كلمته — بأن أسكنني في دار
الخلود »[١]

ويعرض ابن القارح لعلج آخر فيقول له قريباً من هذا القول . فيقول الشيخ وقد ضاق مما يرى

« فينبغي أن تتميَّزْن . فما كان منكنّ دخل الفانية فما يجب أن **يختلط بوحوش الجنة** » فيرد عليه الوحشي « **لقد نصحتنا نصح الشفيق ، وسوف نمتثلُ ما أمرت** »[٢]

وبداية نشير إلى أن صيد البر كان يكنى به عن الولع بالغلمان ، وكان يقال للرجل المغرم بالغلمان : « فلان يؤثر صيد البر على صيد البحر »[٣] .

ونعود لصيد ابن القارح فنراه يترك إناث البقر ويتجه للذكران ، ولعلنا ندرك دقة كناية أبي العلاء إذ جعل سلاح الشيخ مطرداً ، ولم يكتف بذلك بل راح يفسر الكلمة كأنه يلمح إلى ما يريد « المطرد وهو الرمح القصير » .

ثم لعلنا ندرك أيضاً لم اختار أبو العلاء عدي بن زيد ليجعله صاحب أبي العلاء في هذه الرحلة ، فمن المعروف أن عدي بن زيد كان يقطن الحيرة ، والحيرة كانت تعيش حضارة الفرس ، وعن الفرس — فيما يقال — تفشى هذا الداء

ونسأل : ماذا بقي في شخصية ابن القارح لم يمزقه أبو العلاء ؟!

★ ★ ★

---

(١) رسالة الغفران ص ٣٠١
(٢) رسالة الغفران ص ٣٠٨
(٣) الكناية والتعريض للثعالبي

الفصل الرابع
الغفران وقضايا المعتقد

— ١ —

على الرغم مما نراه فى القسم الثانى من رسالة الغفران من هجوم أبى العلاء على غير فرقة من فرق الشيعة ، فإنه يبقى من اللافت للنظر ذلك التلوين الشيعى الذى لون به أبو العلاء جنته التى صنعها لابن القارح ، فنرى — عليا رضى الله عنه — هو الذى يخلص الأعشى من أيدى الزبانية ، ويتبنى عرض موقفه بين يدى رسول الله — ﷺ — ، حتى ينجو به من النار ، ويدخله الجنة[١] .

ونمضى — بعد ذلك — لنقف على ما يحكيه ابن القارح من قصة دخوله الجنة ، وكيف أن حمزة بن عبد المطلب أنفذ معه كتابا إلى علىّ — رضى الله عنه — ، وكيف عاونه « علىّ » رضى الله عنه على إثبات توبته بعد أن فقد كتابها ، ثم توقف بعد ذلك فى أن يدخله الجنة قبل الموعد المحدد ، وقال له : « **إنك لتروم حَددا ممتنعا ، ولك أسوةٌ بولد أبيك آدم** »[٢] .

ويمضى ابن القارح مستنجداً بالعترة المنتجبين أن يتوسلوا لدى مولاته « فاطمة » ، ويرى أن حرمته ووسيلته إليهم أنه كان يكتب فى آخر كل كتاب يفرغ منه « **وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى عترته الأخيار الطيبين** »[٣] .

وتتداعى الأحداث حتى نرى ابن القارح داخلا إلى الجنة ، متعلقا بأذيال الركب الفاطمى ، مجتازا الصراط — كما أسلفنا — على ظهر جارية من جوارى السيدة فاطمة تحمله « زقفونه » أى طارحاً يديه

(١) رسالة الغفران ص ١٧٨ وما بعدها .
(٢) رسالة الغفران ص ٢٥٧ .
(٣) رسالة الغفران ص ٢٥٧ .

على كتفيها وهى تمسك بيديه ، وبطنه إلى ظهرها»[١] .

ونقف فى جنة الغفران ـــ بعد ذلك ـــ على ظلال شيعية أخرى ، وإن كانت أقل بروزا ، وأكثر اعتدالا ، منها ما يحكيه الشاعر « تميم بن مقبل » الذى كان فى صف معاوية من أمره مع النجاشى الحارثى صاحب « علىّ » ـــ رضى الله عنه إذ يقول :

« **وانبرى لى النجاشى فما أفلتُّ من اللهب حتى سفَعَنِى سفعات** »[٢] ثم نسمع « أبا هدرش » فى جنة العفاريت يصم أصحاب الجمل بالجهل ، ويفتخر بنصره لعلىّ ـــ رضى الله عنه ـــ فى « صفين » وفى « النهروان » :

والجمَلُ الأنكَدُ شاهدته … بئس نتيجُ الناقةِ العنتريسْ
بين « بنى ضَبَّةَ » مستَقْدِماً … والجهلُ فى العالم داءٌ نجيسْ
وزرت « صفين » على شَطْبَةٍ … جرداءَ ما سائسُها بالأرِيس
مُجدِّلاً بالسَّيْفِ أبطالَها … وقاذِفاً بالصَّخْرَةِ المرمريسْ
وسرت قدّام علىٍّ غداة النهر، حتى فُلَّ غَرْبُ الخميس[٣]

هذا عدا ما تثيره رحلة الغفران من قضايا أخرى تتعلق بالمعتقد .

★ ★ ★

واختلفت نظرة الباحثين إلى هذا التلوين الشيعى فى الغفران ، فالدكتوره عائشة عبد الرحمن ترجعه إلى « عمق تأثره (أى أبى العلاء) بفوضى الحياة الدينية فى عصره »[٤] .

---

(١) رسالة الغفران ص ٢٥٧ وما بعدها .
(٢) رسالة الغفران ص ٢٤٧
(٣) رسالة الغفران ص ٣٠٣ .
(٤) الغفران لأبى العلاء ، دراسة نقدية ص ٢٩ .

ولا نعرف ، على وجه التحديد ما يعنيه عمق التأثر بفوضى الحياة الدينية ، أيعنى أن أبا العلاء اختلطت عليه المذاهب حتى تشوش معتقده ، فجمع بين معتقد أهل اليمين ومعتقد أهل اليسار ؟ وإلا فما مفهوم عمق التأثر هذا ؟....

أما أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام فيقول فى معرض حديثه عن رسالة الغفران : « وتجدر الإشارة هنا إلى ما جاء من ذكر لعلى بن أبى طالب ، وصحبته للنبى عندما استغاث به من أرادوا شفاعته فبعث إليهم بعلى بن أبى طالب ... والعصر غلب عليه التشيع ، بل إن أبا العلاء نفسه وقع فى دائرة الفاطمية »[1] .

والعبارة دقيقة الصياغة فهى وإن وضعت أبا العلاء فى دائرة الفاطمية فقد تركت حيزا كبيرا للتشكك فى ما أخذه أبو العلاء من الفاطميين ، فضلاً عما وشت به من الفصل بين المعتقد والفن .

على أننا ــ وبعد هذه الرحلة مع الغفران ــ نطرح القضية طرحاً آخر فنقول : أليس من الجائز أن تكون هذه الظلال الشيعية فى الغفران لوناً من ألوان الأداء الفنى قصد بها الوصول بالسخرية من ابن القارح إلى ذروتها ؟...

غير أننا لا نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال ، ونمضى فى التعرف على دور هذا التلوين الشيعى فى الأداء الفنى دون أن نتحرى موقف أبى العلاء من التشيع أولا ، ثم موقف ابن القارح ثانياً .

---

(١) الأدب فى العصر الفاطمى ص ٢٧٤ .

أما أبو العلاء فلا نعرف واحدا ممن ترجموا له وصفه بالتشيع إلا « العباس المكى » فى كتابه « نزهة الجليس ، ومنية الأديب والأنيس » حيث أورد بيتين من لزوميات أبى العلاء وهما :

لقد عجبُوا لأهلِ البَيْتِ لما ... أتاهم علمهم فى مَسْكِ جفرِ
ومرآةُ المنجِّمِ وهى صغرى ... أرته كل عامرة وقفـر

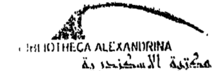
ثم علق عليهما قائلاً : « هذان البيتان على تشيع أبى العلاء يدلان »[1] على أننا حتى لو أخذنا البيتين على ظاهرهما لم نخرج بما خرج به العباس المكى ، وقد لا نرى فيهما إلا عجبا من أولئك الذين يصدقون حديث النجوم ، وإلا أن أبا العلاء ــ على طريقته المعهودة فى السخرية ــ قد وضع المؤمنين بالجفر ، والمنجمين فى دائرة واحدة .

على أن البيتين ــ بعد ــ مقتطعان من جملة أبيات ، وحتى نتبين معناهما على وجه الدقة لابد من وصلهما بما اقتطعا منه ، والأبيات بتمامها هى :

رأيت الحتف طوّفَ كلَّ أفقٍ ... وجابَ الأرضَ من مصرٍ وكفرِ
وكيف يُثَمِّرُ الإنسانُ وفراً ... ولم يَخْرُجْ من الدنيا بوفْـر
ولم أر مثلَ أيّامى سراعا ... خيول فوارسٍ وركاب سَفْر
لقد عجبوا لأهلِ البَيْت لما ... أتاهم علمهم فى مسك جفر
ومرآة المنجم وهى صغرى ... أرتـه كل عامِرَةٍ وقفـر[2]

إن أبا العلاء يتحدث عن الموت الذى يطوّف كل أفق ، وعن الدنيا الفانية التى لا يخرج منها الإنسان بشئ ، ويزهده ذلك فى كل شئ ، فهى أيام تمضى مسرعة كأنها خيل فوارس أو ركاب مسافرين .

(١) انظر تعريف القدماء بأبى العلاء ص ٣٥٣ .
(٢) اللزوميات جـ ١ ص ٣٧٥ .



هذا ما يحدثنا عنه أبو العلاء فى الأبيات الثلاثة الأولى . ألا ترى أن انتقاله بعد ذلك إلى الحديث عن أهل البيت ومرآة المنجم انتقال لا يستدعيه السياق ، إلا إذا كان « أهل البيت » و « الجفر » شيئاً آخر غير ما فهمه العباس المكى .

إننا وقد صحبنا أبا العلاء ندرك غرامه بالتلاعب اللفظى ، وبإطلاق الألفاظ لها ظاهر غير مقصود وباطن مقصود ، وإن من يقرأ « زجر النابح » لأبى العلاء يجد أن أبا العلاء يحدثه عن فنون من هذا الإلغاز كالقلب ، والعكس ، وما إلى ذلك .

والذى نراه أن أبا العلاء يقصد بأهل البيت أهل الدنيا ، إذ الدنيا بيت لأهلها ، ويقصد بمسك الجفر المعنى اللفظى المباشر وهو « جلد الشاة » إذ « المسك » هو « الجلد » و « الجفر » هى الشاة .

وكأن أبا العلاء يقول : إنه لا ينبغى أن نعجب لأهل هذه الأرض إذا علموا زوال دنياهم ، وفناءها فى جلد شاة ذبحت أو نفقت فمرآة المنجم الصغرى تريه الكون الأكبر ، أى أن فناء الشاة إيماء بفناء الدنيا كلها . هذا ما يقصده — فى ظننا — أبو العلاء لا ما تبادر إلى ذهن العباس المكى .

على أن العباس المكى يمضى فيقول : ومما يدل على تشيعه أيضاً قوله :

أمر الخالق فاقبل ما أمرْ واشكر الله إن العذب أمرْ
أضمِر الخيفة ، واضمرُ قلما أحرز الطِّرف المدى حتى ضمر
أيها الملحد لا تعصِ النهى فلقد صح قياسٌ واستمر
إن تعد فى الجسم يوماً روحُه فهو كالربع خلا ثم عمر
وهي الدنيا أذاها أبـدا زُمَرٌ واردةٌ إثـر زُمَـر
يا أبا السبطين لا تحفل بها أعتيق ساد فيها أم عمر

عجبا للدهر صبح ودجى ونجوم وهلال وقمر[1]

ولسنا ندرى أىّ تشيع فى هذه الأبيات ، الآنّ أبا العلاء تعرض لأبى السبطين وعتيق وعمر ؟ إن البيت الذى أتى فيه ذكر أبى السبطين جاء على سبيل التمثيل لا على سبيل التأساء كما وهم العباس المكى ، إن أبا العلاء يريد أن يقول إذا كان أذى الدنيا لا ينقطع ، وكان هذا شأنها ، فهى لا تستحق صراعا حولها ، وأولى بمن كان فى مكان أبى السبطين ألا يحفل بمن ساد ، وحسبه أنه سيتركها ، ويخلص من أذاها .

إذن فقد وهم المكى فى فهمه لأبى العلاء ، وخرج علينا بدعوى فى تشيع أبى العلاء لم يسبقه إليها أحد ، ولكن لعلنا نلتمس عذرا للمكىّ إذا علمنا أنه حسينى موسوى فلعله أراد أن يعطف أبا العلاء إلى فريقه ، ويدخله فى زمرته .

وإذا كنا فى مجال تحرى معتقد أبى العلاء فربما كنا بحاجة إلى مراجعة لزومياته ، فإنه لم يتلزم فيها بما لا يلزم التزامه من حروف القافية فحسب ، وإنما التزم فيها أيضاً الصدق بمعنى ألا يقول غير ما يعتقد أو على حد قوله فى وصفها : « **أبنية أوراق ، توخيت فيها صدق الكلمة ، ونزهتها عن الكذب والميط** »[2] .

وفى اللزوميات نرى أبا العلاء يشن هجوماً شديداً على الباطنية ، ويتهمهم بالإباحة ، ويرى أن ما هم فيه خير منه الجاهلية ، وأن تعظيمهم لبعض الأحجار خير من تعظيمهم ائمتهم :

ما للمذاهب قد أمست مغيَّرةً لها انتسابٌ إلى القدّاح أو هجرِ
قالوا: البريّةُ فوضى لاحساب لها وإنما هى مثلُ النبت والشجرَ
فالجاهلية خيرٌ من إباحَتِهم سجيةالحارث الحّرابِ أو حُجُر

---

(1) أورد المكى الأبيات محرفة فى بعض الكلمات ، وقد أوردناها فى روايتها الصحيحة كما وردت فى اللزوميات ، انظر اللزوميات حـ ١ ص ٤١٠ وقارن برواية المكى « تعريف القدماء ص ٣٥٣ » .
(2) اللزوميات حـ ١ ص ٣ .

فما أفادوا سوى إحلال نسوتهم معرّضاتٍ لأهل الباطن الفجر
وإن أحسنَ من تعظيمهم رجلاً صغرا من الحِكَمِ التعظيمُ للحجر[1]

ويعود مرة أخرى لمهاجمة ما زعمه الإسماعيلية من الظاهر والباطن ، ومن أن ظاهر القرآن رمز لباطن يعلمه الأئمة :

لقد كذب الذين طَغَوْا فقالُوا أتى من ربنا أمرٌ برمز
ألم ترنى عرفتُ وعيدَ ربٌّ أقلَّ تكلمى وأطالَ ضَمْزِى[2]

وفى موضع آخر نراه ينزع عن علىّ رضى الله عنه ما زعم له الشيعة من تفوق على سائر البشر :

لا يفخرّنَّ الهاشمىُّ على امرئ من آل بربر
فالحق يحلف ما علـــــــىّ عنده إلا كقنْبر[3]

و « قنبر » هو خادم على رضى الله عنه .

ويسخر أبو العلاء من أولئك الذين يدعون قيام إمام غائب ، ويرى أن العقل هو ما ينبغى أن يأتم به الإنسان فى كل أموره :

يرتجى النّاسُ أن يقومَ إمامٌ ناطقٌ فى الكتيبةِ الخرساء
كذَبَ الظنُّ لا إمامَ سوى العقـــــلِ مشيراً فى صبحه والمساء[4]

بل إن أبا العلاء يومىء من طرف خفى إلى أن مقتل الحسين أو غيره من آل البيت شارك فيه الأشياع والأعداء على حد سواء ، ونفهم ذلك من حديثه عن النصارى واليهود وتوافقهم على قتل المسيح ، والمعرى كثيرا ما يسقط ما يريد قوله فى المسلمين على اليهود ، أو على النصارى ، أو عليهما معاً ، يقول :

---

(١) اللزوميات حـ ١ ص ٣٦٦ .
(٢) اللزوميات حـ ٢ ص ٨ .
(٣) اللزوميات حـ ١ ص ٤٠٩ .
(٤) اللزوميات حـ ١ ص ٥١ .

توافقتْ اليهودُ مع النصارَى على قتلِ المسيح بلا اختلافِ
وما اصطلحوا على تركِ الدنايا بل اصطلحوا على شُربِ السُّلَافِ
تلافيناهــم بالقـــول فيــه فجاءهم التلافى بالتـلاف(١)

فإذا كان هذا رأى أبى العلاء فى الشيعة ، وعدم تبرئته لهم من قتل أئمتهم ، فهل نظن أنه يجنح لما اعتقدوه ؟!

وإذا تركنا لزوميات أبى العلاء إلى رسائله ربما توقفنا كثيراً عند هذه الرسائل المتبادلة بينه وبين هبة الله الشيرازى داعى دعاة الفاطميين ، والتى تكشف عن هوّة عميقة فى الرؤية ، وفى المعتقد بينه وبين هبة الله ، ومن طرف خفىّ حاول أبو العلاء أن يصم هبة الله بالإلحاد ، كما حاول هبة الله شيئاً من ذلك ، وانتهى الأمر بأن يئس هبة الله من أبى العلاء ، ووصف المحاورة التى دارت بأنها مثل « حديث الطرشان » لأن طرفيها لا يلتقيان(٢) .

هذا أمر أبى العلاء مع التشيع فماذا عن أمر ابن القارح ؟

(١) اللزوميات حـ ٢ ص ١١٧ .

(٢) راجع هذه الرسائل بتحقيق الدكتور إحسان عباس . وراجع كذلك الفصل الذى كتبه الدكتور إحسان عباس فى مقدمة هذه الرسائل فى رسائل أبى العلاء المعرى تحقيق الدكتور إحسان عباس نشر دار الشروق حـ ١ .

— ٣ —

عرفنا أن آل المغربى هم الذين مهدوا لابن القارح فى مصر ، وهيأوا له أن يكون مؤدباً لأولاد بعض قوّاد الفاطميين مثل أولاد القائد حسين بن جوهر . وربما كان السؤال هنا ؛ هل كان يسمح أولئك القواد الذين حملوا على عاتقهم عبء الدعوة الفاطمية لرجل أن يؤدب أولادهم إلا إذا كان على معتقدهم موقنا به أو متظاهرا ؟...

لا نظن إلا أن ابن القارح ، وقد أراد الحظوة لدى الفاطميين ، قد أظهر أنه على معتقدهم ، وربما بالغ فى إظهار هذا المعتقد ، والتخلق به .

قد يكون هذا حكماً متعجلاً يحتاج إلى دليل ، وقد لا تسعفنا أخبار ابن القارح بمثل هذا الدليل ، ولكن مراجعة متأمله لما تبقى من أرجوزته التى مدح بها الحاكم بأمر الله والتى سبقت الإشارة إليها ينبىء عن كثير ، ولنعد إلى قراءة ما نظم ابن القارح :

إن الزَّمَانَ قد نَضَر ... بالحاكم الملكِ الأُغَرّ
فى كفه عَضْبٌ ذَكَرْ ... فقد عدا على القَصَر
من غرِّه على الغرر ... يمضى كما يمضى القدر
فى سرعة الطرف نظر ... أو السحاب المنهمر

ولعل ما استوقفنا كثيراً تركيز ابن القارح على سيف الحاكم بأمر الله الذى يمضى على رقاب الناس كما يمضى القدر ، وعَجِبْنا من ابن القارح يجعل قتل الحاكم للناس بطولة ومفخرة ، إذ كان أولى أن يكون هذا السيف موجهاً للأعداء الحاكم لا لأبناء شعبه فعلى هذا مضى المادحون قبل ابن القارح .

وقد يمر قارىء على هذه الأبيات فلا يرى فيها إلا مبالغة من مبالغات الشعراء ، وشطحة من شطحاتهم ولكن الأمر يتغير كثيراً إذا عرفنا ما

أحاط بعصر الحاكم من ملابسات ، إذ تمس الأبيات قضية بالغة الخطورة ، فالحاكم فى مرحلة من مراحل حكمة حاول تحقيق ما تستهدفه الدعوة الإسماعيلية من تحقيق قيامة عظمى تلغى جميع الديانات والشرائع ، وزعم — فيما يقال عنه — أن الإله الواحد نزل من عليائه فتجلى فى ناسوته ، ومن هنا يرى بعض الباحثين أن الحاكم عمد إلى الإكثار من سفك الدماء للإيحاء بأنه هو وحده قادر على أخذ الحياة ممن يشاء ساعة يشاء[1] .

أرأيت — إذن — إلى هذا الوتر المستفز الذى أصابه ابن القارح ، أو الذى سعى لإصابته .

على أن ياقوت — فى ظننا — أورد من أبيات ابن القارح أكثرها اعتدالا ، وهذا دأب كثير من المؤلفين فيما بعد عصر الفواطم ، ولا ريب أنه لو ذكر سائر القصيدة لرأينا فيها من معتقد الشيعة الإسماعيلية الشئ الكثير .

على أن ما يعزز رأينا فى تشيع ابن القارح وتعلقه بأذيال الإسماعيلية ما يلمح إليه أبو العلاء وهو تلميح مقصود من أن ابن القارح كان يذيل كل كتاب يفرغ منه بالصلاة على الرسول وعترته الأخيار الطيبين[2] .

وعلى هذا ينبغى أن نفهم مغزى هجوم أبى العلاء فى القسم الثانى من الغفران على ميمون القداح ، وما كانت تدين به بعض فرق الشيعة من دعوى التناسخ فماذاك إلا لمز لابن القارح فى معتقده .

وتلفتنا عبارة فى غفران أبى العلاء أوردها على لسان الحيّة القارئة فى حوارها مع ابن القارح تقول :

(١) انظر الجامع فى أخبار القرامطة د . سهيل زكار حـ ١ ص ٩٩ ط بيروت ١٩٨٧ .

(٢) رسالة الغفران ص ٣٧٢ .

« ولو أقمت عندنا إلى أن تخبر ودنا وإنصافنا ، لندمت إن كنت فى الدار العاجلة قتلت حيَّةً أو عثمانا »[1] .

وكان ما لفتنا أن أبا العلاء استخدم « عثمانا » وكان فى إمكانه أن يستخدم « ثعبانا » والكلمتان بمعنى واحد ، ولأنا تعودنا من أبى العلاء أنه يدس ما يريد التلويح به فى ثنايا حواراته قدرنا أن وراء العبارة مغمزاً، وفطنا أخيراً إلى التعمية فى كلمة حيّه ، فقد أرادها أبو العلاء من « الحياة » وعليه تكون « حيّة » مرادفاً فى المعنى لـ « عائشة » . وتكون العبارة على هذا :

« لندمت إن كنت فى الدار العاجلة قتلت عائشة أو عثمانا » . وكأن أبا العلاء يلوح لابن القارح على لسان الحية بما كان يأتيه من سب عائشة وعثمان ومعهما بالطبع سائر الصحابة على ما يفعله غلاة الشيعة .

لا ريب عندنا إذن فى أن ابن القارح كان على صلة بالمعتقد الإسماعيلى ، وأنه تظاهر به فى المدة التى قضاها فى بلاط الفواطم ، أما أنه كان يؤمن به فهذا ما نشك فيه ، فرجل مثل ابن القارح ، وبمثل أخلاقه من الوصولية والانتهازية لا يمكن أن يخلص لمبدأ أو معتقد ، وربما كان من المفيد هنا أن نلمح إلى نشأته فى كنف آل المغربى ، وآل المغربى كانوا شيعة اثنا عشرية ، ونقدر أن ابن القارح مضى على مذهبهم ثم انتقل عنه متظاهرا بالمذهب الإسماعيلى حينما اتصل بالبلاط الفاطمى ...

وصفوة القول أن الرجل فى اعتقادنا شيعىّ متقلب الأهواء ، ينتمى إلى أى المذاهب يبلغه ما ينشده من حطام الدنيا .

وسنرى أن أبا العلاء كان بارعاً فى السخرية من ابن القارح إذ وظف له جملة من معتقدات الشيعة فيها ما يخص الإسماعيلية ، وفيها ما يخص غيرها من الفرق ، وكان ذلك لفتا ذكيا من أبى العلاء لتقلب ابن القارح العقدى ؛ وربما فى ضوء هذا نستطيع أن نفسر سر هجوم أبى العلاء على عديد من فرق الشيعة فى القسم الثانى من الغفران .

— ٤ —

ألمحنا من قبل إلى أن أبا العلاء حينما رسم غفرانه كان فى ذهنه تلك الحياة التى عاشها ابن القارح فى بلاط الفاطميين ، وأشار فى رسالته إلى أبى العلاء إلى شئ من مباذلها حينما تحدث عن نفسه التى أمرجها فى الأعراض البوهيمية والأغراض المؤثمية .

وإذا وضعنا هذا نصب أعيننا عرفنا سر تشكيل صورة محشر ابن القارح على هذا النحو ، يدخل متعلقاً بركب السيدة فاطمة ، محمولا على ظهر جارية من جواريها ... وكأن أبا العلاء يلمح بهذا المشهد إلى سر دخول ابن القارح للبلاط الفاطمى فى مصر متعلقا بأذيال العقيدة الإسماعيلية ، وتكون هذه الجارية التى حملت ابن القارح على الصراط تجسيداً لحياته المتبذلة فى القاهرة .

وإذا كانت هذه الجنة شيعية المظهر فلا ينبغى أن يدخلها إلا شيعى ، أو على الأقل رجل أقلع عن عدائه للشيعة ، واقتص منه ، وعلى هذا رأينا الأعشى يدخل الجنة متشبثاً بأذيال على ، ورأينا تميم بن مقبل العجلانى لا ينجو من النار إلا بعد أن يسفعه النجاشى سفعات ، ورأينا أبا هدرش مقاتلاً فى صف علىّ فى صفين ، وفى النهروان .

على أننا قد نذهب مذهباً آخر فنقول إن أبا العلاء فى كل ذلك يسخر من ابن القارح ومعتقده فى أن مجرد معرفة الإمام تسقط عنه التكاليف كما يذهب فريق من الغلاة ، وفى هذا السياق ندرك مغزى ضياع كتاب التوبة من ابن القارح ، ثم نجاته مع ذلك ، بإدراكه للركب الفاطمى وتعرفه إليهم ، وتعرفهم إليه .

وإذا كنا ذهبنا إلى أن الأعشى ما هو إلا شخصية وضعها أبو العلاء ممثلة لشخصية ابن القارح ، أو مماثلة لها ، فإننا ندرك لم كان الأعشى شخصية من شخصيات جنة الغفران ، وهو لم يعتنق الإسلام ، ولم

يعمل به ، كل ما هنالك أنه نظم قصيدة كان نوى إنشادها بين يدى الرسول ، وأنه توسل بعلى فى محشرة ، والقصيدة و « علىّ » يقفان على خط مواز مع توبة ابن القارح المفقوده ، وتوسله بالركب الفاطمى ...

وعلى هذا أيضاً يمكن النظر إلى توبة « أبى هدرش » وانخراطه بعد إسلامه فى صفوف على بعد ماض طويل من العصيان .

ولا يتركنا أبو العلاء نخبط كثيراً فى هذا التيه ، ولكنه يصدع برأيه الذى ينطق به النابغة الجعدى : « **فأقسم أن دخولك الجنة من المنكرات ولكن الأقضية جرت كما شاء الله ، لحقك أن تكون فى الدرك الأسفل من النار ، ولقد صَلِىَ بها من هو خير منك ، ولو جاز الغلط على رب العزة لقلت إنه غلط بك** »[1] .

وتتسق العبارة مع كلا التأويلين ، فقد يكون أبو العلاء يرمى إلى أن وجود ابن القارح فى البلاط الفاطمى إحدى المنكرات ، وقد يكون مرماه إلى أن طمع أمثال ابن القارح فى الجنة إحدى المنكرات .

على أن مجرد ظهور السيدة فاطمة ـــ رضى الله عنها ـــ فى محشر ابن القارح ، ولقائها به فيه إيماء من أبى العلاء إلى أن عمل ابن القارح يؤهله للنار لا للجنة ، فأصل الحكاية فى معتقد الشيعة أن للسيدة فاطمة يوم القيامة وقفة على باب جهنم ، يعطيها الله سبحانه حق الشفاعة فى من ترى الشفاعة فيهم ، وذلك ـــ على حد زعم الشيعة ـــ حتى يتبين الملائكة والأنبياء والرسل وأهل الموقف موقع السيدة فاطمة من الله ، ومكانها عنده[2] .

* * *

---

(١) رسالة الغفران ص ٢٣٠ .

(٢) انظر الكشكول ليوسف البحرانى ، ط البحرين ١٩٨٦ ، حـ ٣ ص ١٤٤ .

والأمر كله فى تصوير أبى العلاء متصل بنظرية الحدود عند الإسماعيلية ، فالإسماعيلية يقوم معتقدهم على المثل والممثول ، وهم يرون أن الله خلق العقل الكلى أو « السابق » ومنه انبثقت « النفس الكلية » أى التالى ، وبالعقل الكلى والنفس الكلية خلق العالم ، وانتظم الكون ، وهما اللذان يوصفان بصفات الله سبحانه ، أما الله فلا أيس له ولا ليس ، ولا ينبغى أن يوصف بصفة ، ويقابل العقل الكلى فى العالم الأرضى النبى ، كما أن الوصى يقابل النفس الكلية ، والإمام القائم هو وريث النبى والوصى ، وهو العقل الكلى والنفس الكلية وهو — من ثم — يوصف بصفات الله سبحانه ، وهذا زعمهم[1] .

وقد أظهر لنا أبو العلاء هذا المعتقد فى صورة حية ممثلة ، ففى محشر الغفران كان النبى — ﷺ — وعلى هما القائمين بأمر القضاء ، النبى المقابل للعقل الكلى ، و « على » المقابل للنفس الكلية ...

وربما خيل لكثير ممن قرأوا رسالة الغفران أن ذلك معتقد أبى العلاء يبثه فى ثنايا صورة الغفران ، ولم يلتفتوا إلى سخرية أبى العلاء اللاذعة من هذا المعتقد التى يضمنها وصفه لابن القارح وقد أراد أن يصلح بين المتخاصمين :

« فيريد — بلّغه الله إرادته — أن يصلح بين الندماء ، فيقول : يجب أن يُحذَرَ من مَلَكٍ يعبر فيرى هذا المجلس ، فيرفع حديثه إلى الجبار الأعظم . فلا يجر ذلك إلا إلى ما تكرهان ، واستغنى ربنا أن ترفع الأخبار إليه . ولكن جرى ذلك مجرى الحفظة فى الدار العاجلة »[2] .

---

(1) انظر تاريخ الدعوة الإسماعيلية للدكتور مصطفى غالب ص ٤٣ وما بعدها ط دار الأندلس . وانظر كذلك راحة العقل للكرمانى تحقيق مصطفى غالب ص ١٢٧ وما بعدها . وكذلك كنز الولد للحامدى ص ٨ وما بعدها .

(2) رسالة الغفران ص ٢٣٣ .

هكذا يسخر أبو العلاء من معتقد ابن القارح ومن على شاكلته من الإسماعيلية ، وكأنه يقول لهم لقد جعلتم أمر السماء كأمر الأرض ، وأحوجتم الله إلى حفظة ترفع له الأخبار وهو سبحانه مستغن عن كل هذا ...

وثمة أخرى يلمز بها أبو العلاء فى معتقد المثل والممثول ، وما جرّ إليه من دعوى التناسخ عند بعض القوم ، ونرى ذلك فى رف الإوز اللائى ينتفضن فيصرن جوارى كواعب يرفلن فى وشى الجنة ، وبأيديهن المزاهر وأنواع ما يلتمس به الملاهى ...

وفى نهاية المشهد تأتى سخرية أبى العلاء إذ يعرض ابن القارح على النابغة الجعدى أن يختار له واحدة من هؤلاء الحور العين المتحولات عن خلق الإوز .

وتصل السخرية إلى ذروتها حينما يقول « لبيد » وكأنه ينطق بلسان أبى العلاء :

« إن أخذ أبو ليلى قينة ، وأخذ غيره مثلها ، أليس ينتشر خبرُها فى الجنة ، فلا يؤمن أن يسمى فاعلو ذلك أزواج الإوز »[1] . ولابد أن نقرن سخرية أبى العلاء بأزواج الأوز بسخرية أخرى مشابهه وردت فى القسم الثانى من الغفران إذ روى متندرا ما يقوله بعض النصيرية :

اعجبى أمَّنا لصَرْف الليالى   جعلت أُختنا سكينةَ فارة
فازجرى هذه السنانيرَ عنها   واتركيها ؟ وما تضم الغراره

وما يقوله الآخر :

تبارك الله كاشف المحن   فقد أرانا عجائب الزمن
حمار شيبان شيخ بلدتنا   صُيِّرَهُ جارُنا أبو السكن

(١) رسالة الغفران ص ٢٣٤ .

بدل من مشيه بحلته مشيته فى الحزام والرَّسَن[1]

إذن فحديث أبى العلاء عن قيان الإوز لم يأت من فراغ ، فإذا كانت سكينة تصبح فارة ، وإذا كان أبو السكن يصبح حمار شيخ البلدة ، فلا عجب أن تنتقل القيان من زى ربات الأجنحة ، إلى زى ربات الأكفال المترجحة كما يقول أبو العلاء ، ويكون حبل السخرية متصلاً من بداية رسالة الغفران إلى نهايته .

* * *

ويبقى مما يتصل بقضية الإمامة فى الغفران توزيع أبى العلاء لشخوصه بين الجنة والسعير ، وقد يقنع قارئ بما يراه من وضع أبى العلاء شعراء الجاهلية الذين كانوا على دين كتابى أو متوا بصلة ولو واهية للإسلام فى الجنة ، بينما وضع عبدة الأوثان مثل عنترة وعلقمة والمرقش فى النار ... وفى ظننا أن الأمر عند أبى العلاء كان أبعد من هذا ... ونشعر أنه يلوح بهؤلاء الوثنيين إلى شئ ما فى شخصية ابن القارح .

صحيح أن من هؤلاء الوثنيين من وظفه أبو العلاء توظيفاً مزدوجاً فغمز صاحبه فى لونه وخلقه ، كما ألمحنا فيما سبق ولكن يبقى أيضاً للوثنية دلالتها ، ووظيفتها .

وربما بدا الأمر ملغزا ، ولكن لماذا لا نذهب إلى أن أبا العلاء يريد أن يوضح لابن القارح أنه وثنى مثل هؤلاء ، وأن مصيره كمصيرهم . أليس رأى أبى العلاء أن من يعظم الحجر خير ممن يعظم البشر ؟ أليس من قوله الذى مر بنا آنفاً فى مهاجمته للشيعة :

وإن أحسنَ من تعظيمهم رجُلاً صفرا من الحِكَمَ التعظيمُ للحجر

(١) رسالة الغفران ص ٤٥٩ .

فإذا كان ابن القارح منتمياً إلى هذه الفرقة التى تضع الولاية وهى تعظيم الإمام وطاعته ركناً أول من أركان الإسلام ، فإنه بهذا وثنى يعتقد فى بشر ما ليس له ، ويرتفع به إلى مصاف الآلهة . والإسماعيلية وغيرهم من فرق الشيعة يرون فى الإمام أنه من طينة غير طينة البشر ، وأنه مقابل للأشرف من كل شئ فهو كالنار من العناصر ، وكالشمس من الكواكب ....

يقول أحمد بن ابراهيم النيسابوري أحد الدعاه فى عهدى العزيز والحاكم : « إن الأركان الأربعة أعلاها ، وأشرفها النار وهى الغاية والذروة التى يبلغ إليها سائر الأركان والطبائع ، كذلك الإمام فى وقته وزمانه أعلى أركان الدين ، وبه ضياء النفوس ، ومن هذه الجهة أمر إبراهيم عليه السلام بتعظيم النار إن صح ذلك عنه ، ومنهم من أخمدها وأطفأها ، وكل هذا إشارات إلى تعظيم الإمامة ، وإلى نكران من يدعى منزلتها »[١] .

ولسنا نشك فى أن أبا العلاء قرأ كل هذا ، وأحاط به علماً ، ومن هنا نفهم جانباً من هذا الحوار الذى دار بين إبليس وابن القارح ، إذ يسأل إبليس عن بشار ذاكراً يده البيضاء ، لأنه أحله فوق آدم منزلة بقوله :

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدمٍ فتبينوا يا معشرَ الأشرار
النار عنصرُه ، وآدم طينةٌ والطينُ لا يسمُو سمُوَّ النار

أليس لنا بعد ذلك أن نسأل : من إبليس هذا ؟ وماذا يمثل به أبو العلاء ؟

★ ★ ★

(١) كتاب إثبات الإمامة ، ط دار الأندلس تحقيق د . مصطفى غالب ط ١٩٨٤ . ص ٣٥ .

على أن ثمة جانباً فى غفران أبى العلاء قد يثير التساؤل ، ذلك فى تشكيله لصور الغفران ومشاهده ، وقد يرى فيه بعض الدارسين تصورا للمعاد والبعث عند أبى العلاء ... إذ نرى ابن القارح لا يخطر له خاطر إلا رآه مجسداً أمامه ، يعرض له الشوق إلى نظر سحاب كالسحاب الذى وصفه القائل :

إنى أرقت، ولم تأرق معى صاح لمستكفٍّ بُعيْد النَّوم لمَّاح

« فينبشئ الله — تعالت آلاؤه — سحابة كأحسن ما يكون من السحب من نظر إليها شهد أنه لم ير شيئاً قط أحسن منها ، محلاة بالبرق فى وسطها وأطرافها ، تمطر بماء ورد الجنة من طلٍّ وطش ، وتنشر حصى الكافور كأنه صغار البرد »[1] .

ويخطر له ذكر الفقاع الذى كان فى الدنيا فتنشأ أنهار من الفقاع ، بل يجتمع لديه كل فقاعى الجنة من أهل العراق والشام وغيرهما من البلاد[2] .

بل إننا نرى حدود الصورة متميعة ، فهى تتشكل وفقاً لهوى ابن القارح وأبلغ مثال على ذلك هذه الجارية التى خرجت له من ثمرة شجر الحور ؛ يقول أبو العلاء :

« ويخطر فى نفسه وهو ساجدٌ أن تلك الجارية — على حسنها — ضاويةٌ ، فيرفع رأسه من السجود ، وقد صار من ورائها ردفٌ يضاهى كثبان عالج ، وأنقاء الدهناء ، وأرملة يبرين وبنى سعد فيهال من قدرة الله الخبير ، ويقول : يا رازق المشرقة سناها ، ومُبَلِّغ السائلة مناها ، والذى فعل ما أعجز وهال ، ودعا إلى الحلم الجهال ، أسألك أن تقصر بوص هذه الحورية على ميل فى ميل ، فقد

(١) رسالة الغفران ص ٢٧٦ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٨٠ .

جاز بها قدرُك حد التأميل ، فيقال له : أنت مخير فى تكوين هذه الجارية كما تشاء »[1] .

ونرى أن التفاهم بين ابن القارح وبين شخوص الغفران يتم فى جانب منه على نحو التخاطر ...

يقول له عبيد : « **لعلك تريد أن تسألنى بم غفر لى ؟** »[2] ، ويلهم الله أسد القاصرة أن يتكلم وقد عرف ما فى نفس ابن القارح[3] ، وتقول له جارية شجر الحور : « **أيها العبد المرحوم ، أظنك تحتذى بى فعال الكندى** »[4] .

وأبعد من ذلك ما نراه من شخوص كلما فنيت تعود من جديد :

« **ويعبر بين تلك الأكراس ــ أى الجماعات ــ طاووس من طواويس الجنة يروق من رآه حسناً فيشتهيه أبو عبيدة مَصُوصاً ، فيتكون كذلك فى صحفة من الذهب ، فإذا قضى منه الوطر ، انضمت عظامه بعضها إلى بعض ، ثم تصير طاووساً كما بدأ** »[5] .

وشبيه بذلك « الإوزة » التى تتشكل لكل واحد من الآكلين حسبما يشتهى ثم تعود كما كانت ، وكأنها جوهر لا يفنى ، وإنما يتكرر ، ويتمثل فى أعراض .

وإزاء ما نراه من هذا كله قد يثور سؤال ، أكانت هذه الصور حقيقية أو متخيلة ، أو بمعنى آخر أكان ابن القارح يبصر هذه الصور خارجة عنه ، أم أنها كانت تتمثل له فى داخله . وهذا قد يجر إلى سؤال أبعد ؛ أكان أبو العلاء يؤمن بالبعث الروحى على معتقد

(١) رسالة الغفران ص ٢٨٩ .
(٢) رسالة الغفران ص ١٨٥ .
(٣) رسالة الغفران ص ٣٠٥ .
(٤) رسالة الغفران ص ٣٧٢ .
(٥) رسالة الغفران ص ٢٨١ .

الإسماعيلية[1] .

قد يغرى تميع الأشكال أن يبادر فريق إلى القول بأن أبا العلاء يرى أن المعاد معاد روحى ... غير أنا نرى أن تصوير أبى العلاء لغفرانه لم يخل من ثوابت حسية منها الأنهار والأشجار ، ومنها المكان والمسافة فنرى مثلاً ابن القارح يبعث بعض الخدم على ناقة من نوق الجنة ليحضر الجرادتين حيث كانتا فى أقاصى الجنة . ثم هناك أيضاً الانفعال والغضب ، الذى يصل إلى حد التصادم ، فنرى النابغة الجعدى يضرب الأعشى بكوز فى يده وكل أولئك مظاهر حسية .

ثم هناك ما يدعم أيضاً هذا الجانب الحسى من بعث الحيوان ، فنرى ثيران الوحش ، ونرى أسد القاصرة ، ونرى ذئب الأسلمى ، ونرى حية ذات الصفا والحية القارئة . فإذا كان المعاد معاداً روحيا فما وجود الحيوان فيه ، إن الإسماعيلية يرون أن الحيوان خلق لخدمة الإنسان فى الدنيا ، وينتهى إلى العدم لأنه لا يملك النفس الشريفة الناطقة التى يملكها الإنسان ، والتى هى الجوهر الخالد الذى لا يصيبه الفناء ، وبه وحده يكون المعاد[2] .

ألعل أبا العلاء أراد أن يجمع بين ما يعتقده الإسماعيلية من المعاد

---

(1) انظر هذا مبسوطا فى كتاب رسائل إخوان الصفا حـ ٢ ص ٤٩ ، وراحة العقل للكرمانى ص ٥٠٥ وما بعدها .

ولعل خير ما يمثل ذلك قول داعى الدعاة هبة الله الشيرازى :

فهو عن جوهر النفوس البسيطات ومن حيث بدؤها مسئول
فلئن كان يثبت الأصل منها فكذا نحوه يكون القفول
ولئن كان نافيا قيل مهلا فلهذى المشاهدات أصول
فثواب يكون بالأكل والشرب فذاك العذاب والتنكيل
إنما الشذ بالمآكل دفعا مضراته الشروب الأكول
وثواب الإله أمر خفى ما له فى المشاهدات عديل

ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة القصيدة الخامسة .

(2) انظر قصة جزيرة صاغون فى رسائل إخوان الصفا ، إذ هى علاج لهذه الفكرة ، رسائل إخوان الصفا حـ ٢ ص ٢٠٣ وما بعدها .

الروحى ، وبين ما يعتقده الاثنى عشرية من المعاد الروحى والجسمانى[1] ، وهذا وجه خفى من السخرية بابن القارح وتقلبه بين المذاهب ؟!

ومهما كان من أمر فليس لنا أن نستند إلى ما رسمه أبو العلاء فى غفرانه من أشكال مميعة أو ثابتة فى استنباط معتقد أبى العلاء نفسه ، فكل ما يوهم بالمعتقد فى جنة أبى العلاء موظف توظيفاً فنية إما للسخرية من تقلب ابن القارح ، وإما لبيان مثالبه وشهوانيته .

والذى لا شك فيه أن أبا العلاء لعب على محور المتميعات والثوابت فى جنته بمهارة فنية رائعة ، فمن تميع الشكل وقفنا على شهوانية ابن القارح كما رأينا من أمره مع هذه الجارية التى خرجت له من ثمرة شجرة الحور .

ومن خلال الثوابت رأينا حرص ابن القارح على الملذات أين كانت فرأيناه يرسل فى طلب الجرادتين من أقاصى الجنة .

ومن خلال بعث الحيوان رأينا أبا العلاء يفضح صاحبه ، ويجسد مخازيه ، ويعبث به ما وسعه العبث .

الأمر كله ــ إذن ــ أمر توظيف فنى للمعتقد .

★ ★ ★

يبقى بعد ذلك ما تقول به الشيعة من أن الأعواض واجبة على الله تعالى ، أى أنه إذا أصاب عبدا فى ماله أو بدنه ، وجب أن يعوضه عنه فى الدنيا أو فى الآخرة[2] .

(١) عقائد الإمامية الاثنى عشرية للسيد ابراهيم الموسوى الزنجانى ط البحرين ص ٢٠٩ .

(٢) انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية للشيخ الحافظ شاه عبد العزيز غلام الدهلوى تهذيب السيد محمود شكرى الألوسى ، ط استانبول ١٩٧٩ ، ص ٨٩ .

ولأول وهلة يبدو للقارئ أن أبا العلاء تخيل جنته على أساس من هذا المعتقد ، فالأعشى صار عشاه حورا معروفا ، وانحناء ظهره قواما موصوفا[٢] .

وحميد بن ثور الذى كان من عوران الدنيا يقول :

« إنى لأكون فى مغارب الجنّة ، فألمح الصديق من أصدقائى وهو بمشارقها ، وبينى وبينه مسيرة ألوف أعوام للشمس التى عرفت سرعة سيرها فى العاجلة »[٢] .

ونرى حمدونه الحلبية ، وتوفيق السوداء اللتين كانتا مثالا للدمامة والقبح حوريتين من حوريات الجنّة .

وقد يرى بعض الباحثين أن هذا معتقد أبى العلاء ، وأنه لا يتصور الجنة إلا على هذا النحو الذى يتم فيه تعويضه عن زمانته .

وليس الأمر عندنا كذلك ، وإنما نرى أن معتقد التعويض هذا كان وسيلة من وسائل أبى العلاء فى العبث بصاحبه ...

وقد رأينا فيما سبق كيف سخر أبو العلاء من صاحبه من خلال عوران قيس ، وكيف بين له وخم مرعاه ، ودناءة مسعاه من خلال حمدونه وتوفيق .

ورأينا أيضاً أن معتقد التعويض بالإيجاب أوحى إلى أبى العلاء بالتعويض بالسلب فإذا بالأعشى صاحب الخمر تحرم عليه الخمر فى الجنة العلائية ، ومن خلال ذلك تفنن أبو العلاء فى تجريع صاحبه مر السخرية .

* * *

(١) رسالة الغفران ص ١٧٨ .
(٢) رسالة الغفران ص ٢٦٣ .

وبعد فلا ينبغى أن نجهد أنفسنا فى استنباط معتقد أبى العلاء من رسالة الغفران ، فالأمر فى نظرنا أمر توظيف فنى لبعض معتقدات الشيعة التى تقلب بينها ابن القارح ، ثم ــ وهذا هو الأهم ــ لا ينبغى أن يغيب عنا أن أبا العلاء لم يكن يصور جنة المعتقد ، وإنما هى جنة علائية أو قل جحيم علائى سعّرَه أبو العلاء لابن القارح .

خاتمة

لعل من أهم ما حققته هذه الدراسة أنها وضعت نص الغفران فى سياقه الصحيح من الأحداث والفن ، وفى إطار هذا السياق كشفت عن جوانب كانت خافية من علاقة كل من أبى العلاء وابن القارح بالوزير المغربى ، وأوضحت أن قضية آل المغربى كانت محورا من محاور الغفران الكبرى .

وإذا كان الباحثون قد أشاروا إلى أن رسالة ابن القارح تعد مفتاحا لفهم غوامض الغفران ، فقد لفتت هذه الدراسة إلى أن القسم الثانى من الغفران ينبغى أن يكون نقطة البدء فى قراءة رسالة الغفران ، لأنه يوضح منطلق أبى العلاء ويكشف عن توجهاته . وعلى ذلك فهمنا أن جنة الغفران لم تكن الجنة التى أعدها الله للمتقين ، وإنما كانت جنة علائية ظاهرها النعيم وباطنها العذاب ، وكان كل ما فيها من شخوص ، ومشاهد مجرد وسائل وظفها أبو العلاء للنيل من صاحبه ، والعبث به ، وفضح مثالبه ومخازيه .

وفى ضوء ذلك تبين لنا أن شخوص الغفران كانت مرايا وأقنعة يبدو من خلالها ابن القارح فى نهمه وشهوانيته أو فى خسته وضعته ، كما يبدو من خلالها أبو العلاء يقرع صاحبة ، ويصب عليه سخريته صبا ، ويرميه بآبدة بعد آبدة .

ورأينا أن أبا العلاء تنوعت طرائقه فى توظيف شخصياته ، فهو يورد الشخصية لتدل على جانب محدد فى شخصية ابن القارح ، أو لتنطق بشاهد فيه تقريع أو تعنيف ، أو يلوح باسمها ، أو ببعض سيرتها ، وعلى كل حال فذكر الشخصية يعنى إحالة القارئ لكل ما عرف عنها ، وما روى من أخبارها ، ولذلك كان على قارئ أبى العلاء أن يكون على جانب كبير من الإلمام بالتراث .

وقد رأينا أن أبا العلاء لم يقنع بما أورده من شخوص تراثية سواء

من الناس أو من الحيوان ، وإنما ابتدع لصاحبه شخصية خيالية ، وأنطقها بالشعر ، وجعلها مماثلة له ، إمعانا فى السخرية ، وتفننا فى العبث فكان ما رأيناه من شخصية « أبى هدرش » فى جنة العفاريت .

★ ★ ★

وقد أوضحت هذه الدراسة فنون الإلغاز والإيماء التى استخدمها أبو العلاء بما يكوّن دلالة أخرى باطنة لنص الغفران ، ولعل أبرز ما كشفت عنه بهذا الصدد ما استخدمه أبو العلاء من « التلويح » أو « التلميح » ، فيذكر بيتا من قصيدة لا يعنيه ، وإنما يلوح بأبيات أخرى منها ، وربما كان التلويح بالقصيدة كاملة ، وكانت الأشعار الملمح إليها والملوح بها بمثابة دلالة أخرى باطنة شديدة التقريع والإيجاع .

وكانت وقفات أبى العلاء عند الأبيات المراد بها التلويح لفتا للقارىء ، وإحالة له على النص الكامل ، وتنوعت وقفات أبى العلاء فهو حينا يلفف البيت برأى نقدى ، أو يجعله موضوعا لمحاورة لغوية أو أدبية ، ومن هنا لفتنا إلى توخى الحذر فى الأخذ بآراء أبى العلاء النقدية فى الغفران ، أو اعتبارها آراء نهائية ، ففى كثير من الأحيان تكون هذه الآراء مجرد لفت أو تنبيه للقارىء ، ولا تمثل رأيا نقديا أو لغويا لأبى العلاء .

ويتضافر مع هذا العنصر عنصر آخر هو الجمل الدعائية التى ظاهرها الدعاء لابن القارح ، وباطنها الدعاء عليه ، وأبو العلاء فى ذلك يوظف مستويات الدلالة المتعددة للفظة على نهج الملاحن التى عرفت عن ابن فارس وابن دريد ، وعرفت كذلك عن أبى العلاء نفسه . وقد أورد أبو العلاء هذه الجمل الدعائية فى أبنية غريبة ، وتراكيب تحفز القارىء إلى تأمل هذه الجمل للوقوف على دلالتها الباطنة .

وقد لفتنا هذا إلى تلاعب أبى العلاء بمستويات الدلالة فى النص كله ، وإلى أخذه بألوان من التعريض والكناية شاعت فى عصره ، وكان فى الوقوف على كل ذلك كشف لكثير من غوامض النص ، ومعرفة لما يتخفى من مراميه ، ومقاصده ، مثال لذلك سواد ابن القارح وهجنته ، وهما ما لم نكن نعرفه من أمره ، وقد رأينا كيف عرض أبو العلاء بهما وأسرف فى التعريض .

* * *

أما بالنسبة لقضايا المعتقد فقد رأينا أن الظلال الشيعية التى أضفاها أبو العلاء على الغفران لا ينبغى أن يستنبط منهما معتقده فى البعث والمعاد ، إذ لم تكن إلا وسائل موظفة للسخرية من ابن القارح ومعتقده معا ، وقد ناقشنا ذلك من خلال توظيف أبى العلاء لبعض نحل الشيعة من قولهم بالحدود ، وبالتناسخ ، وبوجوب الأعواض على الله .

وبعد ، فنرجو أن تكون هذه الدراسة قد حققت ما ننشده من إضافة جديدة للمكتبة العربية .

والله نسأل أن يكون عملنا خالصا لوجهه

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

١ ــ إخوان الصفا

ــ رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، نشر دار صادر ــ بيروت .

٢ ــ الأصفهانى ، أبو الفرج على بن الحسين .

ــ الأغانى ، ط بيروت .

٣ ــ البحرانى ، يوسف .

ــ الكشكول ، ط البحرين ١٩٨٦ .

٤ ــ البديعى ، يوسف .

ــ الصبح المنبى عن حيثية المتنبى ، تحقيق السقا ، وشتا ، وزيادة ، ط دار المعارف ، القاهرة .

٥ ــ الثعالبى ، أبو منصور عبد الملك .

ــ الكناية والتعريض ، ط دار صعب بيروت .

ــ يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، شرح وتحقيق الدكتور مفيد قميحة ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦ ــ الجمحى ، محمد بن سلام .

ــ طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط القاهرة .

٧ ــ الحامدى ، ابراهيم بن الحسين .

ــ كنز الولد ، تحقيق الدكتور مصطفى غالب ، ط دار الأندلس ــ بيروت .

٨ ــ ابن حجر ، امرؤ القيس .

ـ ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط دار المعارف القاهرة .

٩ ـ الحموى ، أبو عبد الله ياقوت .
ـ معجم الأدباء « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » ط القاهرة بعناية أحمد رفاعى .

١٠ـ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد
ـ وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، ط دار صادر ، بيروت .

١١ـ الدهلوى ، عبد العزيز غلام
ـ مختصر التحفة الاثنى عشرية ، تهذيب السيد محمود شكرى الألوسى ، ط استانبول ١٩٨٩ م .

١٢ـ الذبيانى ، الشمّاخ بن ضرار
ـ ديوان الشمّاخ بن ضرار الذبيانى ، تحقيق صلاح الدين الهادى ، ط دار المعارف ، القاهرة .

١٣ـ الشنتمرى ، يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم .
ـ أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، ط دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

١٤ـ الشيرازى ، هبة الله بن موسى ، المؤيد فى الدين داعى الدعاة .
ـ ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، تحقيق الدكتور محمد كامل حسين ، ط . القاهرة .

١٥ـ الضبى ، المفضل بن محمد بن يعلى
ـ المفضليات ، تحقيق شاكر ، وهارون ، ط دار المعارف .

١٦ـ القالى ، أبو على اسماعيل بن القاسم .
ـ الأمالى ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .

١٧ـــ ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم .
ـــ الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر ، نشر دار المعارف ـــ القاهرة .

١٨ـــ الكرمانى ، أحمد حميد الدين .
ـــ راحة العقل ، تحقيق وتقديم الدكتور مصطفى غالب ، ط دار الأندلس ـــ بيروت .

١٩ـــ لويس شيخو ، الأب .
ـــ شعراء النصرانية فى الجاهلية ، ط القاهرة .

٢٠ـــ مصطفى السقا ، وآخرون .
ـــ تعريف القدماء بأبى العلاء .
جمع وتحقيق مصطفى السقا ، عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون ، ابراهيم الإبيارى ، حامد عبد المجيد ، اشراف الدكتور طه حسين ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .

٢١ـــ المعرى ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان .
ـــ رسالة الغفران ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، الطبعة الثامنة ، نشر دار المعارف ـــ القاهرة .
ـــ رسائل أبى العلاء المعرى ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، ط دار الشروق .
ـــ زجر النابح « مقتطفات » تحقيق الدكتور أمجد الطرابلسى ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٥ هـ ـــ ١٩٦٥ م .
ـــ شرح التنوير على سقط الزند ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
ـــ شرح المختار من لزوميات أبى العلاء ، اختيار البطليوسى، وتحقيق الدكتور حامد عبد المجيد ، مركز تحقيق التراث ـــ القاهرة .

ـــ الصاهل والشاحج ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ م .
ـــ اللزوميات ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣ م .

٢٢ـــ المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على
ـــ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق الدكتور محمد حلمى محمد أحمد ، ط القاهرة ١٣٩٠ هـ ـــ ١٩٧١ م .

٢٣ـــ النميرى ، عبيد بن حصين الراعى
ـــ ديوان الراعى النميرى ، جمع وتحقيق راينهرت فايبرت ـــ ط بيروت ١٤٠١ هـ ـــ ١٩٨٠ م .

٢٤ـــ النيسابورى ، أحمد بن ابراهيم
ـــ كتاب إثبات الإمامة ، تحقيق الدكتور مصطفى غالب ، ط دار الأندلس بيروت .

٢٥ـــ ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك
ـــ سيرة النبى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط دار التراث .

ثانياً : المراجع

٢٦ـ إبراهيم الموسوى الزنجانى
ـ عقائد الإمامية الاثنى عشرية ، ط البحرين .

٢٧ـ إحسان عباس
ـ الوزير المغربى ، دراسة فى سيرته ، ط دار الشروق ١٩٨٨ م .

٢٨ـ أحمد محمود صبحى
ـ نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ، تحليل فلسفى ، ط دار المعارف .

٢٩ـ أمجد الطرابلسى
ـ النقد واللغة فى رسالة الغفران ، ط دمشق ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م .

٣٠ـ بنت الشاطىء ، عائشة عبد الرحمن .
ـ جديد فى رسالة الغفران ، بيروت ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .
ـ الغفران لأبى العلاء ، دراسة نقدية ، ط دار المعارف ، الطبعة الثالثة .

٣١ـ حلمى خليل
ـ اللغة فى رسالة الغفران ، رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية .

٣٢ـ سهيل زكار
ـ الجامع فى أخبار القرامطة ، ط بيروت ١٩٨٧ م .

٣٣ـ طه حسين
ـ تجديد ذكرى أبى العلاء ، ط دار المعارف ـ القاهرة .

ــ مع أبى العلاء فى سجنه ، ط دار المعارف ــ القاهرة .

٣٤ــ عبد القادر زيدان
ــ قضايا العصر فى أدب أبى العلاء المعرى ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٥ــ محمد زغلول سلام
ــ الأدب فى العصر الفاطمى ، « الكتابة والكتاب » ، ط منشأة المعارف ، الإسكندرية .

٣٦ــ مصطفى غالب
ــ تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ط دار الأندلس ، بيروت .

المحتويـــات

نصوص مختارة

١- رسالة ابن القارح

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاحاً باسمه ، واستنجاحاً ببركته . والحمدُ لله المبتدئ بالنعم المنفردِ بالقِدَم ، الذى جَلَّ عن شَبَه المخلوقين ، وصِفاتِ المحدَثين ؛ ولىِّ الحَسَنات ، المُبَرَّإ من السَّيئات ؛ العادلِ فى أفعاله ، الصادقِ فى أقواله ؛ خالقِ الخلْقِ ومُبديه ، ومُبْقيه ما شاء ومُفنيه . وصَلَواتُه على محمَّدٍ وأبرارِ عِترتِه[1] وأهْليه ، صلاةً تُرضيه ، وتُقَرِّبه وتُدْنيه ، وتُزْلِفُه[2] وتُحْظيه :

كِتابى – أطال اللهُ بقاء مولاى الشيخِ الجليل ، ومَدَّ مُدَّتَه ، وأدام كِفايتَه وسعادتَه ؛ وجعلنى فداءه ، وقدَّمنى قَبْلَه على الصِّحةِ والحقيقة ؛ وبعد القَصدِ والعقيدة ، وليس على مَجازِ اللفظِ ومجرى الكتابة ، ولا على تَنقُّص وخِلابة ، وتحبُّبٍ ومسامحة ، ولا كما قال بعضُهم وقد عاد صديقاً له : « كيف تَجِدُكَ جعَلنى اللهُ فداك » ، وهو يقصِدُ تَحبُّباً ، ويُريدُ تملُّقاً ، ويَظُنُّ أنه قد أسدى جَميلاً يَشْكُرُه صاحبُه إن نَهضَ واسْتَقَلَّ[3] ، ويُكافِئُه عليه إن أفاقَ وأبَلَّ – عن سلامةِ تَمامُها بحضورِ حَضْرته ، وعافِيةِ نظامُها بالتشرُّفِ بشريفِ عِزَّته ، ومَيْمون نَقيبته وطلعتِه . ويَعلمُ اللهُ الكريمُ – تقدَّسَتْ أسماؤُه – أنّى لو حَنَنْتُ إليه – أدام اللهُ تأييدَه – حنينَ الوالِه إلى بِكْرِها ، أو ذاتِ الفَرْخِ إلى وكْرِها ،

---

[1] – العِترة : ولد الرجل وذريته ، وكل عود تفرعت منه الشعب فهو عترة . وعن الخليل : عترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبنى عمه . انظر (أساس البلاغة) .

[2] – تزلفه : تقربه ، وله زلفة وزلفى : قربى ومنزلة ، والجمع زلف ، وزلفات : كغرف وغرفات .

[3] – استقل : نهض . يقال : استقل الطائر ، إذا ارتفع ونهض ، وفلان مستقل بنفسه ، إذا كان ضابطاً لأمره .

أو الحمامةِ إلى إلْفِها ، أو الغزالةِ إلى خِشْفِها[1] ؛ لكان ذلك مما تُغَيِّره الليالى والأيامُ ، والعصورُ والأعوام ؛ لكنَّه حنينُ الظمآن إلى الماء ، والخائفِ إلى الأَمْنِ ؛ والسليم[2] إلى السَّلامة ؛ والغريقِ إلى النَّجاةِ ، والقَلِقِ إلى السكون ؛ بل حنينُ نَفْسِهِ النفيسةِ إلى الحمْدِ والمجْدِ ، فإنِّى رأيتُ نِزاعَها إليهما نِزاعَ الاسْتُقُصّاتِ[3] إلى عناصِرِها ، والأركان[4] إلى جواهِرِها . فإن وَهَبَ الله لى مَلاءً[5] من العمرِ يُونِسُنى برؤيتِه ، ويُعْلِقُنى بحبْلِ مَوَدَّتِه ، صِرْتُ[6] كسارى اللَّيلِ أُلْقِىَ عصاه ؛ وأَحْمِدَ مَسْراه ، وقَرَّ عَيْنًا ونَعِمَ بالاً . وكان كَمَنْ لم يَمَسَّهُ[7] سوءٌ ؛ ولم يَتَخَوَّنْه[8] عَدُوٌّ ؛ ولا نَهَكَهُ رَواحٌ ولا غُدُوٌّ . وعسى اللهُ أن يَمُنَّ بذلك ، بيومِه[9] أو بِثانيه ، وبه الثِّقَةُ .

وأنا أسأَلُ اللهَ على التَّدانى والنَّوى والبعاد ؛ إمْتاعَه بالفضلِ الذى اشْتَغَلَ على عاتِقِه وغارِبِه ، واستولى على مَشارِقِه ومَغارِبِه ؛ فَمَنْ مَرَّ على بَحْرِه الهَيّاجِ ، ونَظَرَ فى لألاءِ بَدرِه الوَهّاجِ ، خليقٌ بأن يَكْبُوَ[10] قلمُه بأنامِلِه . ويَنْبُوَ

---

١ – الخشف : بتثليث الخاء المعجمة ، وسكون الشين : ولد الظبى أول ما يولد .

٢ – السليم ، هنا : الملدوغ ، وقد سلمته الحية سلماً لدغته . ويقال : بات بليلة سليم وهو اللديغ . قال الأعشى :

• وبت كما بات السليم مسهدا •

٣ – الاستقصات : والاسطقسات ؛ العناصر ؛ أصول المركبات – يونانية معربة . انظر (التعريفات للسيد الشريف الجرجانى – ص ١٥ ط صبيح سنة ١٣٢١) .

٤ – الأركان : هى الأجسام البسيطة التى تتكون منها المواد ، وكانت عند الأقدمين أربعة : النار ؛ والهواء ، والماء ؛ والتراب .

٥ – الملاء : السعة والامتداد ، والامتلاء . ملؤ ملاء وملاءة : صار مليئاً .

٦ – فى ع : [صرت] تحريف .

٧ – فى ع : [لم يمسه] .

٨ – كذا فى [ج ، ى] – وفى ع : [يتخونه]
وفى اللغة : تخونه : تنقصه ، وتخونه الدهر بمعنى ساءه .

٩ – فى ى : [بيو] .

١٠ – فى ى : [يكسو] . تحريف .

طَبْعُه عن رسائله . إلّا أن يلقى إليه بالمقاليد ، أو يستنجده إقليداً[1] من الأقاليد . فيكون منسوباً إليه ، ومحسوباً [عليه][2] . ونازلاً فى شعبه وأحَدَ أصحابه وحِزْبِه ، وشرارةَ ناره[3] ، وقُراضَةَ ديناره . وسَمَلَ[4] بحره . وثَمَدَ[5] غمْره . وهيهات ! ضاق فِتْرٌ عن مَسير . ليس التكحُّلُ فى العينين كالكَحَل ، خُلقوا أسخياء لا متساخين وليس السخيُّ من يتسخى لا سيما وأخلاقُ النَّفسِ تلْزَمُها لزومَ الألوانِ للأبدان لا يقدِرُ الأبيض على السَّوادِ ، ولا الأسودُ على البَياضِ ، ولا الشُّجاعُ على الجُبنِ ولا جبانٌ على الشَّجاعةِ ، قال « أبو بكر[6] [العرزمى]

يَفِرُّ جبانُ القومِ عن أمِّ رأسِه ويحمى شجاعُ القوم مَنْ لا يناسبُهْ
ويرزقُ مَعْروفَ الجواد عَدُوُّه ويُحرمُ معروفَ البخيلِ أقاربُهْ
ومَنْ لا يَكُفُّ الجهْلَ عَمَّن يَوَدُّه سيوف يَكُفُّ الجهلَ عَمَّنْ يُواثِبُه

ومِنْ أين للضبابِ صوبُ السحاب . وللغرابِ هُوِىُّ[7] العُقَاب ! وكيف وقد أصبح ذِكرُه فى مواسِمِ الذكْرِ أذاناً . وعلى مَعالِمِ الشُّكْر لِساناً ؟ فَمَنْ

---

١ – الإقليد : المفتاح .
٢ – فى ج : [إليه] ، ولعله سهو ناسخ
٣ – فى ع : [تياره] ، تصحيف .
٤ – كذا فى الأصل ، ولعله : [سمل] ، وهو بقية الماء فى الحوض
٥ – الثمد : القليل . وفى (الأساس) عن الأصمعى : هو ماء المطر يبقى محقوناً تحت رمل إذا كشف أدته الأرض . ومن المجاز : رجل مثمود ، كثر عليه السؤال حتى أنفدوا ما عنده .
٦ – فى ج : [المزرى] ومثلها ى ، ع . تصحيف ، انظر الأعلام
٧ – فى ع : [هى] تحريف

الأعلام

٠ – أبو بكر العرزمى : محمد بن عبيد الله ، أصله من حضرموت . نشأ بالكوفة وأدرك أول الدولة العباسية . وجل شعره آداب وأمثال . (المرزبانى معجم الشعراء ص ٤١٧ ط القاهرة ١٣٥٤)

فَتَبًّا لدين عبيدِ النجو ... مِ ومَنْ يَدَّعِى أنها تعْقِلُ[1]

أَو يكونَ كما قالَ اللهُ تعالى فى كتابهِ الكريم : «مُذَبذَبينَ بينَ ذلك لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاء»[2] ويُوشِك أن تكونَ هذه صِفَتَه .

حَكَى «القُطْرُبُلّى»* و «ابنُ أبى الأزهر»** فى كتابٍ اجتمعا على تصنيفِه – وأهلُ بغدادَ وأهلُ مصر ، يزعمون أنه لم يُصَنَّفْ فى معناه مِثْلُه ، لصِغَرِ حجْمِه وكِبَرِ عِلْمِه – يحكيانِ فيه أن «المتنبى» أُخْرِجَ ببغداد***من الحبْسِ إلى مجلسِ «أبى الحسنِ ، على بن عيسى الوزير – رحمه الله»**** فقال له : أنتَ أحْمدُ المتنبى ؟ فقال : أنا أحْمدُ النبىُّ[3] . وكشف عن بطنِه فأراه سلْعة فيه وقال : هذا طابَعُ نُبُوَّتى وعلامَةُ رسالتى . فأمر بقلْعِ

---

١ – البيت من لامية المتنبى فى مدح سيف الدولة ، ومطلعها : (الديوان : ٣/٦٦ ط الحلبى) .

أينفع فى الخيمة العذل ... ويشمل من دهرها يشمل

٢ – من آية ١٤٣ سورة النساء .

٣ – فى ع : [المتنبى]– وبهامش (ج) حاشية ، بمداد أحمر بخط الناسخ نصها : « فى جزء من تذكرة ابن العديم بخطه ما نصه : وهذا عجيب ، فإن المتنبى ولد سنة ٣٠٣ ﻫ على ما رواه " ابن الساربال" وغيره من الرواة ، فكيف تصح هذه الحكاية قبل مولده ؟ وقد جاء فى بعض الروايات أنه ولد سنة إحدى وثلاثمائة ، فعلى كل حال ، لا يصح ما نقل ابن أبى الأزهر وأبو محمد . أو يكون هذا المتنبى غير أبى الطيب المتنبى والله أعلم » . ثم ذيلت هذه الحاشية بما نصه : « صح بعد ذلك أنه غير أبى الطيب ، وهو أحمد بن عبد الرحيم الأصبهانى » وقد نقلت الحاشية بهامش (ى) .

ولم أفهم وجه التعليق والإنكار هنا ، وقد كان على بن عيسى وزيراً للقاهر ببغداد حوالى سنة ٣٢٢ﻫ ، وسن المتنبى إذ ذاك حول العشرين .

الأعلام

* – القطربلى : أبو الحسن ، أحمد بن عبد الله – انظره فى أعلام الغفران .

** – ابن أبى الأزهر : أبو بكر ، محمد بن أحمد الخزاعى – انظره فى أعلام الغفران .

*** – بغداد : عاصمة العراق .

**** – أبو الحسن ، على بن عيسى بن داود بن الجراح ، البغدادى الكاتب الوزير ، وزر مرات للمقتدر ثم للقاهر ، وكان محدثاً عالماً ديناً خيراً حتى شبهوه فى الوزراء بعمر بن عبد العزيز فى الخلفاء . مات سنة ٣٣٤ ﻫ وعمره تسعون سنة . انظر (تاريخ بغداد ، وشذرات الذهب ٢/٣٣٦) .

بالدَّرَخْمين وأمّ حَبَوْكَرَى والفُتَكْرِين [1] ؛ بل رُميتُ بآبِدةِ[2] الآبادِ والداهيةِ النآد [3] ، فلما دخلْتُها – وبعدُ لم تستقر بي الدارُ ، وقد نكِرْتُها لفقْدانِ معرفةٍ وجار – أنشدتُها باكياً :

اذا زُرتُ أرضاً بعدَ طولِ اجتنابِها فقَدْتُ حبيباً والبلادُ كما هيا

كان «أبو القَطِران ، المرّارُ بنُ سعيد الفقعسيّ» ، يهوَى ابنةَ عمه بنجدٍ . واسمُها «وحشيةُ» فاهتداها رجلٌ شاميٌّ إلى بَلَدِه . فغمَّه بُعْدُها ، وساءه فِراقُها ، فقال من قصيدة :

إذا تركتْ وحشيَّةُ النجدَ لم يكُنْ لعينيكَ مما تَبكيانِ طبيبُ
رأى نظرةً منها فلم يَملِكِ البُكا مُعاوِزُ يَربو تحتهن كَئيبُ[4]
وكانت رياحُ الشامِ تُكْرَه مرةً فقد جُعلت تلك الرياحُ تطيبُ

فحصَلْتُ من الرَّباحِ[5] على الرياحِ ، كما حصل «لأبي القطرانِ» من «وحشيَّة» .

---

١ – الدرخمين ، بوزن شرحبيل : الداهية ، وأم حبوكرى ، وأم حبوكران : الداهية . والحبوكر رمل يضل فيه السالك . والفتكرين ، بكسر الفاء وضمها ، وفتح التاء : الدواهي والشدائد . وفي اللسان : وإنما لم يستعملوا الإفراد في مثل فتكر وأقور ، حيث كانوا يصفون الدواهي بالكثرة والاشتمال والغلبة . وانظر أيضاً (فقه اللغة للثعالبي ، ص ٤٥٨ ط الرهبانية) .

٢ – الآباد جمع أبد ، بمعنى الدهر ، ويقال : جئتنا بآبدة ما نعرفها . أي غريبة ، الجمع أوابد ، ومنه أوابد الكلام غرائبه .

٣ – النآد كسحاب : هي التي تنآد المرء أي تفدحه وتبلغ منه . ويقال أيضاً نئود .

٤ – المعاوز : جمع معوز ومعوزة ، وهو الثوب الخلق ، وكل ثوب تصون به آخر .

٥ – الرباح ، بالفتح : الربح ، ما يربح .

الأعلام

– أبو القطران ، المرار بن سعيد الفقعسي : من أعلام الغفران .

ثم . . . وثم . . . وثم [1] . . ثم أجْرى ذكرُه – أدام الله تأْييدَه – من غَيرِ سببٍ جرَّه وغيرِ مقتضٍ اقتضاه ؛ فقال :

الشيخُ بالنحوِ أعْلَمُ من «سيبويه»* ، وباللغةِ والعروضِ من «الخليل»**

فقلتُ والمجلس [يأْذَن] [2] : بلغنى أنه – أدام اللهُ تأْييدَه – يُصَغِّر كبيرَه ، ويُنَزِّرُ صغيرَه ؛ فيصيرُ تصغيرهُ تكبيرًا و تحقيرهُ تكثيرًا . وهكذا شاهدتُ مَن شاهدتُ من العلماء رحمهم الله أجمعين ، وجعلَه وارث أطولِ أعمارِهم وأنْضَرِها وأرْغَدِها . وما ثمَّ له حاجةٌ دَعَتْ إلى هذا : قد تَفَتَّح النَّوْرُ وتَوضّح النُّور . وأضاء الصبحُ لذِى عينين !

* * *

كان «أبو الفرجِ الزهرجى»*** كاتبُ حضرةِ نصرِ «الدولة»**** – أدام اللهُ حراستَه – كتب رسالةً إلىّ أعطانيها ، ورسالةً إليه – أدام الله تأييدَه – استَوْدَعَنيها ، وسألنى إيصالَها إلى جليلِ حضْرتِه ، وأكون نافِثَها لا باعِثَها ؛ ومُعَجلَها لا مُؤَجِّلَها . فسرقَ عَديلى رَحْلاً [3] لى ؛ الرسالةُ فيه ،

1 – كذا فى كل النسخ ، ولم نحاول التماس ما يسد هذا السقط ، فقد وصلت الرسالة هكذا إلى أبى العلاء فقال : « فأما الفصل الذى ذكر فيه الخليل ، فقد سقط منه اسم الذى غلا فى » أى فى مدحى . (انظر صفحة ٤٠٣ من رسالة الغفران) .

2 – فى ج : [بأزز] وكذلك نقلت فى ى ، ع . ويأذن : يسمع ، أو يصغى .

3 – سقط من [ى] .

الأعلام

* – سيبويه : أبو بشر ، عمرو بن عثمان – انظره فى أعلام الغفران .

** – الخليل : بن أحمد ، أبوعبد الرحمن – انظره فى أعلام الغفران .

*** – أبو الفرج الزهرجى : انظره فى أعلام الغفران .

**** نصر الدولة : أحمد بن مروان ، أبو نصر ، صاحب ميافارقين وديار بكر . وليها عام ٤٠١ واستمرت دولته إحدى وخمسين سنة . وكان عالى الهمة حازماً حريصاً على الدين والدنيا . قصده شعراء عصره ومدحوه . توفى سنة ٤٥٣ . (وفيات الأعيان ، وشذرات الذهب ٢٩٠/٣) .

فكتبتُ هذه الرسالةَ أشكو أمورى وأبثُّ شُقُورى[1] ، وأُطْلِعُه طِلْعَ عُجَرى وبُجَرى[2] ، وما لقيتُ فى سَفَرى من أُقَيْوام يدَّعُون العِلْمَ والأدب ، والأدبُ أدبُ النَّفْسِ لا أدبُ الدرس ، وهمْ أَصْفَارٌ مِنْها جميعاً ؛ ولهُمْ تَصحيفَاتٌ كنتُ إذا رَدَدْتُها عَلَيْهم ؛ نَسَبوا التَّصحيفَ إلىَّ ؛ وصاروا إلْباً[3] علىَّ .

لقيتُ « أبا الفرج الزهرجى » بـ « آمدَ »* ومعه خِزانةُ كتُبِه : فعَرَضَها علىَّ فقلتُ : كتُبُكَ هذه يهوديةٌ ؛ قد برئتْ من الشريعةِ الحنيفية ، فأظهرَ من ذلك إعظاماً وإنكاراً : فقلت له : أنتَ على المُجَرَّب . ومثلى لايَهرِفُ[4] بما لا يعرِف ، وابْلُغْ تَيْقَنْ . فقرأ هو وولدُه وقال : صغَّرَ الخُبْرُ[5] الخَبَرَ . وكتب إلىَّ رسالةً يُقَرِّظُنى فيها بطبعٍ له كريم ، وخُلُقٍ غيرِ ذميم[6] .

* * *

١ – الشقور ، بالضم – وقد يفتح : الحاجة ، والهم ، والأمور اللاصقة بالقلب المهمة له . الواحد شقر ، بفتح فسكون .

٢ – العجر والبجر : العيوب والهموم ، وقولهم : أفضيت إليك بعجرى وبجرى ، أى أمرى كله . وعن ابن الأعرابى : إذا كان فى السرة نفخة فهى بجرة ، وإذا كانت فى الظهر فهى عجرة ، ثم ينقلان إلى الهموم والأحزان .

٣ – الألب : الحشد والتجمع ، والإلب : القوم تجمعهم عداوة واحد . يقال : صاروا عليه إلباً إذا اجتمعوا على عداوته . وتألبوا عليه : تجمعوا .

٤ – يهرف : يهذى . وهرفته الريح : استخفته . وهو يهرف بفلان : يطنب فى الثناء شبه الهذيان .

٥ – الخبر ، بضم فسكون : الاختبار ، ويقال : مالى به خبر أى علم .

٦ – فى الانتقال من هذه الفقرة إلى الفقرة التالية ، بعض قلق . وكنت من قبل أميل إلى الظن بأن هنا سقطا . لكنى الآن أراه من مألوف أسلوب ابن القارح وعصره .

الأعلام

* آمد : من أعلام الأماكن فى الغفران .

قال «المتنبي *» .

• أذمُّ إلى هذا الزمانِ أُهَيْلَه(1) •

صغَّرَهم تصغيرَ تحقيرٍ غير تكبير ، وتقليل غيرِ تكثير ، فنَفَثَ مصدورًا ، وأظهر ضميرًا مستورًا . وهو سائغ فى مجاز الشِّعرِ ، وقائلهُ غيرُ ممنوعٍ من النَّظْمِ والنثر ، ولكنه وضعَه غيرَ موضعِه ، وخاطَب به غيرَ مُستَحِقِّه(2) . وما يَسْتَحِقُّ زمانٌ ساعدَه بلقاءِ «سيفِ الدولة» ** أن يُطْلِقَ على أهْلِه الذمَّ .

وكيف وهو القائل :

أسيرُ إلى إقطاعِه فى ثيابِه ... على طِرْفِه من دارِه بحُسامِه(3)

وقد كان من حَقِّه أن يجعلَهم فى خِفارته(4) ، إذ كانوا منسوبين إليه محسوبين عليه . ولا يجبُ أن يشكُوَ(5) عاقلاً ناطقاً إلى غيرِ عاقلٍ ولا ناطق ، إذ الزمانُ حَرَكاتُ الفلَك ، إلَّا أن يكونَ مِمَّن يعتقدُ أن الأفلاكَ تَعْقِلُ وتعْلَمُ وتفهمُ ، وتدرى عواقع أفعالِها ، بقصود وإرادات . ويَحملُه هذا الاعتقادُ على أن يُقرِّبَ لها القرابينَ ويُدَخِّنَ الدُّخْنَ(6) ، فيكون مُناقِضاً لقولِه :

1 – تمام البيت :

• فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد •

وقد علق أبو العلاء فى (رسالة الغفران) على حديث ابن القارح هنا ، بأن المتنبى إنما قال هذا البيت فى « على بن محمد بن سيار – بأنطاكية » قبل أن يمدح سيف الدولة ، فضلا من أن المتنبى كان مولعاً بالتصغير ، والشعراء مطلق لهم ذلك . انظر ص 416 وما بعدها .

2 – فى ى : [مستحقه] تحريف .

3 – الطرف ، بكسر فسكون : الفرس الكريم ، والبيت من قصيدة له يمدح سيف الدولة ويودعه إلى إقطاع من عطائه . الديوان ص 3 ط الحلبى 1936 .

4 – الضمير هنا لسيف الدولة .

5 – الضمير هنا للمتنبى فى ذمه أهيل الزمان إليه .

6 – الدخن : البخور ، ويقال : تدخن الرجل وادخن ، إذا تبخر ، والمدخنة : المجمرة .

الأعلام

* – المتنبى : أحمد بن الحسين ، انظره فى أعلام الغفران .

** – سيف الدولة : على بن عبد الله الحمدانى ، انظره فى أعلام الغفران .

دَافِعَ العِيانَ ، وكابَرَ الإِنْس والجان ، واستَبدَّ بالإفكِ والبُهتان ، كان كَمَنْ صالَبَ بوقاحتِه الحجَرَ ، وحَاسَنَ بقباحتِه القمَرَ ، وهذَى وهذَر ، وتعاطى[1] فعقَر ، وكان كمحموم بُلسِم[2] فعفر[3] ، [ونادى].[4] على نفسه بالنقصِ فى البدوِ والحضَر ، وكان كما قال مَنْ يَعنيه ولا يشك فيه[5] :

كناطحٍ صخرةً يوماً لِيَفْلقَها　　　فلم يَضِرْها وأَوْهَى قَرنَه الوعِلُ

ورُوى أن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم . وزاده شرفاً لديه – قال : « لَعَنَ اللهُ ذا اللسانين ، لعنَ اللهُ كلَّ شقَّارٍ[6] ، لعنَ اللهُ كلَّ قَتَّات »[7] .

* * *

وَرَدْتُ « حلبَ » ظاهِرَها – حماها اللهُ وحَرَسها – بعد أن مُنيتُ بِرَبَضِها[8]

---

١ – تعاطى : تناول ما لا ينبغى له . وتعاطى الأمر : خاض فيه . وتعاطى الرجل : قام على أطراف أصابع اليدين والرجلين مع رفع اليدين إلى الشىء ليس فى متناوله ليأخذه .

وعقر : جرح ونحر ، قيل أصله من عقر النخل وهو أن تقطع رءوسها فتيبس . نظر فيه إلى آية القمر فى ثمود : « فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر »

٢ – بلسم : أصيب بالبلسام وهو أشد الجدرى . فهو مبلسم ، ومثله مبرسم . قال العجاج :

« اصفر حتى آض كالمبرسم »

٣ – عفر : تمرغ فى التراب . وعفر يعفر صار لونه كالعفر – بالتحريك – وهو ظاهر التراب .

٤ – فى ج ، ى : [ونادى] وأحسبه اشتباه رسم .

٥ – البيت للأعشى من معلقته ، ورواية الديوان :

ألست منتهياً عن نحت أثلتنا　　　ولست ضائرها ما أطت الإبل

كناطح صخرة يوماً ليوهنها　　　فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

٦ – شقار : كذاب . ويقال : جاء بالشقارى – مثقلاً ومخففاً – أى بالكذب .

٧ – القتات فسره ابن الأثير فى حديث « لا يدخل الجنة قتات » بالنمام (النهاية فى غريب الحديث : قت) . وقت الحديث ، بالتشديد : زوره ، وقت أثر فلان : اتبعه سراً ليعلم ما يريد . وقت الأحاديث وقتتها ، أيلفها على جهة الكذب والفساد .

٨ – الربض ، محركة : واحد الأرباض ، وهو ما حول المدينة من بيوت ومساكن .

جُمْشُكِهِ[1] وصَفْعَهُ به حسبين ... أعاده إلى مخبّبه

ويقولُ «لسيفِ الدولة»:

وتغضبونَ على مَنْ نالَ رِفْدَكُمُ ... حتى يُعاقِبَه التنغيصُ والمِنَنُ[2]

وكَذَبَ[3] واللهِ . لقد كان يتحرَّشُ بالمكارم ويتحكَّكُ بها . ويحسُدُ عليها أن تكونَ إلَّا منه وبه[4] وهذا غيرُ قادحٍ في طلاوة شعرِه ورَوْنَقِ ديباجتِه . ولكني أغتاظُ على الزنادقةِ والملحدين الذين يتلاعبون بالدين ، ويرومون إدخالَ الشُّبَهِ والشكوكِ على المسلمين . ويَسْتَعْذِبون القَدْحَ في نبوّة النَّبيين صلواتُ اللهِ عليْهم أجمعين . وينظرفون[5] ويبتدئون إعجاباً بذلك المذهب :

« تِيهُ مُغَنٍّ وظُرْفُ زنديقٍ »[6]

وقتل «المهديُّ»* «بشارًا»** على الزندقةِ . ولما شُهِر بها وخاف : دافع عن نفسِه بقولِهِ :

يا ابنَ نَهْيا ، رأسي عليَّ ثقيلُ ... واحتمالُ الرأسين عبءٌ ثقيلُ

فادعُ غيْرِي إلى عبادةِ ربَّيـ ... ـن فإنِّي بواحدٍ مشغولُ

١ – الجمشك : نوع من الخفاف . فارسية معربة وأرجح أن المعير به المتنبي . وكأنما أكبر الوزير التي جمشكه أن يضرب به هذا المتنبي

٢ – الرفد : العطاء – والمنن : جمع منة وهي هنا تعداد النعم . على سبيل المن والبيت من قصيدة المتنبي بمصر ، يشكو سيف الدولة ، ومطلعها في (الديوان ٤/٢٣٣) .

بم التعلل ؟ لا أهل ، ولا وطن ... ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن

٣ – في ي ، ع : [كذب] والزور في (ج) شبه ضائعة . لتقب في مكانها

٤ – الضمائر هنا لسيف الدولة ... ٥ – في ع : [ويتطرفون].

٦ – لأبي نواس – انظره في شواهد معجم

[illegible]

* – المهدي : الخليفة العباسي – انظره في أعلام الشعراء

** – بشار : بن برد – انظره في أعلام معجم

وأحضَرَ [1] «صَالحَ بنَ عبدِ[2] القُدُّوسِ» • وأحضَر النِّطْعَ والسيَّافَ ، فقال : عَلامَ تَقْتُلُني ؟ قال : على قولِك :

رُبَّ سِـــرٍّ كتمتُه فكـــأنِّى أخرسٌ ، أو ثَنَى لسانى عَقْلُ[3]
ولو أنى أظهرتُ للناسِ دينى لم يكنْ لى فى غيرِ حَبْسِىَ أَكْلُ

يا عُدَىَّ اللهِ وعُدَىَّ نَفْسِه :

السَّتْرُ دون الفاحشاتِ ولا يَلْقَاكَ دونَ الخيْرِ من سِتْرِ

فقال : قد كنتُ زنديقاً وقد تُبْتُ عن الزندقة .

قال : كيف وأنت القائل :

والشيخُ لا يَتركُ عاداتِه[4] حتى يُوَارَى فى ثَرى رمْسِه
إذا ارْعَوى عادَ إلى غَيِّه كذِى الضنَى عاد إلى نكْسِه

وأخذَ غَفْلَتَه السَّيافُ ، فإذا رأسُه يَتَدَهْدأُ على النطْع .

---

١ – الحديث هنا عن « المهدى » .

٢ – فى ع : [صالح بن القدوس] .

٣ – العقل : القيد ، من عقل البعير عقلا : قيده ، ثنى وظيفه على ذراعه فشدهما معاً بحبل هو العقال . واعتقله كذلك .

٤ – يروى : [أخلاقه]. وقد جاءت بهامش (ج) وفوقها : خ ، أى نسخة . وهى رواية القالى فى أماليه . (انظر سمط اللآلى ١/١٠٥ ط ١٩٣٦) .

الأعلام

• – صالح بن عبد القدوس : انظره فى أعلام الغفران .

وظهر فى أيامِه فى بلدٍ خلْفَ «بُخارى» * وراء النهر ، رجلٌ قَصَّارٌ ** أعورُ ، عَمِلَ له وجْهاً من ذهَبٍ وخوطِبَ بربِّ العِزَّة ، وعَمِلَ لهم قَمَرًا فوقَ جبلٍ ارتفاعُهُ فَرَاسِخُ ، فأنفذ «المهدىُّ» إليه فأُحيط به وبِقَلعتِه ، فحرق كلَّ شىء فيها ، وجمع كلَّ مَن فى البلَدِ وسقاهم شراباً مسموماً ، فماتوا بأجمعِهم ، وشرب فلَحِق بهم . وعجَّل اللهُ بروحِه إلى النار .

و «الصناديقى» *** ، فى اليمن ، [كانت] [1] جيوشُه بـ «المُذَيْخِرَةِ **** وسَفْهَنَةَ» ، وخوطِبَ بربِّ العِزَّة . وكوتِبَ بها ؛ فكانتْ له دارُ إفاضة يَجْمَعُ إليها نِساءَ البلْدَةِ كُلَّها ويُدخِلُ عليهن ليلا . قال مَنْ يُوثَقُ بِخَبَرِه : دخَلت إليها لأنظُرَ ؛ فسمِعْتُ امرأةً تقولُ : يا بُنَىَّ ! فقال : يا أُمَّهْ ، نريدُ أن نُمْضِىَ أمْرَ وَلِىِّ اللهِ فينا !

وكان يقولُ : «إذا فَعلْتُم هذا لم يَتَمَيَّز مالٌ من مالٍ ولا ولَدٌ من ولد ، فتكونوا [2] ، كنفْسٍ واحدة» . فغزاه «الحسَنىُّ ***** » من صنعَاء ****** فهزمَه ، وتَحَصَّنَ منه فى حِصْنٍ هناك ؛ فأنفذ إليه «الحسَنِىُّ» طبيباً بمبْضَعٍ مسمومٍ ففصَده به فقتله

و «الوليدُ بنُ يزيد ******* » أقام فى المُلكِ سنةً وشهرين وأياماً ؛ وهو القائل :

---

١ – إضافة احتاج إليها السياق .　　٢ – فى ع : [فتكونون] .

الأعلام

* – بخارى : بالضم ، من أعظم مدن ما وراء النهر ، كانت قاعدة ملك السامانية – ياقوت ١ / ٣٢٣
** – القصار الأعور : – المقنع الخراسانى ، انظره فى أعلام الغفران
*** – الصناديقى : المنصور ، انظره فى أعلام الغفران .
**** – المذيخرة ، وسفهنة : من مدن اليمن ، فى بلاد همدان .
***** – الحسنى : قائد يمنى فى القرن الثالث الهجرى .
****** – صنعاء : المدينة المشهورة باليمن .
******* – الوليد بن يزيد : الأموى ، انظر أعلام الغفران

إذا متُّ يا أمَّ الحُنَيْكِلِ فانكِحِي[1]
ولا تـأملى بعدَ الفراقِ تلاقِيا
فإن الذى حُدِّثْتِه من لقائنا
أحاديثُ طَسْمٍ تتركُ العقلَ واهيا !

ورمى المصحفَ بالنشَّابِ وخرقه وقال :

إذا ما جئتَ ربَّكَ يومَ حشْرٍ فقل : يا رب خَرَّقَنى «الوليدْ»

وأنفذ إلى «مَكَّةَ» بَنَّاءً مجوسيًّا لِيَبْنِى له على الكعبةِ مَشْرَبَةً ؛ فمات قبلَ تَمامِ ذلك . فكان الحُجَّاجُ يقولون : لَبَّيكَ اللهمَّ لبيك ! لَبَّيْكَ يا قاتِلَ الوليدِ بنِ يزيدَ . لبيك !

وأحضر بُنابجةً[2] من ذَهَبٍ وفيها جَوهرةٌ جليلةُ القدْرِ ، [...[3]] صورةُ رجلٍ . فسجَدَ لَهُ وقَبَّله وقال : اسجُدْ له يا عِلْجِ ! قلت[4] : ومن هذا ؟ قال : هذا «مانى»[5] . شأنُه كان عظيماً ، اضمَحَلَّ أمرُه لطُولِ المدة . فقلتُ : لا يجوزُ السجودُ إلاّ لله . فقال : قُمْ عنا .

وكان يشرَبُ على سَطحٍ وبينَ يديه باطيَةٌ كبيرةٌ بِلَّورٍ[6] وفيها أقداحٌ ؛

---

١ – الحيكل : تصغير الحنكل : القصير ، واللئيم ، والبخيل . والأنثى حنكلة ، وهى أيضاً ، الدميمة السوداء من النساء . وطسم : من قبائل العرب البائدة .

٢ – فى النسخ الثلاث [البنايجة] بالياء . وفى رد أبى العلاء برسالة الغفران : [البناعة] ولم نهتد إلى معناها بعد . ولا اهتدى إليها من نقلوا عنا طبعتى بيروت .

٣ – كذا فى النسخ الثلاث . وقد يحتاج السياق إلى لفظ [على] أو نحوه .

٤ – ليس فى النص الذى بأيدينا ، ما يشير إلى المتحدث هنا ؛ فإذا لم يكن الناسخ قد أسقطوا شيئاً ، فالظن عندنا أن ابن القارح نقل الحادثة هكذا دون التفات إلى الراوى . وانظر معه حديث الجنابى ، فى الصفحة التالية .

٥ – فى ى : [ما فى هذا ، شأنه كان عظيما] . و «مانى» : معبود الثنوية من الفرس .

٦ – كذا فى النسخ الثلاث ، ولعل النقلة غيروا موضع (بلور) سهواً ، فتكون العبارة : [باطية كبيرة ، وفيها أقداح بلور] .

فقال لندمائه : أين القَمَرُ الليلةَ ؟ فقال بعضهم : فى الباطية ! فقال : «صدقتَ ! أتيتَ على ما فى نفسى . واللهِ لأشْرَبَنَّ الهَفْتَجَة» يعنى شُرْبَ سبعةِ أسابيعَ متتابعةٍ .

وكان بموضعٍ حولَ «دمشق»* يُقال له «البحرا» فقال :

تَلَعَّبَ بالنبوةِ هاشمىٌّ بلا وحيٍ أتاه ولا كتابِ

فقُتِلَ بها ، ورأيت رأسَه فى الباطيةِ التى أراد أن يُهَفْتِجَ بها .

و «أبو عيسى بنُ الرشيد»** القائلُ :

دهَانى شَهرُ الصَّوْمِ لا كان من شهْرِ ولا صُمْتُ شهرًا بَعْدَهُ آخِرَ الدهرِ
ولو كان يُعدِينى الإمامُ بقدرةٍ على الشهرِ لاستعديتُ دهرى على الشهرِ

عَرَض له فى وقتِه صَرَعٌ فمات ولم يُدرِك شهرًا غيرَه والحمدُ لله .

و «الجَنَّابىُّ»*** قتَلَ بمكةَ ألوفًا . وأخذَ سِتةً وعشرينَ ألفَ [جمل] [1] خوفًا . وضرب آلاتِهم وأثقالَهم بالنار . واستملَكَ من النساء والغلمان والصِّبيانِ مَنْ ضاق بهم الفضاءُ كثرةً ووفورًا . وأخذ حجَرَ الملتزَم وظنَّ أنَّها مغناطيسُ القلوب . وأخذ الميزابَ . قال : وسمعت[2] قائلاً يقول لغُلام دُحْشُمَانَ[3] طُوَال يَرفُلُ فى بُرديْه وهو فوقَ الكعبة : «يا رخَمَه . اقْلَعْه

١ – كذا فى د . وهو أولى من رواية الأصل : [حمل] بالحاء المهملة – وأخذهم خفاً أى سراعاً بغير مشقة .

٢ – المتحدث هنا غير ابن القارح . فإن الجنابى قطع الحج سنة ٣١٢ ثم سنة ٣١٧ ، قبل أن يولد « ابن القارح » وأغلب الظن أنه هنا يروى عن آخر ، أو لعله نقل الخبر دون التفت إلى ذكر راويه كما فعل فى قصة « الوليد بن يزيد » . انظر رقم ٤ بهامش الصفحة السابقة .

٣ – الدحسمان والدحسمان : الأسود السمين ، وقد يلحق بهم به للسب فيقال : دحسمانى ودحسمانى . وعن ابن سيده : الدحسمانى العظيم مع سواد . وفى (الصحاح) : الدحسمان : الآدم السمين ، وقد يقلب فيقال : الدحمسان . وانظر (كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٢٣١ ، ١٣٦)

أعلام

* – دمشق : عاصمة سورية . من أعلام الغفران .
** – أبو عيسى بن الرشيد : العباسى : انظره فى أعلام الغفران .
*** – الجنابى : أبو طاهر سليمان بن الحسن أبو سعيد القرمطى – انظره فى أعلام الغفران .

وأسرعْ * يعني ميزابَ الكعبة . فعلمتُ أن أصحابَ الحديثِ صَحَّفوه فقالوا : يقلعُه غلامٌ اسمُه رَحْمة ؛ كما صحَّفوا على «عليٍّ» رضي الله عنه قولَه : تَهلِكُ البَصْرَةُ* بالريحِ . فهلكتْ بالزنج ، لأنه قَتل «علويُّ البصرةِ»** في موضعٍ بها يقال له «العقيقُ» أربعةً وعشرينَ ألفاً ، عَدُّوهم بالقصَب ؛ وحَرَّق جامِعَها ، وقال في خطبته يخاطب الزنْج : «إنكم قد أُعِنْتُم بقُبحِ مَظهر فاشفعوه بقُبحِ مَخْبَر : اجعلوا كلَّ عامرٍ قَفْرًا وكلَّ بيتٍ قبرًا» . قال لي بدمشقَ «أبو الحسين اليزيدي الوزريني»***[1] : على نَسَبِ جَدِّي دخَلَ ؛ وإيَّاه ادَّعَى .

وقال «أبو عبدِ اللهِ بنُ محمَّد بنِ عَليِّ بنِ رِزام الطائي الكوفي»**** : كنتُ بمكةَ وسيفُ «الجَنابي» قد أخذَ الحاجَّ ، ورأيتُ رجُلاً منهم قد قَتَلَ جماعةً وهو يقولُ : يا كِلاب ، أليس قال لكم «محمدٌ» المكِّيُّ : «ومَنْ دخله كان آمنا»[2] أي أَمْنٍ هنا ؟ فقلتُ له : يا فتى العَرَب ، تُؤمِنُني سَيْفَكَ أُفَسِّر لك هذا ؟ قال : نعم . قلتُ : فيها خمسةُ أجْوِبة ، الأولُ ، ومَنْ دَخَلَه كان آمناً مِن عذابي يومَ القيامة ؛ والثاني ، مِنْ فَرْضِي الذي فرضْتُ

---

١ – كذا في (ى) – واللفظ في (ج) غير واضح ، وأقرب ما يكون إلى : [الوزريني] ، وفي ع : (الوزير بن علي نسب) وهو تحريف يفسد العبارة .

٢ – يشير إلى قوله تعالى : « مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً » من آية آل عمران ٩٧ .

الأعلام

* – البصرة : مدينة العراق ، وراجع في الغفران حديث خرابها في فتنة الزنج .

** – علوي البصرة : أو العلوي البصري ، صاحب الزنج – انظره في أعلام الغفران .

*** – أبو الحسن اليزيدي : (الوزريني ؟) – ولم نهتد بعد إلى معرفة شخصيته ، والسياق يفهم أنه علوي من القرن الرابع ، بدليل قوله إن علوي البصرة ، دخل على نسب جده ، وإياه ادعى .

**** – أبو عبد الله ، محمد بن علي بن رزام الطائي ، لم نهتد إليه في مراجعنا ، وحديثه عن أخذ الجنابي للحاج ، يدل على أنه عاش في الربع الأول من القرن الرابع الهجري .

عليه ؛ والثالث : خرج مخرَجَ الخبَر وهو يريدُ الأمرَ كقوله : «والمطَلَّقَاتُ يتَرَبَّصْنَ بأنفسِهن»[1] ؛ والرابعُ . لا يُقامُ عليه الحَدُّ فيه إذا جَنى فى الحِلِّ ؛ والخامسُ . مَنَّ اللهُ عليهم بقوله : «أنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِنًا ويُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهم»[2] فقال : صدقتَ . هذه اللحيةُ إلى تَوْبة ؟ فقلتُ : نعم . فخَلَّانى وذهب .

و «الحُسَيْنُ* بنُ منصور الحلاجُ » مِنْ « نيسابورَ »** وقيل : من «مَرْو» ** . يَدَّعى كُلَّ علمٍ . وكان مُتَهوِّرًا جسورًا يرومُ إقلابَ الدوَل ويدَّعى فيه أصحابُه الإلهيَّةَ . ويقولُ بالحلولِ . ويُظهِرُ مذاهبَ الشيعةِ للملوكِ ، ومذاهبَ الصوفيةِ للعامة . وفى تضاعيفِ ذلك يَدَّعى أن الإلهيةَ قد حلَّتْ فيه . وناظَرَه «عليُّ بنُ عيسى الوزيرُ» *** فوجَده صِفرًا من العلوم . وقال : «تَعَلُّمُكَ لِطهورِكَ وفَرْضِك . أجدى عليكَ مِن رسائِلَ أنتَ لا تدرى ما تقول فيها ؛ كم تَكتُبُ إلى الناس : تباركَ ذو النورِ الشَّعْشَعانِيِّ الذى يلمعُ بعد شَعْشعتِه ! ما أحوجَكَ إلى أدب ! »

حدَّثنى «أبو علىّ الفارسىُّ» **** قال : «رأيتُ الحلاَّجَ واقفاً على حَلقَةِ أبى بكرِ الشِّبْلِى *****: .... أنت بالله ستفسد خشيتَه[3] . فنفَض كُمَّه فى وجهِه وأنشد :

---

١ – من آية ٢٢٨ سورة البقرة .

٢ – من آية ٦٧ سورة العنكبوت وصدر الآية : «أو لم يروا .

٣ – فى ج : [ستفسد خشيته] وفى ى ، ع : [ستفسد خشية] والعبارة غامضة ، لا تعين قائلها . ورجحنا أن تكون من قول أبى بكر الشبلى للحلاج ، ينعى عليه أنه – بقوله بالحلول – سيفسد الشعور بخشية الله ، فنفض الحلاج كمه فى وجه الشبلى وأنشد الأبيات الثلاثة .

الأعلام

* – الحسين بن منصور الحلاج : من أعلام الغفران .

** – نيسابور ، ومرو : من مدن خراسان ، انظرهما فى ياقوت : ٨/٣٥٦ ، ٨/٢٣ .

*** – على بن عيسى الوزير : أبو الحسن – صفحة ٢٩ .

**** – أبو على الفارسى : الحسن بن أحمد – من أعلام الغفران .

***** – أبو بكر الشبلى : الزاهد المتصوف – من أعلام الغفران .

يا سِرَّ سِرٍّ يَدِقُّ حتى يَجِلَّ عن وصفِ كلِّ حَيّ[1]

وظـاهرًا باطناً تَبَدَّى من كلِّ شيءٍ لكلِّ شَيّ

يا جُملَةَ الكُلِّ لستَ غيرى فما اعتذارى إذًا إلَىّ !»

وهو يَعتقِدُ أن العارفَ من[2] اللهِ بمنزلةِ [شُعاعِ] [3] الشمس ، مِنْها بدأ وإليها يعودُ ، ومنها يستمدُّ ضَوءَه .

أنشدنى «الظاهرُ» * لِنَفسِه[4] :

أرى جِيلَ التصَوفِ شرَّ جيلٍ فقل لهمُ : وأَهْوِنْ بالحلولِ

أقال اللهُ حين عَشِقتُموه كُلُوا أكلَ البهائمِ وارقصوا لى ؟

وحَرّكَ يوماً يدَه فانتشَر على قوم[5] مِسْكٌ ؛ وحرّكَ مرةً أُخرى فانتشر دراهم : فقال له بعضُ مَنْ حضَرَ ممن يَفهمُ : أرِنى دراهمَ [غيرَ] معروفة[6] ؛ أُومِنْ بكَ وخَلْقٌ معى إن أعطيتَنى درهماً عليه اسمُك واسمُ أبيك . فقال : وكيف هذا وهذا لا يُصْنَع؟ قال : مَنْ أحضَر ما ليس بحاضر ، صنَعَ ما ليس بمصنوع .

وكان فى كُتُبِه : «إنى مُغرِقُ قومِ نوحٍ ومُهلِكُ عادٍ وثمودَ»

فلما شاع أمرُه وعَرَفَ السلطانُ خَبرَه على صِحَّة . وقَّع بضربه ألفَ سوْطٍ ، وقطعِ يديه ؛ ثم أحرقه بالنارِ فى آخرِ سنةِ تسعٍ وثلاثمائة .

---

١ – الأبيات للحلاج ، انظر رأى أبى العلاء فيها ، فى الغفران .

٢ – فى ع : [العارف ابن الله] تحريف فاحش !

٣ – سقطت كلمة [شعاع] من ج ، وكتب بالهامش : [لعله : بمنزلة شُعاع الشمس] وكذلك فى ى .

٤ – البيتان ، نسبها ابن المبارية ، نقلا عن الخطيب التبريزى ، إلى أبى العلاء المعرى – راجع ترجمة أبى العلاء فى (ياقوت) .

٥ – فى ع : [على قولى]. والحديث هنا عن «الحلاج» .

٦ – فى النسخ الثلاث ، [دارهم معروفة] والسياق يحتاج إلى إضافة [غير].

الأعلام

* – الظاهر : شاعر من القرن الخامس الهجرى ، ولم أهتد إلى اسمه . راجع (تعريف القدماء بأبى العلاء) صفحة ٨٣ ، وراجع معه فهرست الأعلام بالتعريف ؛ حرف الظاء : «الظاهر الشاعر» .

وقال لِ «حامدِ بن العباس »* : أنا أُهْلِكُك . فقال «حامد» : الآن صَحَّ أنك تَدَّعِي ما قُرِفتَ به[1].

و «ابنُ** أبي [العزاقر][2]، أبو جعفر، محمدُ بنُ عليّ [الشَّلْمَغَانيُّ] »[3] أَهْلُهُ من قرية من قرى « واسِط *** » تُعرَفُ بشَلْمَغَانَ، وصورتُه صورةُ «الحلّاج »[4] ويدَّعي عنه قومٌ أنه إلَه ، وأنَّ الله حلَّ فى «آدمَ» ثم فى «شِيث» ثم فى واحدٍ واحد من الأنبياء والأوصياء والأئِمة حتى حَلَّ فى «الحسنِ بنِ عليّ العَسْكريّ****» وأنه حلّ فيه[5] . وكان قد استغْوى جماعةً منهم «ابنُ أبي عَونٍ*****» صاحبُ كتابِ (التشبيه) . ومعه ضُرِبَتْ عُنُقُه . وكانوا يُبيحونه حرَمَهم وأموالَهم [6] يتحكَّمُ فيهم . وكان يتعاطى الكيمياء ، وله كُتُبٌ معروفة .

وكان «أحمدُ بنُ يحيى الراوَنْدى******» من أهْلِ «مَرْوِ الرُوذ*******»

١ — قرف بالشيء : اتهم به ، واقترف الإثم وقارف الخطيئة : خالطها . والحوار هنا بين حامد ، والحلاج .
٢ — فى النسخ الثلاث : [المزافر]تصحيف ، راجع الأعلام .
٣ — فى النسخ الثلاث : [الشلمغان]تصحيف ، راجع الأعلام .
٤ — فى ى : [الحجاج] تحريف .
(٥) الضمير لابن أبي المزاقر .
٦ — فى ع : [وأولادهم .] .

الأعلام

* — حامد بن العباس : الوزير ، من أعلام القرن الثالث الهجرى، توفى سنة ٣١١ هـ ، وراجع الشذور لابن الجوزى ، والشذرات ٢ / ٢٦٣ .
** — ابن أبي العزاقر : أبو جعفر الشلمغانى — انظره فى أعلام الغفران .
*** — واسط : اسم لعدة مواضع ، أحصاها ياقوت فى معجمه (الجزء الثامن ٣٧٨ : ٣٨٧) والمراد بها هنا واسط الحجاج ، بين البصرة والكوفة ، شرع الحجاج فى عمارتها سنة ٨٣ وفرغ منها سنة ٨٦ هـ . ومن أعمالها قرية شلمغان كما نص ياقوت .
**** — الحسن بن علي العسكرى : بن علي الهادى ، بن محمد الجواد ، بن علي الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق : أحد الأئمة الاثنى عشر ، وأبو الإمام محمد الملقب بالحجة وبالمهدى والمنتظر . توفى الإمام الحسن سنة ٢٧٠ هـ . انظر الشذرات ٢ / ١٤١ ، ١٥٠ .
***** — ابن أبي عون : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، انظره فى أعلام الغفران .
****** — أحمد بن يحيى الراوندى : انظره فى أعلام الغفران .
******* — مرو الروذ : مدينة قريبة من « مرو » العظمى بخراسان ، وبها مات المهلب بن أبي صفرة . (بلدان ياقوت) .

حسنَ السَّتْرِ[1] جميلَ المذهب ؛ ثم انسلخ من ذلك كلِّه بأسباب عرضتْ له . ولأن عِلمَه كان أكثرَ من عقلِه ؛ وكان مثلُه كما قال الشاعر :

ومَنْ يُطيق مَرِدًّا[2] عند صبوته ومَن يقومُ لمستورٍ إذا خَلَعا ؟

صنَّفَ[3] :

(كتابَ التاجِ) يحتجُّ فيه لقِدَم العالم ؛ فنقَضَه « أبو الحسين[4] الخياطُ* ».

(الزمُرذ) يَحتجُّ فيه لإبطالِ الرسالة . نقضَه « الخياطُ » .

(نعت الحكمة) سَفَّهَ الله – تعالى – في تكليفِ خَلْقِه أمرَه . نقضه « الخياط » .

(الدامغ) يطعنُ فيه على نظمِ القرآن .

(القضيب) يُثبتُ أن عِلمَ اللهِ مُحدَثٌ ، وأنه كان غيرَ عالِمٍ حتى خَلَق لنفسهِ عِلْما . نقضه « الخياطُ » .

---

١ – كذا في النسخ ؛ لكنها [السيرة] في (معاهد التنصيص ١/٧٦) – راجع ص ٢٦ من مقدمة (كتاب الانتصار – ط مصر ١٩٢٥) . وانظر ما نقلناه في الهامش رقم ٢ .

٢ – كذا في النسخ الثلاث : ولعل [مردا] محرفة عن مريد . أو مرود ؛ وهو المارد الذي يجيء ويذهب نشطاً . والبيت لمحمد بن يسير الأنصاري . وقد رواه صاحب الأمالي هكذا :

« وهل يطاق مذك عند صبوته »

وانظر (سمط اللآلي : ١/١٠٥) : « والمذكي الذي بلغ تمام السن .

وجاء في مقدمة كتاب (الانتصار ، لأبي الحسين الخياط) نقلا عن (معاهد التنصيص : ١/٧٦) : « كان ابن الراوندي هذا من المتكلمين ولم يكن في زمانه أحذق منه بالكلام ولا أعرف بدقيقه وجليله ؛ وكان في أول أمره حسن السيرة حميد المذهب كثير الحياء ، ثم انسلخ من ذلك كله لأسباب عرضت له . وكان علمه أكثر من عقله ، فكان مثله كما قال الشاعر :

ومن يطيق مذكى عند صبوته ومن يقوم لمستور إذا خلعا » اهـ

ويوشك أن يكون منقولا بنصه هنا ، إلى رسالة ابن القارح !

٣ – لمعرفة المزيد عن مصنفات ابن الراوندي التي ذكرها ابن القارح هنا ، راجع (معاهد التنصيص) . وفهرست ابن النديم ، ومقدمة (كتاب الانتصار للخياط) وتعليق أبي العلاء على هذه الكتب واحداً واحداً في رسالة الغفران . ٤ – في ع : [أبو الحسن] تحريف .

الأعلام

* – أبو الحسين الخياط : عبد الرحيم بن محمد بن عثمان ، من أعيان المعتزلة في النصف الثاني من القرن الثالث . والمرجح أنه توفي بعد سنة ٣٠٠ بقليل ، كما اطمأن إليه « الدكتور نيبرج » ناشر كتاب الانتصار ، المطبوع بدار الكتب المصرية ١٩٢٥ . وراجع كذلك (الملل والنحل للشهرستاني) .

(المرجان) فى اختلافِ أهل الإسلام .

• • •

[1] «عليُّ بنُ العباس بنِ جُرَيج الروميّ * » قال «أبو عثمانَ الناجمُ ** » :
«دخلتُ عليه فى علَّتِه التى مات فيها . وعِندَ رأسِه جامٌ[2] فيه ماءٌ مَثلوجٌ وخِنجرٌ مُجَرَّدٌ لو ضُرِب به صَدْرٌ خرجَ من ظَهْر[3] . فقلتُ : ما هذا ؟ قال : الماءُ أبلُّ به حَلْقى فقلما يموتُ إنسانٌ إلا وهو عطشانُ . والخِنجرُ ، إن زاد علىّ الألمُ نَحَرْتُ به نفسى . ثم قال : أقُصُّ عليك قِصَّتى تَستَدِلُّ بها على حقيقةِ تَلَفِى : أرَدْتُ الانتقالَ من الكَرْخِ إلى بابِ البَصْرَةِ . فشاوَرْتُ صَديقَنا أبا الفضْلِ وهو مُشتَقٌّ من الإفْضالِ . فقال : إذا جِئتَ القنطرةَ فخُذْ على يمينِك – وهو مُشتَقٌّ من اليُمْن – واذهبْ إلى سِكّةِ النعيمة – وهو مُشتَق من النعيم – فاسكنْ دارَ ابنِ المُعَافَى – وهو مشتق من العافية – فخالفتُه لِتَعْسى ونَحْسِى . فشاوَرْتُ صديقَنا جعفرًا – وهو مشتق من الجوع والفرار – فقال : إذا جئتَ القنطرةَ فخذْ على شمالِك – وهو مشتق من الشؤم – واسكنْ دارَ ابنِ قِلاَبة . وهى هذه لا جَرَمَ . قد انقلبت بى الدنيا ! وأضَرُّ ما علىّ : العصافيرُ فى هذه السِّدْرةِ تصيحُ : بِيقْ بِيقْ : فها أنا فى السياق ! ثم أنشَدَ :

أبا عثمان ، أنت قريعُ قومِكْ[4]   وجُودُك للعشيرةِ دونَ لَوْمِكْ

---

1 – كذا فى النسخ الثلاث ، والكلام هنا لا يبدو قريب الصلة بالحديث قبله عن ابن الراوندى وكتبه ، إلا بتكلف وقلق . لذلك آثرنا فصله ليكون الكلام عنه مبتدأ .

2 – الجام : الكأس ، القدح – فارسية .

3 – فى ى : [صدر] ويمنعه السياق .

4 – قريع قومك : سيدهم .

الأعلام

* – على بن العباس بن جريج الرومى : من أعلام الغفران .

** – أبو عثمان الناجم : سعد بن الحسن ، من أعلام الغفران .

تمتَّعْ من أخيك فما أراه يراكَ ولا تراه بعدَ يَوْمِكْ

وألحَّ به البولُ فقلتُ له : البولُ مُلِحٌّ بِكَ . فقال :

غَدا ينقطعُ البولُ ويأْتى الويلُ والعَوْلُ[1]

ألا إن لقَاءَ اللـــ ـهِ هو لٌ دونَه الهولُ

وماتَ من الغدِ » .

فأرجو أن يكونَ هذا القولُ توبةً له مما كان اعتقَدَه من ذبْحِه نَفْسَه[2] ، والرسولُ عليه الصلاةُ والسلامُ يقول : « مَنْ وَجَأَ[3] نفسَه بحديدةٍ حُشِرَ يومَ القيامةِ وحديدتُه بيدِه يَجَأُ بها نفسَه خالِدًا مخلَّدًا فى النار ؛ مَن تردَّى من شاهق حُشِرَ يومَ القيامة يتردَّى على مِنْخريه فى النارِ خالِدًا مخلَّدًا ، مَن تَحَسَّى[4] سُمًّا حُشِر يومَ القيامةِ وسُمُّهُ بيده يتحسَّاه خالدًا مُخَلَّدًا فى النار »[5].

* * *

قال « الحسنُ بنُ رجاء الكاتبُ * » : « جاءنى أبو تمام ** إلى خراسانَ ، فبلغنى أنه لا يُصَلِّى ، فوَكلْتُ به مَنْ لازَمَه أياماً فلم يره صلَّى يوماً واحدًا ، فعاتبتُه فقال : يا مولاى ، قطعتُ إلى حضرتِك من بغدادٍ ، فاحتملت المَشَقَّةَ وبُعْدَ الشُّقَّةِ ولم أره يَثْقُلُ علىّ ، فلو كنتُ أعلمُ أن الصلاةَ تنفعُنى وتَرْكَها يَضُرُّنى ما تركتُها . فأردتُ قتلَه فخشيتُ أن يُحمَل على غيرِ هذا » .

* * *

---

١ – كتب إلى جانب [العول] بهامش ج : أى العويل . ومثله بهامش ى .

٢ – يشير إلى قول ابن الرومى لأبى عثمان : « والخنجر ، إن زاد على الألم ، نحرت به نفسى » .

٣ – وجأ فلاناً بالسكين : ضربه فى أى موضع كان . وانظر (النهاية فى غريب الحديث : وجأ)

٤ – تحسى الشراب واحتساه : شربه شيئاً بعد شىء .

٥ – فى هامش (ج) حاشية نصها : (وقوع لفظ الخلود فى هذه الأحاديث للتهديد) والحاشية بنصها فى هامش ى ، ع .

الأعلام

* – الحسن بن رجاء : من أعلام الغفران .

** – أبو تمام : حبيب بن أوس ، من أعلام الغفران .

وفى تـآريخَ[1] كثيرةٍ . أنه أحضِر «المازيار*» إلى «المعتصِم**» وقبلَ قدومِه بيومٍ سَخِطَ على «الأفشين***» ، لأن القاضى «ابنَ أبى دُوَاد****» قال للمعتصم : «أغْرَل[2] ويطأ امرأةً عربية ؟! وهو كاتَبَ المازيارَ ، وزيَّنَ له العصيان» .

فأحضَرَ كاتِبَه[3] ، وتهدده المعتصمُ فأقرّ أنه كتب إلى المازيار : «لم يكن فى الأرضِ ولا فى العصرِ بَلِيَّةٌ إلا أنا وأنت وبابَكُ[4]*****». وقد كنتُ حريصاً على حَقْنِ دمِه حتى كان من أمرِه ما كان . ولم يبق غيرى وغيرُك ، وقد توجَّه إليك عسكرٌ من عساكرِ القوم . فإن هزمتَه وَثَبْتُ أنا بِمَلِكِهم فى قرارِ دارِه . فظهر الدينُ الأبيضُ» . فأجابه «المازيارُ» بجوابٍ هو عنده فى[5] سفطٍ أحْمَر .

فجمع بين الأفشين والمازيارِ . فاعترف المازيارُ بما حُكِى عنه .

وقيلَ للمعتصم : إنَّ وراءَ «المازيارِ» مالاً جليلا . فأنشد :

إن الأسودَ أسودَ الغابِ هِمَّتُها يومَ الكَرِيهةِ . فى المسلوبِ لا السَّلَبِ

* * *

١ – فى ع : [تاريخ] ، وتآريخ جمع تأريخ .
٢ – الأغرل : الذى لا يختَن ، على عادة الأعاجم .
٣ – أى ، كاتب الأفشين . وإقراره هنا ، أنه كتب للأفشين إلى المازيار .
٤ – الباء الثانية غير معجمة فى (ج) ، وفوقها علامة فتحة ، وقد اشتبه الأمر على ناسخ (ى) فكتبها : [وباتك] .
٥ – سقط من ع .

الأعلام

* – المازيار : بن قارن بن وندا هرمز ، من أعلام النفران .
** – المعتصم : الخليفة العباسى ، من أعلام النفران .
*** – الأفشين : حيدر بن كاوس التركى ، من أعلام النفران .
**** – ابن أبى دواد : أبو عبد الله أحمد الإيادى ، من أعلام النفران .
***** – بابك : بن بهرام الخرمى ، من أعلام النفران .

وذكروا[1] أن اثنين قتلوا ثلاثةَ آلافِ ألفٍ وخمسمائةِ ذبَّاحٍ بالثيابِ الخُمْرِ والخناجرِ الطوالِ ، وأنهم وجدوا أسماءهم فى وقعة وقعة وفى بلد وبلد ، وكانوا يأخذون من كلِّ واحد علامةً : خاتمَه أو ثوبَه أو منديلَه أو تِكَّتَه[2] :

• أتى الوادى فطَمَّ على القَرِىِّ • [3]

قد لقيتُ مَنْ يُجادلنى أن عليًّا* رضى الله عنه ... وكذلك الحاكم** ..[4]

وقد ظهر بالبصرة من يدعى أنَّ[5] «جعفرَ» *** ابنُ محمد عليهما السلام ، وأنه متَّصِلٌ به وروحُه فيه ومُتصلةٌ به .

ولو استقصيتُ القولَ فى هذا الفنِّ لطال جدًّا ولكن :

لا بدَّ للمصدور أن ينفثا وللذى فى الصدر أن يُنْبَثا

بل لو قلتُ كلَّ ما أعلمُه ، أكلْتُ زادى فى محبسى ، بل كنتُ أنشدُ :

أحمِلُ رأساً قد مللتُ حمْلَه ألا فتًى يحملُ عنِّى ثِقله

وأستريحُ إلى أن أنشد :

ليس يَشفى كلوم غيرِى كلومى ما به به ، وما بى بى

---

١ – فى موضع الواو من لفظ [وذكروا] فى نسخة (ج) ، خرم من أثر قرضة ، وقد نقل اللفظ فى (ى ، ع) بغير واو.

٢ – التكة : رباط السروال ، والجمع تكك ، كسكة وسكك .

٣ – أتى السيل : جاء من حيث لا يدرى . وطم : علا وغلب . والقرى : مجرى السيل ، ورواية الأساس : • جرى الوادى فطم على القرى •

٤ – الكلام هنا ناقص مبتور ، ونرجح أن بقيته سقطت من النساخ .

٥ – فى ع : [من يدعى أنه جعفر بن محمد] تحريف يختل به المعنى والسياق .

الأعلام

* – على : بن أبى طالب .

** – الحاكم : النص هنا لا يعين المقصود به ، ولعله الحاكم بأمر الله الفاطمى ، ت ٤١١ هـ . راجع وفيات الأعيان ، وشذرات الذهب ١٩٢/٣ .

*** – جعفر : الصادق ، من أعلام الغفران .

إن شكوتُ العصرَ وأحكامَه . وذممتُ صروفَه وأيامَه ؛ شكوتُ مَنْ لا يُشْكِي[1] أبدًا ؛ وذممتُ مَنْ لا يُرضِى أحدًا ؛ شيمتُه اصطِفاءُ اللئامِ . والتحامُلُ على الكرام ؛ وهمتهُ رفعُ الخامل الوضيعِ ؛ ووضعُ الفاضِلِ الرفيع إذا سمَحَ بالحِباء[2] فأَبْشِرْ بَوشْكِ الاقتِضَاء . وإذا أعار فأَحسبُه قد أغار ؛ فما بين أن يُقبِلَ عليك مستبشرًا ، ويُوَلِّى عنك متَجَهِّمًا مستبسِرًا[3] . إلا كلَمْحِ البصَرِ واستطارةِ الشرر . لم يخترقْ ذكرُ الوفاء مسامِعَه . ولم يَمْسَسْ ماءُ الحياء مدامعَه ؛ ظاهِرُه يَسُرُّ ويؤنِسُ . وباطنُه يسوءُ ويُوئِس ؛ يُخيِّبُ ظنَّ راجيه . ويكذِبُ أملَ عافيه[4] ؛ لا يسمعُ الشكوى ويشمتُ بالبلوى . قد ذممتُ شيئًا[5] ووقعتُ فيه أنا . كالغريق يطلب مَعْلَقًا ؛ والأسيرِ يندبُ مَطْلَقاً[6]. وأستحسنُ قولَ «عليّ بنِ العباسِ بن جُرَيجِ الرومى *»[7] :

ألا ليس شيبُك بالمنتزَعْ   فهل أنتَ عن غيّةٍ مُرْتَدِعْ ؟

وهل أنت تاركُ شكوى الزما   نِ ؛إذا شئتَ تشكو إلى مُستَمِعْ ؟

فشَيبُ أخى الشيبِ أمنيَّةٌ   إذا ما تناهى إليها هلَعْ

كنتُ فى حال الحداثةِ ؛ أقربُ الناسِ إلىَّ ؛ وأعزُّهم عَلَىَّ ؛ وأقربُهم

---

١ – أشكاه يشكيه : أزال شكواه . وشكوت إليه فلانا فأشكانى منه ، أى أخذ لى منه ما أرضانى به .

٢ – فى ع : [الحياء]تصحيف . والحباء : العطاء .

٣ – فى ع : [مستبشراً] تصحيف . واستبسر بمعنى قطب وجهه ، ومنه يقال للأسد : البسور .

٤ – العافى : طالب المعروف . من عفا فلاناً يعفوه ، أتاه يطلب عفوه ومعروفه .

٥ – كذا فى (ج ، ى) . وفى ع : [سيئاً] ، تصحيف . و « ابن القارح » يشير هنا إلى ما عابه على المتنبى من ذم الزمان . انظر صفحة ٢٨ .

٦ – المعلق : مصدر ميمى من علق يعلق علوقاً بمعنى تعلق . والمطلق : مصدر ميمى من طلق يطلق طلوقاً بمعنى انطلق وانحل من عقاله .

٧ – رواية الديوان (٣/٤٦١ ط كيلانى) للبيتين الثانى والثالث :

وهل أنت تاركُ شكوى الزما   نِ إذ لست تشكو إلى مستمع

وشيخوخة المرء أمنية   إذا ما تناهى إليها هلع

* على بن العباس بن جريج الرومى : من أعلام الشعراء .

عندى ، وأجلّهم فى نفسى مرتبةً ، مَنْ قال لى : نسأ[1] الله فى أجَلِكَ ، جعلَ اللهُ لكَ أمَدَّ الأعمار وأطولها . فلما بلغتُ عشْرَ الثمانينَ جاء الجزعُ والهلعُ . فمِمَّ أرتاع وألتاعُ ، وأخلدُ إلى الأطماع ، وهو الذى كنت أتمنى ويتمنى لى أهلى ؟ أينَ صُدوفِ الغوانى عنى ؟ فأنا واللهِ عنهنَّ أصدَفُ ؛ وبهنَّ وأدوائهنَّ أعرَفُ ؛ إذ لست ممَّن ينشد تحسُّرًا عليهن :

للسودِ فى السودِ آثارٌ تركنَ بها — لُمعاً من البيض تَثنى أعينَ البيضِ[2]

وقولَ الآخر :

ولما رأيتُ النسرَ عَزَّ ابنَ دايةٍ — وعشَّشَ فى وكريه ، جاشت له نفسى[3]

ولا أنشد لأبى عبادةَ البحترى* :

إن أيامَه من البيض بيضٌ — ما رأين المفارقَ السودَ سودا[4]

وإذا المحْلُ ثارَ ، ثاروا غيوثاً — وإذا النقعُ ثار : ثاروا أُسودا[5]

يحسن الذكرُ عنهمْ والأحادِيـ — ـثُ إذا حدَّثَ الحديدُ الحديدا[6]

بلدةٌ تنبت المعالى فما يثَّغِـ — ـرُ الطفلُ فيهمُ أو يسودا[7]

وهذه صفةُ «مَعرَّةِ النعمان** » به — أدام الله تأييده — لا خلَتْ منه

---

١ – فى ع : [نسأل الله فى أجلك]تصحيف . والنسء : التأجيل والإطالة .

٢ – السود الأولى ، هى الأعين السود ، والثانية : الشعر .
والبيض الأولى : الشيب ، والبيض الثانية : الغوانى .

٣ – ابن داية : الغراب .

٤ – الأبيات من قصيدته التى مطلعها :
إنمـا الغى أن تكون رشيدا — فانقصا من ملامة ، أو فزيدا

٥ – المحل : الجدب . والنقع : غبار المعارك .

٦ – قوله : إذا حدث الحديد الحديدا ، يعنى به ضراب السيوف وقراع الرماح .

٧ – يثغر : ينبت ثغره .

الأعلام

* – أبوعبادة ، البحترى : من أعلام الغفران .

** – معرة النعمان : بلدة أبى العلاء ، من أعلام الغفران .

ومن النعمةِ عليه وعنده ، فقد وجدتُ أهلَها معترفين بعوارفِهِ[1] ، خلا «أبي العباس أحمدَ بنِ خلف المُمَتَّع *» ، – أدام اللهُ عزَّه – فإنى وجدتُ آثارَ تفضُّلِه عليه ظاهرةً ، ولسانَه رطباً بشكره وذِكْرِه ، قد ملأ السماءَ دعاءً ، والأرضَ ثناء .

قالت قريشٌ للنبي عليه الصلاةُ والسلامُ : أتباعُكَ مِنْ هؤلاء الموالى ، كبلالٍ وعَمَّارٍ وصُهَيب** ، خيرٌ من قُصيّ*** بن كلاب ، وعبدِ مناف**** وهاشم***** وعبدِ شمس ؟****** فقال : «نعم ، واللهِ لئن كانوا قليلا ليكثُرُنَّ ، ولئن كانوا وُضَعاءَ ليَشْرُفُنَّ حتى يصيروا نجوماً يُهتَدى بهم ويُقتَدى ، فيقال : هذا قولُ فلانٍ وذِكرُ فلان . فلا تُفاخرونى بآبائكم الذين مُوِّتوا فى الجاهلية ، فَلَمَا يُدَهْدِهُ الجُعَلُ[2] بِمنْخرِه خيرٌ من آبائكم الذين مُوِّتوا فيها . فاتَّبِعونى أَجْعلْكم أنساباً ، والذى نفسى بيدِه ، لتَقْتَسِمُنَّ كُنوزَ كسرى وقيصر» .

---

١ – العوارف ، جمع عارفة : وهى المعروف والعطية .

٢ – يدهده : يدحرج . والجعل : ضرب من الخنافس ، جمعه جعلان .

الأعلام

* – أبو العباس أحمد بن خلف الممتع : من أعلام الغفران .

** – بلال ، وعمار ، وصهيب : من الصحابة السابقين إلى الإسلام ، وكانوا موالى – انظرهم فى طبقات الصحابة .

*** – قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى . الجد الرابع للمصطفى عليه الصلاة والسلام . وهو الذى أخرج خزاعة و بنى بكر من مكة ، وتولى مناصب الشرف فيها ثم تركها ميراثاً لبنيه من بعده . السيرة ١ / ١١٠

**** – عبد مناف : بن قصى ، الجد الثالث للرسول عليه الصلاة والسلام ، وأبو هاشم وعبد شمس . السيرة ١ / ١١١ .

***** – هاشم : بن عبد مناف ، أبو عبد المطلب ، وجد عبد الله . أمه عاتكة بنت مرة بن هلال : إحدى العواتك التى اعتز الرسول بنبوته لهن فقال : أنا ابن العواتك من سليم . السيرة ١ / ١١٢ .

****** – عبد شمس : بن عبد مناف بن قصى ، جد أبى سفيان ، وعثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس . السيرة ١ / ١١١ .

وانظر فى قصى ، وعبد مناف ، وهاشم ، وعبد شمس : كتاب (نسب قريش لمصعب الزبيرى)

فقال له عمُّه «أبو طالب» * : «أبقِ عليّ وعلى نفسِك»[1]. فظنّ عليه الصلاةُ والسلامُ أنه خاذلُه ومُسْلِمُهُ، فقال: «يا عمُّ، واللهِ لو وضعوا الشمسَ فى يمينى والقمرَ فى شمالى على أن أتركَ هذا الأمرَ حتى يُظْهِرَه الله أو أَهْلِكَ فيه ما تركتُه». ثم استعبر باكياً؛ ثم قام. فلما ولّى ناداه: «أقبل يا ابن أخى». فأقبلَ. فقال: «اذهبْ وقلْ ما شئتَ، فواللهِ لا أسلمتُك لسوءٍ أبدًا». فكان عليه الصلاة والسلامُ يذكرُ يوماً ما لقى من قومِه من الجهْدِ والشدةِ؛ قال:

«لقد مكثْتُ أياماً وصاحبى هذا - يشير إلى أبى بكر - بضعَ عشرةَ ليلةً ما لنا طعامٌ إلا البرير[2] فى شُعَب الجبال».

وكان «عُتبة بنُ غزوان» ** يقول إذا ذكر البلاءَ والشدةَ التى كانوا عليها بمكة: «لقد مكثنا زماناً ما لنا طعامٌ إلا ورق البَشام[3] أكلناه حتى تقرَّحتْ أشداقُنا، ولقد وجدتُ يوماً تمرةً فجعلتُها بَيْنى وبين «سعد» *** وما مِنَّا اليومَ أحدٌ إلا وهو أميرٌ على كُورة». وكانوا يقولون فيمن وجد تمرةً

---

١ - حديث أبى طالب مع النبى صلى الله عليه وسلم، مبسوط فى السيرة لابن هشام: ١/٢٨٤ط الحلبى

٢ - البرير: ثمر الأراك. وقيل هو أول ما يظهر من ثمره. واحدته بريرة.

٣ - البشام: شجر طيب الريح يستاك به، وورقه صغار، ولا ثمر له.

واقرأ فى السيرة (١٦/٢) مزيداً مما لقى المسلمون الأولون من شدة وبلاء.

الأعلام

* - أبو طالب: بن عبد المطلب بن هاشم. عم المصطفى وكافله بعد موت جده. وأبو الإمام على، وجعفر الطيار، وأخو العباس وحمزة وأبى لهب. السيرة ١/١١١ ونسب قريش: ٣٩ ذخائر.

** - عتبة بن غزوان: بن جابر بن وهب السلمى: من مهاجرة الحبشة. راجع الإصابة، والسيرة ١/١١١، ٣٠٢، ٣٤٧.

*** - سعد: بن أبى وقاص بن أهيب الزهرى. من السابقين الأولين، وأحد العشرة. السيرة ١/٢٦٨. ونسب قريش: ٢٦٤ ذخائر.

واقرأ حديث سعد عما لقى من جهد الحصار، فى الجزء الثانى من السيرة (ص ١٦) والروض الأنف للسهيلى. الجزء الأول.

فقسَّمها بينه وبين صاحبه : إن أسعدَ الرجلين من حَصلَت النواةُ فى قِسمه ، يلوكُها يومَه وليلته ، من عَدَمِ القُوت .

وكذا قال رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم : « لقد رَعَيْتُ غُنيماتِ أهل مكَّةَ لهم بالقراريط » .

وابتداءُ أمره أنه وقف على الصَّفا ونادى : يا صباحاه ، يا صباحاه![1] ؛ فجاءُوا يهرعون فقالوا : ما دهَمكَ ؟ ما طَرَقَك ؟

قال : بم تعرفوننى ؟ قالوا : محمد الأمين .

قال : « أرأيتم إن قلتُ لكم إن خَيْلاً قد طَرقَتْكُم فى الوادى ، وإن عَسْكَرًا قد غَشِيَكُم من الفجّ : أكنتم تُصدقونى ؟ »[2] قالوا : اللهمَّ نعم ، ما جَرَّبْنا عليكَ كذباً قط .

قال : « فإن الذى أنتم عليه ، ليس للهِ ولا من اللهِ ولا يرضاه الله ، قولوا : لا إلهَ إلَّا الله ، واشهدوا أنى رسولُه ، واتبعونى تُطِعْكُم العربُ [وتملكوا[3]] العجمَ ؛ وإن اللهَ قال لى : استَخرِجْهم كما استخرجوك . وابعثْ جيشاً أبعثْ خمسةَ أمثاله ؛ وضمن لى أنه ينصرُنى بقومٍ منكم . وقال لى : قاتِلْ بمن أطاعَكَ مَنْ عصاكَ . وضمن لى أنه يغلب سلطانى سلطانَ كسرَى وقيصر » .

ثم إنه عليه الصلاةُ والسلامُ غزا « تبُوكَ* » فى ثلاثين ألفًا[4] ؛ وهذا من

---

١ – سقطت من (ع) .

٢ – نون الوقاية تدغم فيها نون الرفع أو تفك ، وقد تحذف إحداهما تخفيفاً – راجع (شرح ابن عقيل وحاشية الخضرى ١/٦٠ ط ١٣٢٧) .

٣ – فى النسخ الثلاث : [وتملكون] .

٤ – أمامها بخط رفيع بين الأسطر فى ج (فيه نظر) بمداد أحمر . وقد سقطت من ى ، ع . راجع غزوة « تبوك » فى الطبرى (حوادث سنة ٩) وفى السيرة (١٥٩/٤) . والطبقات الكبرى لابن سعد (١١٩/٢) ط بريل .

الأعلام

* – تبوك : موضع بين وادى القرى والشام ، وكانت لبلاد الروم ، غزاها الرسول صلى الله عليه وسلم سنة تسع فكانت آخر غزواته . (بلدان ياقوت) .

قِبَلِ اللهِ الذى يجعلُ من لا شىء كلَّ شىء ، ويجعَلُ كلَّ شىء لا شىء ، يُجمِّدُ المائعاتِ ويُميع الجامداتِ ، يُجَمِّدُ البحر ثم يفجرُ الصخر .

وما مثلُه فى ذلك إلَّا كمثل من قال : هذه الزجاجةُ الرقيقةُ السخيفةُ ، أحكُّ بها هذه الجبالَ الصّلدةَ الصُّلْبَةَ المنيفة ، فَترَضُّها وتَفُضُّها ؛ وهذه النملة الضعيفةُ اللطيفة ، تَهزِمُ العساكِرَ الكثيرةَ المُعَدَّةَ !

وكذا حقيقة أمرِه عليه الصلاةُ والسلامُ : حتى لقد قال «عُرْوةُ بنُ مسعود الثَّقَفِىّ*» لقريش ؛ وكان رسولَهم إليه صلى اللهُ عليه وسلم بالحُدَيْبية** : «لقد وردْتُ على النجاشى وكسرى وقيصر ورأيتُ جُندَهم وأتباعَهم ، فما رأيتُ أطوع ولا أوقَرَ ولا أهيبَ من أصحابِ محمدٍ لمحمدِهم ؛ هم حولَه وكأن الطيرَ على رءوسهم ، فإن أشار بأمْرٍ بادروا إليه ، وإن توضَّأ اقتسموا وضُوءَه ، وإن تَنَخَّمَ دَلكُوا بالنُّخَامَةِ وجوهَهم ولِحاهم وجلودَهم » .

وكانوا له بعدَ موتِه أطْوَعَ منهم فى حياتِه ، حتى لقد قال بعضُ أصحابهِ : «لا تَسُبُّوا أصحابَ محمدٍ فإنهم أسلموا من خوفِ اللهِ ، وأسْلَمَ الناسُ من خوفِ أسيافهم » .

فتأمَّلْ ، كيف استفتَحَ دعوتَه - وهو ضعيفٌ وحدَه - بأن هذا سيكونُ ، فرآه العدوُّ والولىُّ . وما كان مثلُه فى ذلك إلاَّ مثلَ مَنْ قال : «هذه الهباءةُ تعظُمُ وتصير جَبَلا يُغَطِّى الأرض كلَّها » ثم أنذر الناس بها فى حالِ ضعفِها !

الأعلام

* - عروة بن مسعود الثقفى : الصحابى الجليل ، ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث الإسراء . وأمه سفيعة بنت عبد شمس. راجع قصة ذهابه عن قريش إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ورجوعه إليها بهذا الحديث ، فى السيرة (٢ / ٢٢٧) وتاريخ الطبرى ، حوادث السنة السادسة للهجرة .

** - الحديبية : قرية من قرى الحجاز ، بينها وبين مكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة سبع مراحل . عقد فيها الصلح المشهور سنة ست من الهجرة ، بين النبى صلى الله عليه وسلم وقريش . ياقوت ٢٢٣/٢ - السيرة ٢٢٤/٢ - تاريخ الطبرى (سنة ٦ هـ) . طبقات ابن سعد ٦٩/٢ ط بريل .

وجاءَ صلى الله عليه وسلم يوماً ليدخلَ الكعبةَ ، فدفَعَه «عثمانُ بنُ طَلحَة العبْدَرِىّ» • فقال :

«لا تَفعلْ يا عثمانُ ، فكأنَّكَ بمفتاحِها بيدى أَضَعُه حيث شئتُ»[1] .

فقال :

«لقد ذَلَّتْ يومئذ قريشٌ وقَلَّتْ» . قال : «بل كثرتْ وعزَّتْ» .

* * *

وأنا أستعينُ بعصْمةِ اللهِ وتوفيقهِ ، وأجعلُهما مُعِينَىَّ[2] على دفعِ شهَواتى . وأشكو إليه عُكُوفِى على الأمانى ، وأسألُهُ فَهْماً لمواعِظِ عِبَرِ الدنيا ؛ فقد عَمِيتُ عن كُلُومِ غِيَرِها ، بما جَثَمَ[3] على خواطرى من الشعَفِ [بها][4] . ولستُ أجد مُنصِفًا لى منها ، ولا حاجزًا لرَغبتى فيها عنها ؛ وأين ودائعُ العقولِ وخزائن الأفهامِ يا أولى[5] الأبصار ؟ صفَحْنا عن مساوئ الدنيا إغماضاً لعاجلٍ مُونقٍ[6]

---

١ – فى السيرة (٤/٥٤) أن الرسول ، يوم الفتح . جاء البيت فطاف به سبعاً ، ثم دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ودخلها ، ثم جلس فى المسجد فقام إليه «على» ومفتاح الكعبة فى يده عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية ، صلى الله عليك . فقال الرسول : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء .

٢ – فى ع : [معينتى] .

٣ – فى ع : [جثم] تصحيف .

٤ – زيادة احتاج إليها السياق . والشعف : غلبة الحب . يقال شعفه الحب يشعفه إذا غشى قلبه وغلبه .

٥ – رسمها فى ج : [ياأولى] ورسمتها فى ى : [ياولى] .

٦ – فى ع : [موفق] تحريف .

الأعلام

• – عثمان بن طلحة العبدرى : من بنى عبد الدار بن قصى بن كلاب ، وكانت الحجابة فيهم ميراثاً عن جدهم قصى . أسلم عثمان فى هدنة الحديبية ، وهاجر إلى المدينة مع خالد بن الوليد قبل الفتح ، وقتل شهيداً بأجنادين فى أول خلافة عمر رضى الله عنه .

السيرة ١٢/١٣ – ٤/٥٤ وانظر الإصابة والاستيعاب .

التنغيص ؛ وتُوِى[1] إليه يدُ الزوالِ ؛ وتكمُنُ له الآفاتُ . قال «كُثَيِّر» *[2] :

كأنِّى أنادى صخرةً حين أعرضَتْ · من الصمِّ لو تمشى بها العُصْمُ زلَّتِ

وأقول على مذهب «كثيِّر» * : يا دنيا ؛ فى كُلِّ لحظة لِطَرْفى منكِ عَبْرة ، وفى كل فكرة لى منكِ حَسْرة ! يا مُرنَّقةَ الصَّفا ويا ناقضةَ عهدِ الوفا ؛ ما وُفقَ لحظة مَن عرّجَ نحوَكِ ، ولا سعِدَ مَنْ آثر المقامَ على حسن الظن بك ؛ هيهاتَ يا معشر أبناء الدنيا ، لكم فى الظاهر اسمُ الغِنى ، وفى الباطن أهلُ التقلُّل لهم نفسُ هذا المعنى . كم من يوم لى أغرَّ كثيرِ الأهِلَّة ، قد صحَتْ[3] سماؤه وامتدَّ علىَّ ظِلُّه ، تمدنى ساعاتُه بالمنى ؛ ويضحكُ لى[4] عن كلِّ ما أهوى ؛ حتى إذا اتَّصلَ بكل أسبابى نَفِسَتْ علىّ به الدنيا[5] فَسَعَتْ بالتشتيت إلى أُلفَتِه ؛ والنَّقْص إلى مُدَّتِه ، فكَسَفتْ بهجتَه كسوفاً ، وأرهقتْ [نَضْرتَه وحشيةُ][6] الفراق ، وقطَّعَتْنا فِرقاً فى الآفاقِ ، بعد أن كنَّا كالأعضاء المؤتلِفَةِ ؛ والأغصانِ اللدنَةِ المنعطفة :

واحسرتى فى يوم يجمعُ · شِرَّتى كفنٌ ولَحْدُ[7]

ضيَّعتُ ما لا بُدَّ منه · بالذى لى منه بُدُّ

وأنشِد قولَ «ابن الرومى» ** :

ألا ليس شيُكَ بالمنتزِعْ · فهل أنتَ عن غَيِّه مرتدِعْ[8]

---

١ – فى ع : [وترى]. وفى ج ، ى : [وتوى] بتخفيف الهمزة .
٢ – انظر القصيدة فى خزانة الأدب للبغدادى (٢/٣٧٩ بولاق) . وراجع (سمط اللآلى ٢/٧٣٥)
٣ – فى ى ، ع : [أصحت سماؤه].
٤ – فى ع : [ويضحك لى بها].
٥ – نفست على به الدنيا : حسدتنى عليه ولم ترنى أهلا له .
٦ – فى ج ، ى : [نضرة وحشية]وفى ع : [نضرته وحشيته] .
٧ – فى ى : [يا حسرتى]وجاء البيت [فى ع.] نثراً . والشرة : الحدة ، والنشاط ، والطيش .
٨ – انظر ما بعد هذا البيت فى صفحة ٤٤ – والديوان : ٣/٤٦١ .

الأعلام

* – كثير : عزة ، ابن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعى – من أعلام الغفران .
** – ابن الرومى : على بن العباس – من أعلام الغفران .

فأَقلَقُ وأبكى بكاءً غيرَ نافعٍ ولا ناجعٍ ، ويجبُ أن أبكيَ على بكائى وأنشدَ :

لسانى يقولُ ولا أفعلُ وقلبى يريدُ ولا أعملُ
وأعرف رشدى ولا أهتدى وأَعْلَمُ لكننى أجهلُ

عرض عَلَىَّ بعضُ الناس كأسَ خمر . فامتنعتُ منها وقلتُ : خَلُّونى والمطبوخَ على مذهبِ «الشيخِ الأوزاعى*» . وقلتُ لهم : عَرَض «إبراهيمُ ابنُ المهدى**» على محمد بن [حازم] [1] *** الخمرةَ فامتنع وأنشدَ :

أبعدَ شيبىَ أصبـو والشيبُ للجهل حَرْبُ
سِنٌّ ، وشيبٌ ، وجهلٌ أمرٌ لَعَمرُكَ صَعْبُ
يا ابنَ الإمامِ [2] فَـأَلاَّ أيامَ عُودِىَ رطْبُ
وإذ شيبى قليلٌ ومنهلُ الحب عذبُ
وإذ شفاءُ الغوانى مِنِّى حديث وقُرب
فالانَ لما رأى بى الـ عُذَّالُ ما قد أَحَبُّوا
وآنَسَ الرشدَ منى قوم ، أُعَابُ وأصبو؟
آليتُ أشربُ خمرًا ما حَجَّ للهِ رَكْبُ

١ – فى النسخ الثلاث : [خازم] بخاء معجمة ، تصحيف .
٢ – فى ع : [يا ابن إمام] تصحيف .

الأعلام

* – الشيخ الأوزاعى : أبو عمرو الإمام ، عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى فقيه الشام فى القرن الثانى الهجرى وإمام الشام ، وكان زاهداً متعبداً ، مجتهداً . حديثه فى الكتب الستة ، مات سنة ١٥٧ هـ – (تذكرة الحفاظ ١٧٨/١ ، طبقات ابن سعد ٧–١٨٥/٢ ، تهذيب التهذيب ٢٣٨/٦)

** – إبراهيم بن المهدى : العباسى – من أعلام الغفران .

*** – محمد بن حازم : بن عمرو الباهلى – من أعلام الغفران .

وأقبلتُ على نفسي مخاطِباً ، ولها معاتباً ، والخطابُ لغيرها والمعنى لها :
لقد أمْهَلكم حتى كأنه أهملكم ! أما تستحيون من طول ما لا تستحيون!
فكنْ كالوليدِ تُقَلِّبُه يدُ اللطفِ به على فراشِ العطفِ عليه ، تُصرَفُ إليه المنافعُ
بغيرِ طَلَب منه لِصغَره ، وتصرَفُ عنه المضارُّ بغيرِ حذَر منه لعجزه . أما
سمعتَ الرسولَ عليه الصلاةُ والسلامُ إذ يقولُ فى دُعائه : « اللهمَّ اكلأنى
كلاءةَ الوليدِ الذى لا يَدرى ما يُرادُ به ولا ما يريدُ » . ألا مُتَعَلَّقٌ والإذلالُ
أذيالُ دليلهِ؟ ألا مُعِدٌّ مَطِيَّةً ورَحْلاً ليوم رحيلِه ؟ يا هَلاَه ! الدُّلجةَ الدلجة ! إنه
مَن لم يسبقْ إلى الماء يَظمَ . إنما منعتُكَ ما تشتهى ضَنًّا بك وغيرةً عليك ، قال
الرسولُ عليه الصلاة والسلامُ : « إذا أحبَّ اللهُ عبدًا حَمَاه الدنيا » وأنتَ
تشكونى إذا حَميتُك ، وتكرهُ صيانتى إذا صُنْتُك . ألا لائذ بفِنائِنا ليَعِزَّ ؟
ألا فارٌّ إلينا لا فارَّ منا ؟ يا من له بُدٌّ من كل شىء ، ارحمْ مَنْ لا بُدَّ له
منكَ على كل حال ! الله يُغنى بشىء عن شىء ، وليس يُغنَى عنه بشىء ،
فلهذا قال جبريلُ للخليل : ألكَ حاجةٌ ؟ قال : أما إليكَ فلا ، اللهُ يَستحقُّ
أن يُسألَ وإن أغنَى ، لأنَّه لا يُغنَى بشىء عنه . أطِعْه لتُطيعه ولا تُطِعْه
ليطيعَكَ فتفترَ وتمَلّ . مَنْ ترك تدبيره لتدبيرنا أرَحْناه ! جَلَّ مَنْ لَوالِبُ[1]
القلوبِ والهمَم بيدِه ، وعزائمُ الأحكامِ والأقسام عنده :

أنسِيتَ ذكْرَ أحبَّة ينْسَونَ ذنبكَ عند ذكرِك ؟
وجفوتَهم ، ولطالما كانوا - خِلافَكَ - طوعَ أمرِكْ
وصبرْتَ عند فراقِهم ما كان عذرُكَ عند صبرِك؟

تتركُ منْ إذا جفوتَه ونسيتَ ذكرَه وتعدَّيتَ حدَّه وتركتَ نَهْيه وضَيَّعتَ

---

١ - لوالب : جمع لولب ، الآلة المعروفة .
ولعل القارئ يلاحظ على هذه الفقرة كلها ، ما فيها من كثرة الالتفات الذى لا يؤمَن معه الخلطُ واللبس ، إلا بالحذر والتنبه .

أمرَه ، وتُبْتَ إليه وعَوَّلْتَ فى تَفضُّله عليكَ عليه ، وقلت : يا ربِّ ، قال لكَ : لبَّيْك «وإذا سألكَ عبادِى عنى فإنى قريبٌ»[1] إنْ كان الذنبُ بوجهكَ فَأتَّهِمُكَ ، وإن قطَّعتُ أنا أعضاءكَ فلا تَتَّهمْنى ، أنتَ الذى إذا أعطيتُك ما أمَّلْت تَركتَنى وانصرفتَ : «وإذا أنعَمْنَا على الإنسانِ أعرَضَ ونأى بجانبه»[2]. يا واقفاً بالتُّهم كم كمْ ؟ أليس يقولُ لكَ : ما غرَّك بى ؟ تقول : [حِلمُكَ][3]، وإلا لو أرسلتَ علىَّ بَقَّةً لجمعَتْنى عليكَ إذا أردتَ أنتجمعنى :

أمِنْ بعدِ شُربِكَ كأْسَ النُّهى   وشَمكَ رَيحانَ أهلِ التُّقَى

عشقتَ فأصبحتَ فى العاشقـ   ـين أشْهَرَ من فَرَسٍ أبْلَقَا ؟

أدنياىَ ، من غَمْرِ بَحْرِ الهوى   خُذِى بيدِى قبلَ أن أغرقا

أنا لكِ عبدٌ ، فكونى كَمَنْ   إذا سَرَّه عبدُه أعتَقَا

كان ببغدادَ رجلٌ كبيرُ الرأسِ فِيلىُّ الأذنين اسمُه «فاذوه» • رأسُه فى الأزمنةِ[4] الأربعةِ مكشوفٌ ، لا يَتَوَرَّعُ عن ركوبِ مُخزية ، يقال له : يا فاذوه ، ويْلَك ! تُبْ إلى الله . فيقول : يا قومِ ، لمَ تدخلونَ بينى وبين مولاىَ وهو الذى يقبل التوبةَ من عبادِه ؟

فكان فى بعضِ الشوارعِ يوماً ذاهباً . والشارعُ قد اتَّسع أسفلُه وضاق أعلاه والتقى[5] جَناحانِ فيه ، فناولَت جارةٌ جارتَها مِهْرَاساً[6] . انسَلَّ من

---

1 — من آية ١٨٦ سورة البقرة .

2 — من آية ٨٣ سورة الإسراء .

3 — فى ج ، ى : [حكمك] .

4 — أحسبه يعنى بالأزمنة الأربعة ، الفصول الأربعة .

5 — فى ع [والتقت] .

6 — المهراس : الهاون : ولا تزال مستعملة فى المغرب .

الأعلام

• — فاذوه : مجهول من أعلام الغفران .

يدِها على رأسِ «فاذوه» فهرَس رأسَه . وخُلِطَ كخَلْطِ الهريسة . وأعجلَه عن التوبة . وكان لنا واعظٌ صالحٌ يقول لنا : احذروا مِيتةَ فاذُوه .

قال «جبريلُ» فى حديثِه : «خَشِيتُ أن يتمَّ فرعونُ[1] الشهادةَ والتوبةَ ، فأخذتُ قِطعةً من حالِ[2] البحر فضربتُ بها وجْهَه» – يعنى طينَه . والحالُ ينقسم ثمانيةَ أقسامٍ منها الطينُ – فكيف يصنَعُ مَنْ عِنْدَه أن التوبةَ لا تصِحُّ من ذنب مع الإقامة على آخرَ ؟ فلا حولَ ولا قوة .

* * *

بَلغنى عن مولاىَ الشيخِ – أدام اللهُ تأييدَه – أنه قال وقد ذُكِرتُ له : «أعرِفُه خَبَرًا[3] . هو الذى هجا أبا القاسم* [بن] [4] على بن الحسين المغربى» .

فذلك منه – أدام اللهُ عزَّه – رائعٌ لى . خوفاً أن يستَشِرَّ طَبْعى . وأن يتصوَّرَنى بصورةِ مَنْ يضعُ الكُفْرَ موضِعَ الشكْر . وهو بتعريفِ التنكير .

---

١ – يعنى فرعون موسى .

٢ – أورد (اللسان) أكثر من ثمانية معان للفظ الحال : منها الشىء يحمله الرجل على ظهره ما كان . والكارة والحيئة ، والوقت الذى أنت فيه ، والتراب اللين الأسود ، والحمأة – وبها فسر حديث جبريل الذى نقله ابن القارح هنا – واللبن ، والرماد الحار ، وحال الرجل : امرأته ، والدراجة التى يدرج عليها الصبى إذا مشى .

٣ – كذا (فى ج ، ى) ، والمعنى : أعرفه سماعاً . وقد نقله فى (ع) محرفاً : [أعرفه جزاً] .

٤ – فى النسخ الثلاث : [أن القاسم على بن الحسين] .

والصحيح بالرجوع إلى وفيات الأعيان ، وزبدة الحلب فى تاريخ حلب ١ / ١٨٨ ومعجم ياقوت (٤ / ٦) والشذرات (٧ / ٩٠) . وانظر تعريف القدماء بأبى العلاء (٥٩١) .

الأعلام

* – أبو القاسم : الحسين بن على بن الحسين ، المعروف بالوزير المغربى ، كاتب شاعر ، وسياسى مغامر ، ولد سنة ٣٧٠ وتوفى سنة ٤١٨ . وكان يلقب بالكامل ذى الوزارتين . راجع مصادر : ـه فى الهامش رقم ٤ [أعلاه] –

أنفعُ لي عنده ، لجلالةِ قَدْرِه ودينِه ونُسْكِه ، وأنا أُطْلِعُه طِلْعَه[1] ؛ ليعرفَ خَفْضَه ورفعَه ، وفُراداه وجمعَه .

كنتُ أَدْرس على « أبي عبدِ اللهِ بن خَالَوَيه* » رحمه الله ، وأختلفُ إلى [أبي[2] الحسن المغربي]** : ولما مات « ابنُ خالويه » سافرتُ إلى بغداد ونزلت على « أبي عليٍّ الفارسي*** » وكنتُ أختلِفُ إلى عُلَماء بغداد : إلى « أبي سعيد**** السيرافي . وعلي بن عيسى الرُّماني***** ، وأبي عبيدِ اللهِ****** المرزُباني ، وأبي حفصٍ الكتّاني******* صاحب أبي بكر ********بن مُجاهِد » . وكتبْتُ حديثَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . وبلَّغْتُ نَفْسي

---

١ – أطلعه طلعه : أطلعه على باطن أمره . ويقال : اطلع طلع العدو أي عرف باطن أمرهم وفي (نوادر أبي مسحل) ويقال : ليس لهذا الكلام طلع ولا مطلع ولا مطلع – بضم الميم وتشديد اللام – غير ما قلت لك (٢٩/١) . – ط دمشق .

٢ – في النسخ الثلاث : [أبي الحسين]راجع الأعلام .

الأعلام

* – أبو عبد الله بن خالويه : من أعلام الغفران .

** – أبو الحسن المغربي : علي بن الحسين – والد أبي القاسم – انظر رقم ٤ بهامش الصفحة السابقة ، وانظر أعلام الغفران .

*** – أبو علي الفارسي : الحسن بن أحمد – من أعلام الغفران .

**** – أبو سعيد السيرافي : الحسن بن عبد الله . من أعلام الغفران .

***** – علي بن عيسى الرماني : أبو الحسن ، من كبار النحاة في القرن الرابع ، وكان متفنناً في اللغة والفقه والكلام على مذهب المعتزلة . تذكر له المصادر نحو مائة كتاب في علوم العربية والقرآن . ولد سنة ٢٩٦ وتوفي سنة ٣٨٤ هـ .

(نزهة الألبا لابن الأنباري : ٣٨٩) ، وفيات الأعيان ٣٣١/١) وانظر « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : للخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني » ط الذخائر .

****** – أبو عبيد الله المرزباني : من أعلام الغفران .

******* – أبو حفص الكتاني : عمر بن إبراهيم البغدادي ، إمام القراء في القرن الرابع الهجري ، توفي سنة ٣٩٠ هـ (انظر صفحة ٥٣١) .

******** – أبو بكر بن مجاهد : أحمد بن موسى بن العباس ، شيخ القراء في بغداد ، توفي سنة ٣٢٤ هـ (طبقات القراء لابن الجزري ١٣٩/١) .

أغراضَها جهدى والجهدُ عاذر . ثم سافرتُ منها إلى مصرَ ، ولقيتُ «أبا الحسن[1] [المغربى] فألزمَنى أن لَزِمته لزومَ الظّل ، وكنتُ منه مكانَ المِثل ، فى كثرةِ الإنصافِ ، والحنو والتحافِ[2] . فقال لى سِرًّا : «أنا أخافُ هِمَّة أبى القاسمِ أن تَنْزُوَ[3] به إلى أن يوردَنا وِرْدًا لا صَدَر عنه . وإن كانت الأنفاسُ مما تُحفَظُ وتُكتَبُ ، فاكتُبْها واحفظْها وطالِعْنى بها » .

فقال[4] لى يوماً : «ما نَرضى بالخمولِ الذى نحنُ فيه » قلت : «وأى خمولٍ هنا ؟ ! تأخذون من مولانا — خَلَّدَ اللهُ مُلكَه — فى كلِّ سنةٍ ستَّةَ آلافِ دينار ، وأبوكَ من شيوخِ الدولة وهو معظَّمٌ مُكرَّم » . فقال : «أريدُ أن تُصارَ إلى أبوابِنا الكتائبُ والمواكبُ والمقانبُ[5] ، ولا أرضى بأن يُجرَى علينا كالوِلدانِ والنِسْوَانِ! »

فأعدتُ ذلك على أبيه فقال : «ما أخوفَنى أن يَخضِبَ أبو القاسمِ[6] هذه من هذه ! » — وقبض على لِحْيَتِه وهامتِه .

وعَلِمَ «أبو القاسم » بذلك[7] ، فصارت بينى وبينه وَقْفَةٌ .

---

١ — فى ج ، ى : [أبا الحسن المعرى] تحريف ، والسياق يعين أنه أبو الحسن المغربى والد أبى القاسم . انظر أعلام الصفحة السابقة .

٢ — فى ع : [التجاف] تصحيف . التحاف : التواد ، وقد أتحفه الشىء وأتحفه به أهداه إليه . والتحفة : الهدية .

٣ — تنزو به إلى كذا : تطمح وتنازع إليه . ويقال : هو يتنزى إلى الشر ، أى يتسرع إليه .

٤ — القائل هنا ، هو أبو القاسم ، والراوى هو ابن القارح .

٥ — المقانب : جمع مقنب وهو جماعة من الخيل تجتمع للغارة .

٦ — فى ى : [أبا القاسم] خطأ .

٧ — يعنى بما نقل ابن القارح إلى أبى الحسن المغربى من حديث ولده أبى القاسم .

وأنفذ إلىّ القائدُ «أبو عبد الله . الحسينُ بنُ جوهر* » فشرفنى بشريفِ خِدمتِه ، فرأيتُ «الحاكِمَ** » كلما قتلَ رئيساً أنفذ رأسَه إليه وقال : «هذا عدُوى وعدُوُّكَ يا حُسَينُ » فقلت : «مَنْ يَرَ يَوْماً يُرَ به . والدهرُ لا يُغْتَرُّ به » وعلمتُ أنه كذا يُفعَلُ به . فاستأذنتُه فى الحج فأذِنَ ، فخرَجْتُ فى سنةِ سبعٍ وتسعينَ ، وحججتُ خمسةَ أعوام وعدتُ إلى «مِصرَ» وقد قتله[1] . فجاءنى أولادُه سِرًّا يرومون الرجوعَ إليهم ، فقلتُ لهم : خيرُ مالى ولكم الهربُ . ولأبيكم ببغدادَ*** ودائعُ . خمسمائة ألفِ دينار . فاهرَبوا وأهْرَبُ . ففعلوا وفعلتُ . وبلَغَنى قتلُهم بدمشقَ*** وأنا بطرابُلس**** ، فدخلتُ إلى أنطاكِيَّةَ*** وخرجتُ منها إلى مَلَطْيَةَ *** وبها « المايَسْطرِيَّةُ ؛ خولةُ بنتُ سعدِ الدولةِ***** » فأقمتُ عندها إلى أن وَرَدَ عَلَىّ كتابُ « أبى القاسِم » فسِرت إلى ميافارقينَ****** . فكان يُسِرُّ حَسْوًا فى ارتغاء[2] .

---

١ – القاتل هو الحاكم بأمر الله . والمقتول القائد الحسين بن جوهر .

٢ – يسر : ضد يعلن – والحسو : الشرب شيئاً بعد شىء . يقال حسا الطائر الماء تناوله بمنقاره . والارتغاء : أخذ الرغوة ، يقال ارتغى اللبن ارتغاه أخذ ما عليه من الرغوة . والمرغى من الكلام : المبهم . والمثل يضرب فيمن يتظاهر بأمر ويخفى سواه . كمن يتظاهر بالارتغاء وهو يحسو الشراب .

الأعلام

* – أبو عبد الله الحسين بن جوهر : الصقلى . قائد القواد فى جيش الحاكم الفاطمى وأبوه جوهر الصقلى الذى أخذ مصر وأقام بها الدعوة للعبيديين .

وقد قتل «الحاكم» قائده أبا عبد الله الحسين بن جوهر بسنة ٤٠١ هـ وقتل معه قاضى القضاة – ابن الأثير حوادث سنة ٤٠١ ، الشذرات ٢٦/٣ .

** – الحاكم : بأمر الله ، أبو على منصور الفاطمى صاحب مصر والشام والحجاز والمغرب . ولد سنة ٣٧٥ ، وولى الأمر بعد أبيه العزيز ، وكان الحاكم غريب الأطوار شاذ التصرف ، قتل فى شوال سنة ٤١١ هـ .

راجع ابن خلكان . وابن الأثير ، والشذرات ١٩٢/٣ . والنجوم الزاهرة : ١٧٦/٤ : ٢٤٦ .

*** – بغداد ، ودمشق ، وأنطاكية ، وملطية : من أعلام الغفران .

**** – طرابلس : مدينة على ساحل البحر بالشام – ياقوت ٣٦/٦ .

***** – المايسطرية ، خولة بنت سعد الدولة . ولعل (المايسطرية) تعريب لفظ «المايسترو» ودخلت عليه التاء للتأنيث .

وخولة ، حفيدة سيف الدولة ، أبوها أبو المعالى شريف ، الملقب بسعد الدولة ، ابن سيف الدولة ، ولى حلب بعد موت أبيه سنة ٣٥٦ ؛ وتوفى ٣٨١ هـ (ابن الأثير) .

****** – ميافارقين : أشهر مدن ديار بكر ، (بلدان ياقوت ٧ / ٢١٥)

قال لى يوماً من الأيام : ما رأيتُكَ ! . قلتُ : أعرَضَتْ حاجةٌ ؟

قال : لا ، أردتُ أن ألعنكَ .

قلت : فالْعنّى غائباً !

قال : لا ، فى وجهِكَ أشفَى !

قلتُ : ولم ؟

قال : لمخالَفَتِكَ إياى فيما تعلَم[1] .

وقلتُ له ونحنُ على أنسٍ بينى وبينه : لى حُرُماتٌ ثلاث : البلديةُ ، وتربيةُ أبيه لى ، وتربيتى لإخوتِه .

قال : هذه حُرَمٌ مُهتَكَةٌ : البلَدِيَّةُ نَسبٌ بين الجُدْران ، وتربيةُ أبى لكَ مِنَّةٌ لنا عليكَ ، وتربيتُك لإخوتى بالخِلَعِ والدنانيرِ .

أردتُ أن أقولَ له : « استرَحْتَ مِن حيث تَعِبَ الكرامُ » فخشيت جنونَ جنونِه ، لأنه كان جنونُه مجنوناً ، وأَصَحُّ منه مجنونٌ : وأَجَنُّ منه لا يكون . وقد أُنشِد :

جنونُك مجنونٌ ولستَ بواجِدٍ طبيباً يُداوى من جنونِ جنونِ

بل جُنَّ جِنَّانُه[2] ، ورقَص شيطانُه :

به جِنَّةٌ[3] مجنونةٌ غيرَ أنها إذا حصلَتْ منه ألَبُّ وأعقلُ

وقال لى ليلةً : أريدُ أن أجمعَ أوصافَ الشمعةِ السَّبعةَ فى بيتٍ واحد وليس يسنَحُ لى ما أرضاه . فقلتُ : أنا أفعلُ من هذه الساعةِ .

---

١ – لعله يعنى مخالفته إياه حين هم بالثورة على الحاكم . انظر صفحة ٥٧ .

٢ – الجنان : جمع جان .

٣ – الجنة : والجنون ، زوال العقل أو فساده .

قال : أنتَ جُذَيلُها المحكَّكُ [1] وعُذَيْقُها المُرَجَّب [2].

فأخذتُ القَلَمَ مِن دَواتِه وكتبتُ بحضرته :

لقد أشبهتنى شمعةٌ فى صبابتى وفى هَوْلِ ما ألقى وما أتوقَّعُ
نحولٌ ، وحرقٌ ، فى فَناءٍ ووحدةٍ وتسهيدُ عَيْنٍ ، واصفرارٌ ، وأدمُعُ

فقال : كنتَ عمِلتَ هذا قبلَ هذا الوقتِ !

فقلت : تمنعُنى سرعةَ الخاطرِ وتُعطينى عِلمَ الغيبِ ؟

وقلتُ : أنتَ ذاكرٌ قولَ أبيك لى . ولك . و [للبَتِّى] * [3] الشاعرِ . [وللمحسِّن] [4] ** الدِّمَشْقِىّ . ونحن فى الطارمة [5] : اعملوا قِطعةً قطعةً . فمن جوَّد جعلتُ جائزتَه كَتْبَها فيها . فقلتُ :

بَلَغَ السماءَ شُمُوُّ بيـ ـتٍ شِيدَ فى أعلى مكانِ
بيت علا حتى [6] تغوَّ رَ فى ذُراه الفرقـدانِ
فانعَمْ به لا زلتَ مِنْ رَيْبِ الحوادثِ فى أمانِ

---

١ – الجذيل : تصغير الجذل ، وهو من الشجرة أصلها الباقى بعد ذهاب فروعها . وعود ينصب للإبل الجربى لتحتك به ، ومنه قول القائل : أنا جذيلها المحكك ، يعنى الذى يحتك به كثيراً . يضرب لمن يلتجأ إليه ويستغنى برأيه .

٢ – العذيق : تصغير عذق ، وهو من النخلة كالعنقود من العنب . ورجب النخلة وضع حولها الشوك لئلا يصل إليها أحد . ومعنى عذيقها المرجب : الثمر المصون البعيد المنال .

٣ – فى ج ، ى : [والبيتى] راجع الأعلام .

٤ – فى النسخ الثلاث : [والحسن الدمشق] راجع الأعلام .

٥ – الطارمة : بيت كالقبة ، أعجمى معرب .

٦ – فى ع : [حتى توارى] .

الأعلام

* – البتى : هو – فيما أرجح – أحمد بن على ، أبو الحسن ، وكان حافظاً للقرآن مليح المذاكرة بالأخبار والآداب ، عجيب النادرة ، ظريف المزح والمجون . نادم الوزراء وكتب للقادر بالله . روى ياقوت أبياتا من شعره . توفى سنة ٤٠٣ هـ . (تاريخ بغداد ٤/٣٢٠) ، وأدباء ياقوت ٣ / ٢٥٤)

** – المحسن الدمشقى : رجحنا أن يكون : المحسن بن الحسين بن على ، الأديب الشاعر الوراق . ذكر ياقوت أنه أملى و بصيدا » حكايات مقطعة عن ابن خالويه . توفى فى شوال سنة ٤١٦ – معجم الأدباء ١٧/٨٩ ، ٩٢ .

فاستجادَ سُرْعَتَها وكتبها فى الطارمةِ[1] ، وخلع علىّ .

وكان «أبو القاسم» ملولا . والملولُ ربما مَلَّ الملالَ . وكان لا يَمَلُّ أن يُمَلَّ . ويحقدُ حِقدَ مَنْ لا تلينُ كَبِدُه ، ولا تَنحَلُّ عُقَدُه .

وقال لى بعضُ الرؤساء معاتباً : أنت حقودٌ ولم يكن حقودًا .

فقلت له : أنتَ لا تعرِفُه . واللهِ ما كان يُحنَى عُودُه . ولا يُرجَى عَوْدُه . وله رأىٌ يُزَيِّنُ له العُقوقَ ، ويُمقِّتُ إليه رعايةَ الحقوقِ ؛ بعيدٌ من الطَّبْعِ الذى هو للصَّدِّ صَدُود ؛ وللتـآلُفِ ألوفٌ وَدود . كأنه من كِبْرِه قد ركِبَ الفَلَكَ واستوى على ذاتِ الحُبُكِ[2] . ولستُ مِمَّن يَرْغَبُ فى راغِبٍ عن وُصْلَتِه ؛ أو يَنزِعُ إلى نازعٍ عن خُلَّتِه[3]. فلمَّا رأيتُه سادرًا ، جارياً فى قِلَّةِ إنصافى على غُلَوائه ؛ مَحوْتُ ذِكرَه عن صفحَةِ فؤادى . واعْتَدَدْتُ وُدَّه فيما سال به الوادى :

فنى النَّاسِ إن رَثَّت حِبالُكَ واصِلٌ وفى الأرضِ عن دارِ القِلى مُتحَوَّلُ[4]

وأنشدتُ الرجلَ أبياتاً أعتذرُ بها فى قَطعى له[5] :

فلو كان منه الخيرُ إذ كان شَرُّه عتيدًا ، لقلنا : إن خيرًا مع الشرِّ

ولو كان – إذ لا خيرَ – لا شرَّ عنده صَبَرْنا وقُلنا : لا يَريشُ ولا يبْرِى[6]

ولكنه شرٌّ ولا خيرَ عنـــده وليس على شرٍّ إذا دام من صَبْرِ

ويُبغِضى له[7] – شَهِدَ اللهُ – حيًّا ومَيِّتاً ، أوْجَبَه أخذُه محاريبَ الكعبةِ ،

---

١ – فى ع : [الطارقة] تصحيف يمنعه السياق .

٢ – ذات الحبك : السماء ذات الطرائق الحسنة ، والحبك بالضم جمع حبيكة ، وهى الطريقة فى الرمل أو بين النجوم . وانظر آية ٧ من سورة الذاريات . ومفردات الراغب (حبك) .

٣ – الخلة ، بضم الخاء المعجمة وكسرها : الصداقة والإخاء .

٤ – البيت للشنفرى ، من لامية العرب المشهورة .

٥ – أى ، أنشدت الرجل الذى عاتبنى فى قطعى لأبى القاسم المغربى .

٦ – لا يريش ولا يبرى : لا ينفع ولا يضر . وأصله من راش السهم يريشه : ألصق عليه الريش . وبرى السهم والقلم يبريه : نحته . قال «سويد بن أبى كاهل» :

فرشنى بخير طال ما قد بريتنى فخير الموالى من يريش ولا يبرى

٧ – يعنى : لأبى القاسم المغربى .

الذَّهبَ والفِضَّةَ . وضَرَبَها دنانيرَ ودراهمَ وسَمَّاها «الكَعْبِيَّةَ» ؛ وأنهب العربَ «الرَّملَةَ» • . وخرَّب «بغداد» . وكم دمٍ سَفَكَ ، وحريم انتهكَ ، وحُرَّة أرْمَلَ . وصَبِيٍّ أيْتَم ! !

* * *

وأنا مُعْتَذِرٌ إلى الشيخِ الجليلِ مِنْ تقريظهِ مع [تقريظى[1]] فيه ، لأنه قد شاع فَضلُه فى جميع البَشَرِ ، وصار غُرَّةً على جَبْهةِ الشمسِ والقمر . خَلَّدَ ذلك فى بدائِع الأخبارِ ، وكُتِبَ بسوادِ الليلِ على بياضِ النهار . وأنا فى مُكاتَبةِ حَضرتهِ بمنظومٍ ومنثور ، كمن أمَدَّ النارَ بالشَّرَرِ ؛ وأهدى الضوءَ إلى القمر . وصَبَّ فى البحْرِ جُرْعَةً ، وأعار سيْرَ الفَلَكِ سُرعَةً ، إذ كان لايحلُّ النقصُ بواديه ، ولا يَطُورُ[2] السهوُ بناديه .

ولقد سمعتُ من رسائِلِه عقائلَ لَفظٍ إن نعَتُّها فقد عِبْتُها . وإن وصفتُها فما أنصَفتُها . وأطربتْنى ــ يشهدُ اللهُ ــ إطرابَ السَّماع . وباللهِ لو صَدَرَتْ عن صَدْرِ مَنْ خِزانتُه وكُتُبُه حَوْلَه ، يُقَلِّبُ طَرْفَه فى هذا . ويرجعُ إلى هذا ــ فإن القَلَمَ لِسانُ اليدِ وهو (أحدُ)[3] البلاغتين ــ لكان ذلك عجيباً ، صَعْباً شديدًا . ووالله لقد رأيتُ علماء . منهم «ابنُ خالوَيه» إذا قُرِئَت عليهم الكتبُ . ولا سيَّما الكبارُ . رجعوا إلى أُصولِهم كالمقابِلين يتحَفَّظون من سهو وتصحيف وغَلَط .

والعجبُ العجيبُ والنادرُ الغريبُ . حِفْظُه ــ أدام اللهُ تأْييدَه ــ لأسماء

---

١ ــ فى النسخ الثلاث : [مع تقريظى فيه] .

٢ ــ يطور : يحوم ويقرب . فى الأساس : أنا لا أطور بفلان : أى لا أحوم حوله ولا أدنو منه .

٣ ــ سقطت من النسخ .

الأعلام

• ــ الرملة : مدينة كبيرة بفلسطين ، وكانت قصبتها ، ثم خربت ــ بلدان ياقوت ٤/ ٢٨٦ .

الرجال ، والمنثورِ ، كحفْظِ غيره من الأذكياء المبَرِّزينَ المنظومَ ، وهذا سَهْلٌ بالقولِ صعْبٌ بالفِعل ، مَنْ سَمِعَه طَمِع فيه ، ومن رامه امتنَعَت عليه معانيه ومَبانيه .

حدَّثنى « أبو على الصقِلِّى » بِدِمَشْقَ قال : كنتُ فى مجلسِ « ابن خالَويه* » إذ ورَدَت عليه من « سيفِ الدولةِ ** » مسائلُ تتعلَّقُ باللغة ، فاضطرب لها ودخَل خِزانَتَه وأخرَجَ كتُبَ اللغةِ ، وفرَّقَها على أصحابهِ يُفَتِّشونها ليجيبَ عنها . وتركتُه وذهبتُ إلى « أبى الطيِّبِ اللُّغَوى *** » وهو جالسٌ ، وقد وردتْ عليه تلك المسائل بعيْنِها وبيدِه قلَمُ الحُمْرَةِ . فأجابَ به ولم يُغَيِّرْه . قُدرةً على الجواب .

وقال « أبو الطَّيِّب » : قرأتُ على « أبى عُمَرَ **** » (الفصيحَ) و (إصلاحَ المنطق)[1] حِفظاً . وقال لى « أبو عُمَرَ » : « كنتُ أُعَلِّقُ اللغةَ عن ثعلب ***** على خَزَفٍ ، وأجلسُ على دِجْلَةَ أحفظُها وأرمى بها »

وأنا تعِبْتُ وحفِظْتُ نِصفَ عُمرى ، ونسيتُ نِصْفَه . وذاك أنى درستُ ببغدادَ وخرجتُ عنها وأنا طَرِىُّ الحِفْظِ ، ومضيتُ إلى مِصرَ فأمرجتُ[2] نفسى فى الأغراض البهيمية ، والأعراض المؤثِّمة ، وأردتُ بزَعْمِى وخديعةِ

١ – (الفصيح) لثعلب ، و (إصلاح المنطق) لابن السكيت .

٢ – أمرجت نفسى : أطلقتها ترعى فى الشهوات . يقال : مرج الدابة يمرجها مرجاً ، وأمرجها أرسلها ترعى فى المرج . ومرج لسانه فى أعراض الناس . أطلقه فى ذمهم واغتيابهم .

الأعلام

* – ابن خالويه : أبو عبد الله – من أعلام الغفران .
** – سيف الدولة : الحمدانى – من أعلام الغفران .
*** – أبو الطيب اللغوى : عبد الواحد بن على – من أعلام الغفران .
**** – أبو عمر : غلام ثعلب – من أعلام الغفران .
***** – ثعلب : أبو العباس ، أحمد بن يحيى – من أعلام الغفران .

الطبْعِ المُليم [1] أن أذيقَها حَلاوةَ العَيْش . كما صَبَرْتُ فى طلَبِ العِلْم والأدبِ . ونسيتُ أن العلمَ غذاءُ النفسِ الشريفةِ وصَيْقَلُ الأفهامِ اللطيفة . وكنتُ أكتبُ خمسينَ ورَقةً فى اليوم . وأدرُس مائتين . فصرتُ الآن أكتبُ ورقةً واحدةً وتَحُكُّنى عيناى حَكًّا مؤلماً ؛ وأدرُسُ خمسَ أوراقٍ وَتكِلُّ .

ثم دُفِعْتُ إلى أوقاتٍ ليس فيها مَن يَرغَبُ فى علمٍ ولا أدب . بل فى فضّة وذهب . فلو كنتُ «إياساً» صِرْتُ «باقِلاً» . وأضعُ كتاباً عن يمينى وأطلُبه عن شمالى . وأريد مع ضعفى . أرتاد لنفسى مَعَاشاً بظَهْرٍ غيرِ ظهير . بل كسيرٍ عَقير [2] ؛ وصُلبٍ [3] غيرِ صليب . إن جلستُ فهو كالدُّمَّل . وإن مشيتُ فجُملَتى دماميلُ . ومعى بقيَّةٌ نزرَةٌ يسيرةٌ من جسمةٍ كثيرة . لو وجدتُ ثِقةً أعطيْتُه إياها ليعودَ علىَّ بما أُرِقَهُ به عن جسمى من الحركة . وقلبى من الشُّغل . وأنا أجدُ مَنْ أدفعُها إليه وبقى أن يَرُدَّها إلىَّ !

دفع رجلٌ إلى صديقٍ جاريةً أودعَها عنده وذهب فى سفَرِه . فقال بعد أيامٍ لمن يأنسُ به وتسكُنُ نفسُه إليه : يا أخى . ذهبتْ أماناتُ الناس . أودعنى صديقٌ لى جاريةً فى حِسابِه [4] أنها بِكرٌ . جَرَّبتُها فإذا هى ثَيِّب !

ومن ظريفِ الأخبار أن بِنتَ أختى سرقت لى ثلاثةً وثمانين ديناراً ؛ فلما هدَّدَها السلطانُ ــ أطال اللهُ بقاءه . ومَدَّ مُدَّتَه . وأدام سُمُوَّه ورفعتَه ــ وأخرجتْ إليه بعضَها قالت : «واللهِ لو علمتُ أن الأمرَ يجرى كذا . كنتُ قتلتُه» فاعجبوا من هريستى وزبونى !! [5]

* * *

---

١ ــ المليم : بالضم ، الذى يفعل ما يستحق عليه اللوم . يقال ألام الرجل : فعل ما يلام عليه فهو مليم
٢ ــ عقير : جريح معقور ــ عقره : جرحه ، نحره . وعقر الإبل قطع قوائمها بالسيف .
٣ ــ الصلب : هنا ، عظم الفقار الممتد من الكاهل إلى أسفل الظهر ، العمود الفقرى .
٤ ــ فى ى : [فى حسابى] تحريف .
٥ ــ فى ى : [وزبونى] . والضمير فى [قتلته] عائد على خال السارقة : ابن القارح .

واللهِ لولا[1] ضَعْفِي وعجزى عن السفَر ، لخرجت إليه مُتَشَرِّفاً بمجالستهِ ومحاضَرَتِه ، فأما مُذاكَرَتُه فقد يئستُ منها لما قد استولى عليّ من النِّسيانِ ، واحتوى على قلبي من الهمومِ والأحزان . وإلى اللهِ الشكوى لا منه ، وليس يحسُنُ أن أشكُوَ مَنْ يرحَمُني إلى مَنْ لا يرحَمُني ، وليس بحكيمٍ مَنْ شكا رحيماً إلى غير[2] رحيم .

وكان «أبو بكر الشِّبْليُّ*» يقول : ليس غيرَ اللهِ غَيْرٌ ، ولا عند غيرِ اللهِ خَيْرٌ . وقال يوماً : يا جواد ! ثم أمْسكَ مُفَكِّرًا ورفع رأسَه ثم قال : ما أوقحني ! أقول لك يا جوادُ ، وقد قيلَ في بعضِ عبيدِك :

ولو لم يكنْ في كَفِّه غيرُ نفسِه   لجاد بها : فليَتَّقِ اللهَ سائلُهْ

وقد قيل في آخر[3] :

تراه إذا ما جئتَه مُتهلِّلا   كأنك مُعطيه الذى أنتَ سائلُهْ

ثم قال : «بلى ، أقول : يا جوادًا فاقَ كلَّ جواد ، وبجودِه جادَ مَنْ جاد » .

ودخَلَ «ابنُ السَّمَّاكِ**» على «الرشيدِ***» فقال له : «عِظْني[4] - وفي يدِ الرشيدِ كوزُ ماء .

---

١ - في ى : [لو ضعف] .
٢ - سقط من (ى) .
٣ - البيت لزهير بن أبي سلمى في مدح « حصن بن حذيفة بن بدر » ، من قصيدته التي مطلعها :
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله   وعرى أفراس الصبا ورواحله
ويروى الشطر الثاني :
• كأنك تعطيه الذى أنتَ نائله •
انظر ص ١٢٤ من شرح ثعلب لديوان زهير (ط دار الكتب) والمختار من الشعر الجاهلي
٤ - سقط من (ع) .

الأعلام

* - أبو بكر الشبلي : من أعلام الفقراء .
** - ابن السماك : أبو العباس ، محمد بن صبيح الكوفي الزاهد الواعظ ، كان كبير القدر عند الرشيد ، يعظه ويخوفه فيصغي إليه . توفي سنة ١٨٣ - الشذرات ٣٠٣/١ .
*** - الرشيد ، هارون بن المهدى بن المنصور العباسي - من أعلام الفقراء .

فقال : «مهلاً يا أميرَ المؤمنين ، أرأيتَ إن أقدرَ الله عليك مُقدَّرًا فقال : لن أُمَكِّنَك من شَربةٍ إلا بنصفِ مُلكِك ، أكنتَ فاعلا ذلك؟» .

قال : نعم .

قال : «اشرب ، هنَّاكَ الله» . فلما شرب قال : «أرأيتَ يا أميرَ المؤمنين ، أن لو أُسفِتَّ[1] نفسَ هذا المقَدَّرِ عليك فقال : لن أمكنَك من إخراجِ هذا الكوزِ إلا بأن أستبدَّ بمُلكِك دونَك ، أكُنتَ فاعلا ذلك؟» .

قال : نعم .

قال : «فاتقِ الله فى [مُلكٍ][2] لا يساوى إلا بَوْلَةً» .

* * *

وكيف أشكو من قاتَنى وعالَنى نَيِّفاً وسبعين سنةً : كان قميصى ذراعين ، فوكلَ بى واللَبْنِ حلبَيْن مُشفقين ، يتناهيان فى دقتِه ورِقَّتِه وطيبِه ، فلما صار اثنى عشرَ ذراعاً تولاَّه هو وطعامى ، فما أجاعنى قط ولا أعرانى : «والذى هو يُطعِمُنِى ويَسقِينِ»[3] خاطبَ ربَّه بالأدبِ فقال : «وإذا مَرِضتُ فهو يَشفِينِ»[4] فنَسَبَ المرضَ إلى نفسِه ، لأنها تَنفِرُ من الأعراضِ والأمراضِ . وكلُّ شىء يطرأ على الإنسان لا يقدِرُ على دَفعِه ، مثل النوم واليَقَظَةِ والضحكِ والبكاءِ والغَمِّ والسرور والخَصْبِ والجدبِ والغِنى والفقر ، فهو منه تقدَّسَت أسماؤه . ألا ترى أنه لا يتوعَّدُ على فِعلِه ، ولا يعاقِبُ عليه ؟ وما يقدِرُ[5] على دفعِه فهو منه ، مثل أن يريدَ الكتابةَ فلا يقعُ منه

١ – كذا فى النسخ الثلاث . وفى اللغة : سفت يسفت سفتاً ، أكثر من الشراب ولم يرو . فلعله من أسفته بمعنى سقاه ، على البناء المجهول .

٢ – فى ج ، ى : [ملكك] .

٣ ، ٤ – آيتا ٧٩ ، ٨٠ من سورة الشعراء .

٥ – ضمير الفاعل هنا ، عائد على الإنسان .

البناءُ ، ويريدُ البناء فلا تقعُ منه الكتابةُ . ومَنْ به الرعشةُ لا يقدِرُ على إمساكِ يَدٍ ، ومن ليست به يقدرُ على إمساكِها .

كنتُ بـ «تنِّيس»* وبين يدىَّ إنسانٌ يقرأُ ويُحزِّن[1] : «يوفُونَ بالنَّذْرِ ويخافُون»[2] ويبكى ، فخطَر لى خاطِرٌ فقلت : أنا بضدِّ هؤلاء القوم صلواتُ اللهِ عليهم ، أنا لا أنذِرُ ولا أفِى ، ولا أخافُ شقاءً ولا عناءً ، ولو كنت أخافُ ما أصبحتُ . . [إلا][3] محموماً وكنتُه .

وحدَّثنى مَنْ أثِق به ولا أتَّهِمُه، عن أبيه - وكان زاهدًا - قال : كنتُ مع «أبى بكر الشبلى»** ببغدادَ ، فى الجانبِ الشرقى ببابِ الطاق ، فرأينا شاوياً قد أخرج حَمَلاً من التَّنُّور كأنَّه بُسْرةٌ[4] نُضجاً ، وإلى جانبه قد عيل حلاوىٌ فالوذجا . فوقف ينظرُ إليهما وهو ساهٍ يُفكِّر ، فقلتُ : يا مولاى دعْنى آخذ من هذا وهذا ورقاقاً وخبزًا ، ومنزلى قريبٌ ، تُشَرِّفُنى بأن تجعلَ راحتَك اليومَ عندى . فقال : يا هذا ، أظننتَ أنى قد اشتهيتُهما ؟ وإنما فكرى فى أن الحيوانَ كلَّه لا يدخلُ النارَ إلا بعد الموتِ ، ونحن ندخُلُها أحياء :

يا ربِّ عفوَكَ عن ذى شيبَةٍ وَجِلٍ كأنَّه من حذارِ النارِ مجنونُ
قد كان ذمَّمَ[5] أفعالا مُلمَّمَةً أيامَ ليس له عقلٌ ولا دينُ

• • •

١ - يحزن : يرقق صوته فى التلاوة .
٢ - من آية ٧ سورة الإنسان . .
٣ - بياض فى الأصل . بمقدار كلمة ، والسياق يقوم بوضع لفظ : إلا .
٤ - البسرة : واحدة البسر ، وهو التمر الغض . والبسر أيضاً : الغض من كل شىء .
٥ - كذا فى النسخ الثلاث ، وفى اللسان : أذم الرجل أتى بما يلم عليه . ورجل مذم ، أى مذموم جداً .

الأعلام

* - تنيس : جزيرة قريبة من ساحل مصر الشمال ما بين الفرما ودمياط ، كانت لها شهرة تاريخية فى النسيج . (ياقوت ٢/٤١٩)
** - أبوبكر الشبلى : من أعلام الغفران .

تمّت الرسالةُ والحمدُ للهِ ذى الأفضال ، وصلَواتُه على محمد وخيرة الآل .

ما فرغتُ من السوداء حتى ثارت بى السوداءُ : وأنا أعتذرُ من خَطَلٍ فيها أو زَلَل ، فإن الخطأ مع الاعتذار والاجتهادِ والتحرّى ، موضوعٌ عن المخطئ :

* ومَنْ ذا الذى يؤتَى الكمالَ فيكملُ *

قال «عمرُ بنُ الخطّاب* » : رحِمَ الله امرأ أهدى إلىّ عيوبى .

وأسألُهُ – أدام اللهُ عِزَّه – تشريفى بالجواب عنها ، فإن هذه الرسالةَ – على ما بها – قد استُحْسِنَت وكُتِبَت عنى وسُمِعَت منى . وشرّفتُها باسمِه ، وطرّزتُها بذكره .

والرسالةُ التى كتبها «الزَّهْرَجىُّ** » إلىّ ، كانت أكبرَ الأسبابِ فى دخولى إلى حَلَبَ . وإذا جاءَ جوابُ هذه ، سيّرتُها بحلبَ وغيرها إن شاءَ اللهُ ، وبه الثقةُ ، وصلّى اللهُ على سيدِنا محمّد وعلى آلِه وسلَّم .

الأعلام

* – عمر بن الخطاب : أمير المؤمنين .

** – الزهرجى : أبو الفرج ، انظر صفحة ٢٦ وفيها حديث الرسالة المشار إليها هنا .

٢ - مفتاح الغفران

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ يسِّرْ وأَعِنْ ،

قد عَلِم الجبرُ[1] الذى نُسِبَ إليه «جَبْرَئيل[2]» ، وهو فى كلِّ الخيراتِ سبيلٌ ، أن فى مسكَنى حَماطةً[3] ما كانت قطُّ أفانيَةً[4] . ولا الناكزةُ[5] بها غانيةً[6] ، تُثمر من مودَّةِ مولاىَ الشيخِ الجليل – كَبَتَ الله عَدُوَّه . وأدام

---

١ – كذا بالجيم المعجمة فى ك ، ش ، ت ، ر . وبحاء مهملة فى ط وهو تصحيف ، وفى س ، ا ، ن : [الخير] تصحيف كذلك .

وأصل الكلمة فى السريانية والعبرية (جيفر) وفى الآرامية (جبار) ومعناها رجل . ومنه جفرئيل أى رجل الله ، ملك .

وفسرها لغويو العرب بمعنيين : الملك والعبد .

قال الجوهرى والأزهرى : جبر بمعنى عبد ، وإيل اسم الله . ورده الفارسى وغيره وقالوا : إيل هو العبد وما عداه هو الاسم من أسماء الله ، واستدلوا على ذلك باختلاف جبر فى أسماء الملائكة ، دون إيل .

والسياق هنا يقضى أن نفسر الجبر بالملك – أى الله – فكأن أبا العلاء يؤثر رأى الفارسى .

٢ – كذا فى الأصل . وفى ز ، ت [جبرائيل] وهى لغة فى جبريل . وفى ط [حبريل] بحاء مهملة ، وليس فى المادة ، ولا أعرفه من اللغات فى جبريل . وجبرئيل : علم ملك ، ممنوع من الصرف ، فيه لغات أربع عشرة ، أشهرها وأفصحها جبريل بكسر الجيم ، وفتحها ، وجبرئيل .

انظر (المفصل فى قواعد اللغة السريانية للإبراشى وزميليه ص ١٣٦) و(الإبدال لأبى الطيب اللغوى) ٤٠٢/٢ ، و(الروض الأنف ٤٠٢/٢) والقاموس العبرى الإنجليزى لبرسلو (M.H. Bresslaw)

٣ – الحماطة هنا حبة القلب . كذا فسرها أبو العلاء . انظر سطر ١ صفحة ١٣١ – واحدة الحماط ، وهو فى الأصل شجر أحمر الثمر منابته أجواف الجبال . يستوقد بحطبه ، وثمره شديد الحلاوة يحرق الفم . وقال فى (الجمهرة) : وحماطة القلب دمه ، وخالصه ، وصميمه – مجاز .

٤ – الأفانية – كثمانية : واحدة الأفانى ، شجر الحماط ما دام رطباً ، فإذا يبس فهو حماط . ذكره الجوهرى فى (فنى) وذكره غيره فى (أفن) قال ابن برى : وهو غلط . (اللسان) .

٥ – فى س ، ن ، ا : [الماكرة] تحريف . يقال لكزته الحية – كنصر – لسعته ، كوكزته . والنكز : الطعن والغرز بشىء محدد الطرف كسنان الرمح . والنكاز ، بفتح النون وتشديد الكاف : حية من أخبث الحيات .

٦ – غانية : مقيمة ، من غنى بالمكان إذا أقام به .

رَواحُهُ إلى الفَضْلِ وغُدُوّه - ما لو حملتْهُ [العاليةُ] [1] من الشجرِ ، لدَنت إلى الأرضِ غصونُها ، وأَذِيلَ [2] من تلك الثمرةِ مَصُونُها .

والحماطةُ ضَرْبٌ من الشجر ، يقالُ لها إذا كانت رَطبة : أَفانيةٌ ، (فإذا يبست فهى حَماطة) [3] . قال الشاعر :

إذا أُمُّ الوُلَيِّـدِ لم تُطِعْنى [4] ... حَنَوْتُ [5] لها يدى بعصًا حَماطِ

وقلتُ لها : عليكِ بَنى أُقَيْشٍ [6] ... فإنكِ غَيْرُ مُعْجِبَةِ الشِّطاطِ

وتوصفُ الحماطةُ بإلفِ الحيَّاتِ لها . قال [7] :

أُتيحَ لها ، وكان أخا عِيالٍ ... شجاعٌ [8] فى الحَماطةِ مستكنٌّ

وأن الحَماطةَ التى فى مَقَرِّى لَتجدُ من الشوقِ حَماطةً . ليست بالمصادفةِ إماطةً . والحَماطةُ [9] حُرْقة القلبِ ، قال الشاعر :

• وهمٌّ تملأُ الأحشاءَ منهُ • [10]

---

١ - فى ن : [العالية] . وفى الأصل و بقية النسخ [العادية] عدلنا عنها لمقابلتها ل : دنت ، ولأن العادية من الأشجار وهى القديمة ، نسبة إلى عاد - من شأنها ألا تثمر . وما اخترناه ، نقله فى (ب) وفى (ل ٢١) عن بعض النسخ ا ؟

٢ - فى ز ، ط [أزيل] بالزاى ، تصحيف . وأذيل بمعنى أهين .

٣ - سقطت هذه العبارة من ط

٤ - فى ز : [لم تطعمنى] وهو تحريف يختل به الوزن .

٥ - فى ز : [حنوت] وفى ن : [حنيت] .

٦ - فى س ، ن ، ا : [بنى أقيس] بسين مهملة - تصحيف .

والشطط مجاوزة القدر ، من شط إذا بعد ؛ والشطاط - كسحاب وكتاب - الطول وحسن القوام والاستقامة فى الرمح ، وهو أيضاً الجور والتجاوز .

٧ - فى ط : [قال الشاعر] .

٨ - الشجاع : ضرب من الحيات ، لطيف دقيق ، زعموا أنه من أجرئها .

٩ - فى ز ، ت : [الحماط] .

١٠ - لم يوجد عجز البيت فى نسخة مما بأيدينا ، ويلحظ أن فى (ك) بياضاً يشمل موضع هذا الشطر ، فلعل ذلك أصل عدم وجوده فى النسخ الأخرى . ولم نعثر على بقية البيت بعد فى مراجعنا ، والراجح أن موضع الشاهد فيه . وكذلك لم يعثر عليه فى (ب ، ل) !

[1] فأمّا الحَماطةَ المبدوءُ بها فهى حَبَّةُ القلب ، قال الشاعر :

رَمَت حماطَة قلبٍ غير مُنصرِفٍ   عنها : بأسهُم لَحْظٍ لم تكن غَرَبا[2]

وأن[3] فى طِمْرىّ[4] لحِضباً وُكّلَ بأذاتى ، لو نطق لذَكَر شَذاتى[5] ، ما هو بساكنٍ فى الشِّقاب[6] ولا بمتشرِّف على النِّقاب[7] ، ما ظهر فى شتاء ولا صيف . ولا مرَّ بجبل ولا خَيْف[8] : يُضمِر من محبةِ مولاى الشيخ الجليل - ثبَّت اللهُ أركانَ العلم بحياتِه - ما لا تُضمِره للولدِ أمٌّ ، أكان سُمُّها[9]

---

١ - سقط هذا السطر كله من ت ، ز ، ن ، س ، . وقوله : (فأما الحماطة المبدوء بها . . .) يشير إلى قوله : أن فى مسكنى حماطة ، فى بدء الرسالة .

٢ - يقال سهم غرب - على الإضافة والوصف - لا يدرى راميه . وقيل الأجود الإضافة . وانظر « التبريزى » فى (شرح مقصورة ابن دريد ١١١ ط دمشق) .

٣ - قد تقرأ : وإن بالكسر على الاستئناف . لكن الوصل - عطفا على معمول : علم الجبر . . . ، فى صدر الرسالة - أنسب صدى ، لطول نفس الشيخ .

٤ - مثنى الطمر ، بالكسر : الثوب الخلق ، أو هو الكساء البالى . وأراد بهما ، جسده الهزيل الفانى ، وثوبه الخلق . والحضب ، بالفتح ويكسر : حية ، أو هو الضخم من ذكورها .

٥ - الشذاة : الشدة . وانظر (نوادر أبى مسحل ١٠٣/١) .

٦ - الشقاب : جمع شقب - بالفتح ويكسر - مهواة بين جبلين ، وقيل هو كالغار أو كالشق فى الجبل .

٧ - النِّقاب ، والأنقاب : ج نقب ، وهو الثقب ، والطريق الضيق فى الجبل .

٨ - الخيف : ما انحدر عن غلظ الجبل ، وارتفع عن مسيل الماء . وكل هبوط وارتقاء فى سفح الجبل : خيف .

٩ - فى ز حاشية : (السم . اللبن ، كذلك فى كتب اللغة) أ هـ . ولم أجدها بهذا المعنى . والسياق يؤذن بأن السم هنا ، بمعناه المعروف . ليناسب الحماطة والحضب والأسود ، من الحيات . يريد أن يقول إن ما يضمره الشيخ من محبة ، فوق ما تضمره الأمهات لأولادهن ، سواء كن من ذوات السم أو غيرهن .

يُذَكَّر أم فُقِد عندها السَّمّ . وليس هذا الحِضبُ مُجانِساً للذى عَنَاهُ الراجز[1] فى قوله :

• وقد تطوَّيت انطواء الحِضْبِ •

وقد عَلِم - أدام اللهُ جمالَ البراعةِ بسلامته - أن الحِضْبَ ضربٌ من الحيَّاتِ ، وأنهُ يقال لحَبَّة القلب[2] حضبٌ .

وأنَّ فى منزلى لأَسْوَدَ ، هو أعزُّ علىَّ من « عنترةَ • » على « زبيبةَ » . وأكرمُ عندِى من « السُّلَيْكِ •• » عند « السُّلكةِ » ، وأحقُّ بإيثارى من « خُفافٍ •••

---

١ - فى ش : [الراجن] بالنون ، وهو تصحيف لعل أصله أن رسم الزاى فى ك بشبه بقوس النون .
والراجز هنا هو « رؤبة بن العجاج » ، وتمام البيت :

وقد تطويت انطواء الحضب بين قتاد ردهة وشقب

قال فى (التاج) : يجوز أن يكون المراد به - بالحضب - الوتر ، والحية .

٢ - فى ز : [محبة القلب] تصحيف .

الأعلام

• - عنترة : بن شداد العبسى - على المشهور - أحد فرسان الجاهلية وأمرائها المشهورين وشعرائها الأعلام ، وأمه « زبيبة » أمة سوداء ، وكان من أشد أهل زمانه وأجودهم ، ومعلقته أجود شعره ، وقد شهد حرب داحس والغبراء فحسن فيها بلاؤه . وهو من شعراء الصاهل والشاحج .

وانظر (طبقات الشعراء لابن سلام ٣٥ ط أوربا ، الشعر والشعراء ١٣٠ ، المؤتلف ١٥١) .

•• - السليك بن سلكة السعدى : منسوب إلى أمه « سلكة » وكانت سوداء . واختلفوا فى اسم أبيه ، وهو من بنى كعب بن سعد بن زيد .

والسليك أحد أغربة العرب وهجنائهم وصعاليكهم . وكان له بأس ونجدة ، وكان أدل الناس بالأرض وأسرعهم عدواً لاتعلق به الخيل ، وتروى عنه فى ذلك أعاجيب .

انظر (الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢١٣ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ١٣٧) .

••• - خفاف بن ندبة السلمى : خفاف - كغراب - وندبة على وزن تمرة كما ضبطها فى (المبهج) وفى (الخزانة) .

أبوه عمير بن الحارث بن الشريد السلمى ، وأمه « ندبة » ، سوداء ، وإليها ينسب .

٩ - من أغربة العرب ، وفرسانها ، وشعرائها المجيدين ، ويكنى أبا خراشة . أسلم وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم فتح مكة ، ومعه لواء بنى سليم . وهو من شعراء الصاهل والشاحج .

وانظر (الشعر والشعراء : ١٩٦ ، والمؤتلف : ١٠٨ ، والمبهج لابن جنى : ٣٨ ، والخزانة ١٦٢/١ ، والإصابة ٤٥٢/١ .

السُّلَمى » بِخَبَايا[1] « نَدبة » وهو أبدًا محجوبٌ ، [لا تجابُ] [2] عنهُ الأغطيةُ ولا يجوبُ . لو قَدَرَ لَسافر إلى أن يلقاه[3] : ولم يَجِدْ عن ذلك لشقاءٍ يَشقاه . وإنهُ[4] إذ يُذْكَرُ ، لَيونَّثُ فى المنطقِ ويُذكَّرُ ؛ وما يُعْلَمُ أنه حقيقىُّ التذكير؛ ولا تأنيثهُ المعتَمدُ بنكيرٍ . لا أفتأُ دائباً فيما رَضِىَ ، على أنهُ لا مَدفَعَ لما قُضِى. أُعظِمُهُ أكثرَمن إعظامِ لخمٍ «الأسْوَدَ بنَ المنذر*» وكِندةَ «الأسْوَدَ بنَ معد يكرِب**» . وبنى نَهشلِ بنِ دارمٍ «الأسْوَد***»

---

١ – فى س ، ا ، ن : [بخفايا] . فانظر (ل : ٢٢) !

٢ – فى الأصل والمخطوطات [ما لا تجاب] ؛ وقد حذفت (ما) فى س ؛ وآثرنا الحذف . فحذف فى (ل ٢٣ ، ب ١٧) !

٣ – الضمير هنا يعود على الشيخ : ابن القارح . أى لو قدر الأسود – القلب – لسافر للقائه .

٤ – الضمير هنا ، عائد على الأسود الذى فى منزل أبى العلاء ، يعنى قلبه .

الأعلام

* – الأسود بن المنذر اللخمى : من ملوك الحيرة وكان الأعشى يفد عليه ويمدحه . وفيه يقول قصيدته التى مطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالى وما ترد سؤالى ؟

(الشعر والشعراء ٢٣٧ ، أغانى بولاق ١٠/٢٤)

** – الأسود بن معد يكرب : لعله أبو الأسود يزيد بن معد يكرب بن سلمة بن مالك بن الحارث – من أشراف كندة ، قدم على النبى – صلعم – وأسلم (الإصابة ط مصر ٤/٧٦) .

لكن هذا القول يضعفه أن « أبا العلاء » سلكه فى قائمة الأساودة ؛ ولم يأت به بين من يدعون أبا الأسود .

وانظر (وصايا الملوك وأبناء الملوك – لأبى الطيب الوشاء ، مصور بدار الكتب – اللوحة رقم ٩٢) . وقابل ماهنا على هامش (ب ١٨)

*** – الأسود بن يعفر : أعشى بنى نهشل ، من بنى دارم ويكنى أبا الجراح : شاعر متقدم جاهلى مقل ، وما بقى من شعره مجموع فى ذيل (ديوان الأعشى ص ٢٩٣ : ٣١٠) قال ابن سلام : « وله واحدة طويلة رائعة ، لاحقة بأول الشعر ، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على أهل مرتبته وهى :

نام الخلى فما أحس رقادى والهم محتضر لدى وسادى

وله شعر كثير جيد ولا كهذه » . الطبقات ٣٣ ط أوربا . وانظر الشعر والشعراء ١٣٤ ، وجمهرة الأنساب لابن حزم : ٢١٩ ، وخزانة الأدب ١/١٩٣ ، ١٩٦) .

ابنَ يَعفُرَ » ذا المقالِ المُطرِب . ولا يبْرَحُ مُولَعاً بذكرِهِ كإيلاعِ «سُحيمٍ* » «بعُمَيرةَ » في مَحضَرِهِ ومَبْداه : «ونُصَيبٍ** » مولى أُميَّةَ «بسُعداه » .

وقد كان مِثلَهُ[1] مع «الأسوَدِ بنِ زَمْعَةَ*** » . و «الأسوَدِ**** بن عبدِ يَغُوثَ » .

---

(١) الضمير يعود على الأسود الذى فى منزل أبى العلاء ، يعنى قلبه .

الأعلام

* — سحيم ، عبد بنى الحسحاس : كان حبشياً مغنطاً قبيحاً ، وشعراً محساً . اشتراه عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى وكتب إلى عثمان رضى الله عنه : إنى قد اشتريت لك غلاماً حبشياً شاعراً .فكتب إليه عثمان : « لا حاجة بنا إليه فاردده ، فإنما حظ أهل العبد الشاعر منه إذا شبع أن يشبب بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوهم . » وعميرة ، حبيبته وفيها يقول :

عميرة ودع إن تجهزت غادياً كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

(طبقات الشعراء ٣٤ – الشعر والشعراء ٢٤١ – المؤتلف ١٣٧) .

وقد طبع ديوانه بدار الكتب بالقاهرة . وهو من شعراء (الصاهل والشاحج) .

** نصيب بن رباح ، شاعر عبد العزيز بن مروان ، كان شاعراً عفيفاً مقدماً عند الملوك ، ولم يكن يحسن الهجاء ، وكان يستنشده مراثى بنى أمية فإذا أنشده بكى معه . ، واشتهر نصيب بحبه سعدى وفيها يقول :

أتصبر عن سعدى وأنت صبور وأنت بحسن العزم منك جدير ؟

وكدت ، ولم أخلق من الطير ، إن بدا سنا بارق نحو الحجاز أطير

(الشعر والشعراء ٢٤٢ – أغانى بولاق ١ / ٢٢٥ ، ٣٦٤ – وشعراء الصاهل والشاحج).

*** – الأسود بن زمعة : قرشى معاصر للبعث . قتل ابنه زمعة يوم بدر فى صفوف المشركين ، وحرمت قريش البكاء على قتلى بدر لئلا يشمت بها ، فسمع الأسود بكاء فى جوف الليل فقال : انظروا هل حلت=

. . . .

= قريش البكاء حتى أبكي على زمعة ؟ فقالوا : لا ، إنما هي امرأة أضلت بعيراً فهي تبكي . فقال :

أتبكي أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود ؟

(اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري – الميمني في سمط اللآلي ط ١٩٣٦ ص٦٠٣، ٦٠٤) . وانظر (الأمالي ط بولاق ١/٢٧٦) .

وهذه الأبيات في (الحماسة ط الرافعي ص ٣٦١) منسوبة للأسود بن عبد يغوث لا لابن زمعة ، مع ترجمة ابن عبد يغوث في الهامش .

وهي في (شرح الحماسة للتبريزي – ط بولاق ١٢٩٠ ج ٢ / ١٧٥) منسوبة للأسود بن زمعة بن المطلب بن نوفل، يرثي ابنه زمعة بن الأسود .

وتنسب في (السيرة – ط الحلبي ٢/٣٠٢) للأسود بن المطلب ، إذ أصيب من ولده ثلاثة : زمعة وعقيل ابناه ، والحارث بن زمعة . ومثله في (نسب قريش ٢١٨ ط الذخائر)

والقصة في (الطبري – ط الحسينية ٢/٢٨٩) مروية عن ابن إسحق ، لكنها منسوبة إلى الأسود ابن عبد يغوث ، ومذكور أن قتلاه في بدر ، هم زمعة وعقيل والحارث أبناؤه .

وهي في (معجم البلدان – ٢/٨٩ ط مصر) بغير سند، منسوبة للأسود بن المطلب بن أسد ، والأولاد الثلاثة : زمعة وعقيل ابنا الأسود ، والحارث بن زمعة .

وهو في (الاستيعاب) : الأسود بن خلف بن عبد بن يغوث القرشي الجمحي ،

ولعل هذا يعطينا مثلا لاضطراب الرواية ، وعناء التحقيق .

*** – الأسود (بن خلف) بن عبد يغوث : القرشي الجمحي ، من مسلمة الفتح (الاستيعاب ٤٣ ، الإصابة ١ / ٤٣ ، الطبري ط الحسينية ٢ / ٢٨٩) .

والأسوَدين اللذين ذكرهما « اليشكُرِيُّ[1]* » في قوله :

فهداهم بالأسوَدَينِ وأمرُ اللهِ بلْغٌ يَشقَى به الأشقياءُ

ومع « أسوَدانَ ** » الذى هو « نَبْهانُ بنُ عمرو بن الغوثِ بن طيِّئٍ » ؛

ومع « أبي الأسودِ » الذى ذكرهُ « امرؤُ القيس *** » : في قوله[2] :

وذلك من خَبَرٍ جاءَنى ونُبِّئْتُـــهُ عن أبي الأسوَدِ

---

١ – في ز : [البشكري] بباء تحتيه موحدة . تصحيف .

والبيت للحارث بن حلزة من معلقته . ورواية أبي الطيب اللغوي في (شجر الدر ١٨٦) :

« فغزاهم بالأسودين » ورواية التبريزي والزوزني : « . . . تشقى به الأشقياء »

ويروى : « فهداهم بالأبيضين » وأراد بهما الخبز والماء . وبالأسودين التمر والماء . وقال بعضهم أراد بالأسودين الليل والنهار ، وبالأبيضين الماء واللبن . انظر (شرح المعلقات) .

ويلاحظ أن هذه التفسيرات ربما لاتشبه ما يبدو أن « اللغوي » أراده . فهو ذكر الأسودين في سياق الأعلام

٢ – البيت لامرئ القيس ، من داليته التي قالها حين بلغه قتل أبيه ومطلعها :

تطاول ليلك بالإثمد ونام الخلي ولم ترقد

ورواية (العقد الثمين : ١٢٣ – ومختار الشعر الجاهلي ١٣٢/١) :

وذلك من نبأ جاءني وأنبئته عن أبي الأسود

ومثلها رواية « القالي » في أماليه . انظر (سمط اللآلي : ٥٣١/١) وفيه عن « ابن حبيب » : قال ابن الكلبي : الأبيات لعمرو بن معد يكرب في قتله بني مازن بأخيه عبد الله .

وفي (المؤتلف ١٢) أنها لامرئ القيس بن مالك الحميري !

الأعلام

* – اليشكري : الحارث بن حلزة ، من بني يشكر ، من بكر بن وائل (جمهرة الأنساب ٢٩١) أحد شعراء المعلقات . قيل إنه ارتجل معلقته في مجلس عمرو بن هند في خصومة كانت بين بكر وتغلب وكان ينشده من وراء السجف لبرصه ، فأمر برفع السجف استحساناً لها (طبقات الشعراء لابن سلام ، الشعر والشعراء : ٩٦ ، المؤتلف : ٩٠ ، وهو من شعراء الصاهل والشاحج) .

** – أسودان : نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيئ (جمهرة الأنساب ٣٧٩) ومن ولده زيد الخيل ، الفارس المشهور .

(انظر المؤتلف : ٩٤ – أغاني بولاق : ٤٦/١٦)

*** – امرؤ القيس بن حجر الكندي ، الأمير الشاعر المشهور ، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية انظر (طبقات ابن سلام ط أوربا : ١٥ ، المؤتلف : ٩ ، الموشح للمرزباني ٢٧) . وهو من شعراء (الصاهل والشاحج) .

وما فارقَهُ[1] «أبو الأسود الدُّؤَلِيُّ*» فى عُمرِهِ طَرفةَ عينٍ ، فى حالِ الراحةِ ولا الأَيْنِ . وقارَنَ[2] «سُوَيدَ بنَ أبى كاهلٍ**» يَرِدُ بهِ على المناهل . وحالَفَ «سُوَيدَ بنَ الصامتِ***» ما بين المبتهجِ والشامتِ . وساعَفَ «سُوَيدَ****» ابنَ صُمَيع» ، فى أيامِ الرَّتَبِ والرَّبْع[3] . و «سُوَيدٌ» هذا الذى يقول :

إذا طلبوا منى اليمين منحتُهم يميناً كبُرْدِ الأتحميِّ المنزَّقِ[4]

وإنْ أحلفونى بالطلاقِ أتيتُها على خيرِ ما كُنّا ولم نتفرَّقِ

وإن أحلفونى بالعَتَاقِ ، فقد دَرَى عُبَيدٌ غلامى ، أنَّه غيرُ مُعتَقِ[5]

---

١ ، ٢ – القصير هنا : الأسود ، يعنى : القصب .

٣ – الرتب ، محركة : ضيق العيش . والربع : الامتلاء بالخير .

٤ – الأتحمى ضرب من البرود . وروى عن الفراء أنه قال : هى البرود المخططة بالصفرة .

٥ – فى س ، ا ، ن : [على حين ما كنا] ، وهو تصحيف . وجاء البيت الثانى فى ز :

• وإن أحلفونى بالعتاق أتيتها • بتصحيف فى : أحلفونى ، وأتيتها .

وكنت ضبطت (العتاق) فى الطبعات السابقة بكسر العين ، سهواً . فضبطه كذلك بالكسر فى (ب ، ل) وليس ضبط الأصل كذلك !

الأعلام

* – أبو الأسود الدؤلى ، من بنى الدئل بن بكر بن كنانة ، واسمه ظالم بن عمرو . ويعد فى الشعراء ، والتابعين ، والمحدثين ، والنحويين . أخذ عنه جماعة من متقدمى النحاة . وكان أعرج ، بخيلا مفلوجاً انظر (أغانى بولاق ١١ / ١٠٥ ، الشعر والشعراء : ٤٥٧ ، نزهة الألبا لابن الأنبارى : ٣ – معجم الشعراء : ٢٤٠ . الإرشاد لياقوت ٤ / ٢٠٨ ، طبقات ابن سعد ٧ ق ١ / ٧٠) وهو من أعلام (المناهل والشاحج) . طبع ديوانه فى بغداد ١٩٥٤ بتحقيق الدكتور عبد الكريم الدجيلى .

** – سويد بن أبى كاهل ، من شعراء بنى يشكر المتقدمين . وضعه ابن سلام مع الحارث بن حلزة وعنترة وعمرو بن كلثوم فى الطبقة السادسة من شعراء الجاهلية . (الطبقات : ٣٥ ، الشعر والشعراء ٢٥٠)

*** – سويد بن الصامت الأوسى : من سادة الأوس ، وشعرائهم ، كان أحد الكملة من العرب فى الجاهلية وقد أدرك المبعث ، وقدم مكة حاجاً أو معتمراً فعرض عليه النبى (صلى الله عليه وسلم) نفسه ، وتلا عليه القرآن ، فقال : إن هذا لقول حسن . ثم انصرف عنه فلم يلبث أن قتله الخزرج ، وكان رجال من قومه يقولون : إنا لنراه قد قتل وهو مسلم . وقد أورد « ابن هشام » بعض أشعاره فى السيرة (٢ / ٣٤) وانظر معها الإصابة ٢ / ٩٩ ، والاستيعاب ١١٦٨ ، وأسد الغابة بولاق : ٢ / ١٦٩) .

**** – سويد بن صميع المرثدى ، من بنى الحارث ، من شعراء الحماسة لأبى تمام (بولاق ٢/١٦٤)

وكانَ[1] يـألَفُ فراشَ «سَوْدَةَ* بنتِ زَمْعَةَ بن قيس» امرأةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ ويعرفُ مكانَه الرسولُ ؛ ولا يَنحرفُ عنهُ السُّولُ . ودخل الجَدَثَ مع «سَوادةَ** بنِ عديّ» ؛ وما ذلك بزَوْلٍ بَدِيّ[2] . وحضَرَ فى نادٍ حضَرَهُ الأَسودانِ[3] اللذان هما الهَنَمُ[4] والماءُ ؛ والحرّةُ الغابرةُ والظلماءُ . وإنَّه لَينفِرُ عنِ الأبيَضَينِ ؛ إذا كانا فى الرَّهَجِ[5] مُعرِّضَين . الأبيضانِ اللذان ينفِرُ منهما : سيفانِ ، أو سيفٌ وسِنانٌ ؛ ويَصبِرُ عليهما[6] إذا وجدهما ؛ قال الراجز :

الأَبيَضانِ أبرَدا عظامى . الماءُ [والفَثُّ][7] بلا إدامِ

١، ٢ – الحديث هنا عن القنب . والزول العجب ؛ يقال هذا زول من الأزوال أى عجب ، والزول أيضاً الشخص . والبدى ؛ كرضى : القادر .

٣ – الأسودان ، تطلق على مثنيات كثيرة ، جاء «أبو العلاء» بأكثرها فى هذا المقام . ومن معانيها التى لم يذكرها هنا ، الحية والعقرب .

٤ – الهنم، محركة : التمر.

٥ – الرهج ، بسكون الهاء وفتحها : الغبار ، وفى الحديث: ما خالط قلب امرئ رهج فى سبيل الله إلا حرم الله عليه النار.

٦ – كذا فى كل النسخ . والضمير فى (يصبر) عائد على الأسود : قلب أبى العلاء ، وفى (عليهما) عائد على الأبيضين ، بالمعنى الذى ذكره الراجز بعد .

٧ – فى الأصل: [القت] بالتاء . وأبقيت عليها فى الطبعات السابقة. فجاءت كذلك فى طبعتى بيروت (ب ، ل) وأوثر العدول عنها إلى [الفث] كما فى لسان العرب :

قال فى مادة فث: الفث نبت يختبز حبه ويؤكل فى الجدب ، وتكون خبزته غليظة . وعن الأزهرى : هو حب برى يأخذه الأعراب فى المجاعات فيدقونه ويختبزونه، وهو غذاء ردىء وربما تبلغوا به أياماً. واحدته فثة، عن ثعلب . ا هـ .

الأعلام

* – سودة بنت زمعة : بن قيس . القرشية العامرية ، أم المؤمنين تزوجها السكران بن عمرو ثم توفى عنها فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم . وكانت أول زوج له بعد خديجة رضى الله عنهما ، توفيت آخر زمان أمير المؤمنين عمر. (الإصابة ط مصر ٤ / ٣٣٠ ، الاستيعاب ٢ / ٧٥٧ . جمهرة الأنساب ١٥٧)

** سوادة بن عدى : بن زيد، شاعر متقدم ، له البيت المشهور :

لا أرى الموت يسبق الموت شىء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

وهو من شواهد سيبويه . قال : «وهذا البيت لعدى بن زيد؛ وقيل لابنه سوادة بن عدى . ؛ والصحيح الأول » والبيت منسوب لعدى فى (حماسة البحترى ١٤١) وقيل لابنه سوادة (الخزانة ط بولاق ١/١٨٣ شرح أدب الكاتب ١١٤). وقابل ماهنا على هامش ١١ ص ١٩ من البيروتية (ب) ؛ تجد فيها عبارة « وهذا البيت ينسب إلى أبيه عدى » مع أن البيت حذف فيها مع سياقه على هامش طبعة الذخائر.

؛يرتاحُ إليهما فى قولِ الآخر[1] :

ولكنهُ يمضى لىَ الحولُ كلُّهُ   وما لىَ إلا الأبْيضَينِ شرابُ

فأما الأبيضانِ[2] اللذان هما شحمٌ وشباب ، فإنما تفرحُ بهما الرِّبابُ ، وقد يُبتهَجُ بهما عند غيرى ، فأما أنا فَيئسا من خيرى . وكذلك الأحامرةُ والأحمرانِ[3] ، يعجبُ[4] لهما أسوَدُ رانٍ[5] ، فيتبعهُ حليفُ سِتْرٍ ، ما نزل به حادثُ هِتر .

* * *

وقد وصلت (الرسالةُ) التى بحرُها بالحِكَمِ مسجورٌ : ومَنْ قرأها[6] مأجورٌ ، إذ كانت تأمرُ بتقبُّلِ[7] الشرعِ : وتَعِيبُ مَن ترَكَ أصلاً إلى فرعٍ .

---

١ – البيت لهذيل بن عبد الله الأشجعى من شعراء الحجاز ، أورده (اللسان) فى (بيض) والمقصود بالأبيضين هنا : الماء واللبن .

لكن « التبريزى » فسرهما فى (شرح مقصورة ابن دريد – ٤٧) بالتمر والماء ، وأضاف : ويقال : الليل والحرة . وفى (نوادر أبى مسحل) : الماء والتمر .

ورواية « التبريزى » للشطر الأول :

« ولكنه يمضى لى الحول كاملا »

٢ – فى (نوادر أبى مسحل ٢/٤٦٧) : ويقال ماعند فلان طعام ولا شراب إلا الأسودان ، يعنى الماء والتمر ، والأبيضان ، يعنى شبابه وشحمه .

٣ – الأحمران : الخمر واللحم (التبريزى – شرح المقصورة ٤٧) ، فإذا قلت الأحامرة – على الجمع – فقيها الخلوق وهو ضرب من الطيب . (نوادر أبى مسحل ١/٣٧٣) .

ويلحظ هنا أن « أبا العلاء » عطف المثنى على الجمع ثم أخبر عن الجماعتين بلفظ الاثنين . والعرب تفعل ذلك

٤ – فى ط : [فإنه يعجب] .

٥ – يريد بالأسود هنا العين ، والأسود من العين حدقتها .

وران : ناظر ، من رنا إليه يرنو إذا أدام إليه النظر . والهتر بالكسر : الداهية والأمر العجب ، وبالضم ذهاب العقل من كبر أو حزن أو مرض .

٦ – زاد فى ط [لاشك] مأجور . والمراد بالرسالة هنا : رسالة ابن القارح إلى أبى العلاء .

٧ – فى ط [بتقيل] بياء مثناة .

وغَرِقتُ في أمواجِ بِدَعِها[1] الزاخرَة ، وعجبتُ من اتِّساقِ عقودِها الفاخرة ؛ ومثلُها شَفَعَ ونَفَعَ ، وقرَّبَ عند الله ورَفَعَ . وألفيتُها مُفتَتَحةً بتمجيدٍ ، صَدَر عن[2] بليغٍ مُجيد . وفي قدرةِ ربنا - جَلَّت عَظَمَتُهُ - أن يجعلَ كلَّ حرفٍ منها شَبَحَ نُور : لا يمتزجُ بعقالِ الزُّور ؛ يستغفرُ لمن أنشأها إلى يوم الدين ، ويذكرُهُ ذِكرَ مُحِبٍّ خَدين . ولعلَّه ، سبحانه ، قد نَصَبَ لسطورِها المُنْجِيةِ من اللَّهَب ، معاريجَ من الفِضَّةِ أو الذهَب . تَعرُجُ بها الملائكةُ من الأرضِ الراكدةِ إلى السماء ، وتكشِفُ سجوفَ الظلماء . بدليلِ الآيةِ : «إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»[3] .

وهذه الكلمةُ الطيبةُ كأنَّها المعنيَّةُ بقوله[4] : «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» . [5]

وفي تلك السطور كَلِمٌ كثيرٌ ، كلُّه عند البارى - تقدَّس - أثيرٌ . فقد غُرِسَ لمَولاىَ الشيخِ الجليلِ - إن شاءَ اللهُ - بذلك الثناء ، شجرٌ في الجَنَّة لذيذُ اجتناء ، كلُّ شجرةٍ منهُ تأخذُ ما بين المشرق إلى المغرب بظِلٍّ غاط[6] ، ليست في الأعيُنِ كذاتِ أنواط[7] . وذاتُ أنواط - كما

---

١ - البدع هنا بمعنى البدائع ، وهي الغرائب التي ارتفعت فوق ما هو معتاد .

٢ - في ط : [من] .   ٣ - سورة فاطر ، من آية ١٠ .

٤ - سورة إبراهيم ، آيتا ٢٤ ، ٢٥ . والأكل ، بضمتين : الثمر ، ما يؤكل من الرزق الواسع .

٥ - قوله تعالى : «وفرعها في السماء» سقط من ز ومتن ت . ثم أضيف إلى هامش الأخيرة . ووقعت في طبعاتي السابقة ، فاصلة سهواً بعد (طيبة) فنقلت إلى (ب ، ل) !

٦ - غاط : واسع مبسوط ، وغطت الشجرة وأغطت : بسطت ظلها على ما حولها .

٧ - ذات أنواط : شجرة كانت تعبد في الجاهلية ، قال ابن الأثير في (النهاية) «هي شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم ، أي يعلقونه بها ، ويعكفون حولها . فسألوه - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك» وأنواط جمع نوط وهو مصدر ؛ سمى به ما علق - وانظر خبر «ذات أنواط» في (السيرة : ٤ / ٨٤ . وفيها الحديث) .

يَعْلَمُ[1]ـ شجرةٌ كانوا يُعظِّمونها في الجاهلية . وقد رُوِى أن بعضَ الناسِ قال : «يا رسولَ الله ، اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ » وقال بعضُ الشعراء :

لنا المُهيمِنُ يكفينا أعادِيَنا ... كما رفضنا إليه ذاتَ أنواطِ

والوِلدانُ المخلَّدون في ظلالِ تلك الشجرِ قيامٌ وقعود ، وبالمغفرةِ نِيلَت السُّعودُ ؛ يقولون . واللهُ القادرُ على كلٍّ[2] عزيزٍ : نحنُ وهذه الشجرُ صِلَةٌ من اللهِ « لعليٍّ* بن منصور » ، نُخبأُ[3] لهُ إلى نفخِ الصُّور .

وتجرى في أصولِ ذلك الشجرِ . أنهارٌ تُختَلَجُ[4] من ماءِ الحيوانِ : والكوثرُ يمدُّها في كلِّ أوانٍ ؛ مَن شَربَ منها النُّغبةَ[5]فلا موتَ ، قد أمِن هنالك الفَوتَ . وسُعُدٌ[6] من اللبن متخرِّقات[7] ، لا تُغَيَّرُ بأن تطولَ الأوقاتُ .

---

١ – الضمير هنا للشيخ : ابن القارح ، علي بن منصور .

٢ – كذا في ك ، ش . وفي بقية النسخ : [كل شيء] بزيادة شيء .

٣ – كذا في ك ، ش . وفي بقية النسخ [ونخبأ] بزيادة واو .

٤ – تختلج : تجتذب ، ومنه الخليج فرع النهر ؛ أو نهر يقتطع من نهر أعظم .

٥ – النغبة : الجرعة .

٦ – سعد جمع سعيد – كأمير – وهو النهر الصغير ؛ وسعيد المزرعة : نهرها الذي يسقيها ، والسواعد : مجاري الماء إلى النهر . وسواعد البئر : مخارج مائها ومجاري عيونها .

٧ – في ز : [متخرفات] بفاء موحدة . والمتخرق : المتسع . ومن المجاز : تخرق في الكرم توسع وأسرف .

الأعلام

* – علي بن منصور :

ابن القارح – الحلبي الملقب بدوخلة ، ويكنى أبا الحسن ، أديب شاعر ، خدم أبا علي الفارسي بالشام وآل المغربي بمصر . واتصل بأبي القاسم المغربي ومدحه ، ثم تنكر له في محنته وله فيه هجو كثير – عاش في النصف الثاني من القرن الرابع ، والأول من الخامس .

(انظر معجم ياقوت : ١٥ /٨٣ ط دار المأمون)

وجعافرُ[1] من الرحيقِ المختوم ؛ عزّ المقتدرُ على كلّ مَحتوم . تلك هي الراحُ الدائمةُ ، لا الذميمةُ[2] ولا الذائمةُ ؛ بل هي كما قال «عَلْقمةُ*» مفترياً . ولم يكن لعفوٍ مقتريا[3] :

تشفي الصُّداعَ ولا يؤذيه صالبُها[4] ولا يخالطُ منها الرأسَ تدويمُ

ويعمدُ إليها المغترفُ[5] بكؤوسٍ من العسجدِ ؛ وأباريقَ خُلقت من الزبرجد ؛ ينظرُ منها الناظرُ إلى بَدِيّ . ما حَلَمَ[6] به «أبو الهندي**»

---

١ – الجعفر : النهر ، قيل هو النهر الصغير وقيل هو الكبير الواسع الممتلئ .

٢ – يروى : [المذيمة] وقد جاءت الروايتان في ك ، وفي هامش ش (نقلا عن نسخة أخرى) ويحيى لدينا أنها (ك) فقابل عليه ما في (ل : ٢٧) .

والذائمة العائبة ، من ذامه إذا عابه وحقره ، والذميمة من ذامه يذيمه ذيماً وذاماً ، عابه وذمه فهو مذيم .

٣ – المقترى : الطالب . ويقال اقترى ، طلب الضيافة . والبيت لعلقمة الفحل من ميميته المشهورة :

« هل ما علمت وما استودعت مكتوم » وهي إحدى ثلاث له قال فيهن ابن سلام :

« ولا بن عبدة ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر » الطبقات : ٣١ ط أوربا .

٤ – في ز ، ت : [حالبها] ، تصحيف وانظر (المختار : ١/ ٤٣٠) .

٥ – في ز : [المقترف] وكانت كذلك في ت ثم صححت .

٦ – في الأصل والمخطوطات [حكم] ، وبهامش ك ، ش [حلم] ، وكذلك في ط . فانظر (ل ، ٢٧)

الأعلام

* – علقمة : بن عبدة ، شاعر جاهلي من بني تميم وهو الذي يقال له علقمة الفحل ، قيل لقب بذلك لأنه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أم جندب فاستنشدتهما في الخيل على روي واحد وقافية واحدة ، ثم حكمت لعلقمة على امرئ القيس ، زوجها . فطلقها ، فخلف عليها علقمة . وهو من شعراء الصاهل والشاحج .

وانظر مع (جمهرة الأنساب : ٢١١) : (طبقات ابن سلام ٣١ ، الشعر والشعراء ١٠٧ ، المؤتلف : ١٥٢) .

** – أبو الهندي : قال أبو العلاء هنا : اسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس . وكذلك سماه المبرد في : (الكامل – رغبة الآمل ٦ / ١٦٣) .

وورد بهذا الاسم في (الشعر والشعراء – تعليق دي جويه ، ط أوربا بهامش ص ٥٢٤ – ، وفوات الوفيات ٢ / ١٢١) . وسماه ابن المعتز في (طبقاته ص ٥٨) والجواليقي في (شرح أدب الكاتب ص ٢٣٤) عبد الله بن عبد القدوس . وانظر (سمط اللآلي : ١ / ٢٨٠) .

شاعر مشهور فصيح أدرك الدولتين ؛ قال في (الأغاني) : وإنما أخمله وأمات ذكره ، بعده عن العرب ومقامه بسجستان وخراسان ، وشغفه بالشراب ، وفسقه . وقد استفرغ شعره بصفة الخمر ، وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام .

ـ رحمه اللهُ : فلقد آثرَ شرابَ الفانيةِ . ورَغِبَ فى الدنيَّةِ الدانية . ولا ريب أنه[1] يَروى ديوانَهُ : وهو القائل :

سيُغنى[2] أبا الهندىّ عن وَطْبِ سالمٍ أباريقُ لم يَعلَقْ بها وَضَرُ الزُّبْدِ
مُفَــدَّمةٌ قَزًّا ؛ كأن رقابَها رقابُ بناتِ الماءِ[3] أفزعها الرعدُ

هكذا يُنشَدُ على الإقواء ، وبعضُهم يُنشِدُ :

« رقابُ بناتِ الماء ريعت[4] من الرعد »

والروايةُ الأُولى إنشادُ النحويين . وأبو الهندىّ* » إسلامىٌّ ؛ واسمهُ «عبدُ المؤمن بنُ عبدِ القدُّوس » ، وهذ ن اسمان شرعيان . وما استُشهد بهذا البيتِ إلا وقائلهُ عند المستشهِدِ فصيحٌ . فإن كان «أبو الهندىّ»

1 ـ فى ط [فإنه] ؛ بزيادة فاء ، والضمير هنا لابن القارح .

2 ـ فى ز [سيغنى] ؛ تصحيف .

3 ـ فى ت : [بنات البحر] ، وبهامشه [الماء] عن نسخة أخرى .

والبيتان لأبى الهندى الشاعر الإسلامى من قصيدته الخمرية المعروفة . والبيت الثانى ينشد على الإقواء وهى رواية المبرد فى (الكامل) . (ولسان العرب : مادة فدم) وأبى العلاء فى (الغفران) . وقد توهم « المرصفى » أنها خطأ فقال فى (شرح الكامل ٦ / ١٦٣) : « كذا أنشده لسان العرب فى فدم وهو خطأ ، وذلك أن قوافى كلمة هذا البيت كلها مجرورة » ثم أنشده « تفزع للرعد » .

وهى رواية ابن سيده فى (المخصص : ١ / ٨٥) . وظاهر أن المرصفى فى تخطئته لرواية (اللسان) لم يتنبه للإقواء الذى تحدث فيه القدماء ، ومنهم أبو العلاء .

ومفدمة بمعنى مغطاة أو مكسوة . والقز : الحرير ، أعجمى معرب . ـ وقد ضبطه فى (ك) بالفتح والضم

4 ـ فى : ١ ، س [خيفت] ، على البناء للمجهول . وجاءت هكذا فى متن الأصل (ك) وبهامشها : [ريعت خ] ومثلها فى ش وقد آثرناها فأثبتناها فى (ب ٢٤ ، ل ٢٧) .

وفى بقية النسخ [خافت من الرعد] ولعلها رواية .

وقد روى ابن المعتز هذين البيتين فى (طبقاته ص ٥٨) بغير إقواء هكذا : « أفزعن بالرعد »

الأعلام

* ـ أبو الهندى : ص ١٤٢ .

ممن كتَب وعرف حروفَ المعجمِ فقد أساء فى الإقواء ، وإن كان بَنَى الأبياتَ على السكون : فقد صحَّ قولُ «سعيد بنِ مَسْعَدَة*» . فى أن الطويلَ من الشعر لهُ أربعةُ أضرُب[1] .

ولو رأى تلك الأباريقَ «أبو زُبَيْد**[2]» لَعَلمَ أنّه كالعبدِ الماهن أو العُبَيْد ، وأنهُ ما تَشبَّبَ[3] بخيرٍ . ورضى بقليل النَّيْر . وهَزِئَ بقوله[4] :

وأباريقُ مثلُ أعناقِ طير الماء قد جيبَ فوقهنَّ خنيفُ

هيهات ! هذه أباريقُ . تحملها أباريقُ . كأنّها فى الحسنِ الأباريقُ : فالأولى هى الأباريقُ المعروفةُ ؛ والثانيةُ من قولهم : جاريةٌ إبريقٌ . إذا كانت تبرُق من حسنها . قال الشاعرُ :

وغيداء إبريقٍ كأنَّ رُضابَهَا جَنَى النحل ممزوجاً بصهباء تاجرِ[5]

---

١ – الطويل ثلاثة أضرب : مقبوض ؛ (مفاعلن) مثل العروض .
و تام (مفاعلين) . و محذوف (فعولن) حذف سبب من آخره .

فإذا بنى البيت على السكون (فعولان) بالتذييل . كان الضرب الرابع المشار إليه هنا .

٢ – فى ط : [أبوزيد وهوخطأ ، انظر الأعلام .

٣ – فى ش : [تشبث] ؛ ولها وجه . وقد نقلها إلى (ل : ٢٧) من هامش الدخائر ، إذ لانعلم أنه اطلع على نسخة الشنقيطى ، أو أشار إليها !

٤ – البيت لأبى زبيد الطائى ، والخنيف ثوب من كتان أبيض غليظ .

٥ – أصل التجر والتجارة والاتجار فى البيع والشراء ، ثم غلب التاجر على الخمار

الأعلام

* – سعيد بن مسعدة : أبو الحسن . الأخفش الأوسط ، من أكابر أئمة النحويين البصريين ، ويعتبر أعلم من أخذ عن سيبويه ، ولذلك عدوه طريقاً إلى (الكتاب) مات فى صدر القرن الثالث . (نزهة الألبا لابن الأنبارى ١٨٤ – أخبار النحويين للسيرافى ٤٩) وأعلام الصاهل والشاحج .

** – أبو زبيد الطائى : هو فى الأغانى (ط ب ١١ / ٢٤) المنذر بن حرملة ، وفى طبقات ابن سلام (١٣٢) حرملة بن المنذر : جاهلى ، أدرك الإسلام ولم يسلم . وكان نديم الوليد بن عقبة والى الكوفة لعثمان . وقد ذكر الطبرى فى تاريخه أن الوليد لم يزل به حتى أسلم فى آخر إمارته وحسن إسلامه . وهو من شعراء (الصاهل والشاحج) .

والثالثةُ ، من قولهم : سيفٌ إبريقٌ ، مأخوذٌ من البريق . قال «ابنُ أحمرْ» :

تقلدتَ إبريقاً وعلقتَ جَعْبةً لتُهلِكَ حيًّا ذا زُهاءٍ وجاملِ[1]

ولو نظر إليها «علقمةُ**» لَبرق وفَرِق[2] ، وظنَّ أنهُ قد طُرِق[3] . وأين يراها المسكينُ «علقمةُ» ولعلهُ فى نارٍ لا تَغيِر[4] ، ماؤها للشارب وَغِيرٌ[5] . ما «ابنُ عَبَدةَ» وما فريقُه ؟ خَسِرَ وكُسِرَ إبريقُه ! أليس هو القائل ؟[6] :

كأنَّ إبريقَهُم ظبيٌ برابيةٍ مجلَّلٌ بسَبَا الكَتَّانِ مفدوم
أبيَضُ أبرزَهُ للضِّحِّ راقِبُـهُ مُقَلَّدٌ قُضُبَ الرَّيحانِ مفغومُ

نظرةٌ إلى تلك الأباريقِ ، خيرٌ من بِنْتِ الكَرْمةِ العاجليةِ : ومن كلِّ رِيق

---

١ – رواية (اللسان) :

تعلق إبريقاً وأظهر جعبة ليهلك حياً ذا زهاء وحامل

وورد فى س ، ن : [ذا رهاء وحامل] براء مهملة ، وحاء فوقية معجمة – تصحيف .
والزهاء : الكثرة ، وأصل الجامل : القطيع من الجمال .

٢ – برق يبرق برقاً ، كفتح : تحير ودهش فلم يبصر . وكنصر : ظهر ، والشىء : لمع .

٣ – طرق الرجل ، على البناء للمجهول : ضعف عقله .

٤ – غار الغيث الأرض يغيرها : سقاها ، وغارهم الله بمطر يغيرهم سقاهم ، وغاره يغيره نفعه .

٥ – الوغرة شدة توقد الحر ، وأوغر صدره أحماه من الغيظ : والوغير : الماء المغلى .

٦ – البيتان من ميمية « علقمة » : « هل ما علمت وما استودعت مكتوم »

وقعت فاصلة سهواً بعد (مجلل) فى طبعتنا الرابعة ، فنقلها السيد نصر الله فى (ل : ٢٨) فتأمل !

والسبا : مرخمة ترخيما غير قياسى ، من سبائب – والضح بالكسر : الشمس وضوؤها – والراقب : الحارس كالرقيب – ومفغوم : مطيب بالرائحة الزكية ، وأصله من أفغم الإناء ملأه ؛ وفغم الطيب فلاناً : ملأ خياشيمه . وقد جاءت فى ز : [مفغوم] – تصحيف ؛ والبيت من شواهد الصاهل والشاحج ٤٤ ؛ والخصائص ١ / ٨٣)

وانظر فى الضح ، (تهذيب الألفاظ لابن السكيت : باب صفة الشمس ٣٨٨)

* – ابن أحمر : عمرو ، من بنى فراس بن معن الباهلى وكان أعور – انظر حديث (الغفران) عن عوران قيس : ص ٢٣٧ – رماه رجل بسهم فذهبت عينه ، قيل إنه عمر تسعين سنة وسقى بطنه فمات (الشعر والشعراء ٢٠٧ المؤتلف والمختلف ٣٧) وهو من شعراء (الصاهل والشاحج) .

** – علقمة ، بن عبدة الفحل : ص ١٤٢ .

ضَمِنَتْهُ هذه الدارُ الخادعةُ ، التى هى لكلِّ شَمَمٍ جادعةٌ .

ولو بصر[1]بها «عَدِىُّ بنُ زيدٍ*» ، لشُغِلَ عن المُدام والصَّيدِ : واعترف بأن أباريقَ مُدامِه ، وما أدركَ من شَرْبِ «الحِيرةِ**» ونِدامِه[2] . أمرٌ هيِّنٌ لا يُعدَلُ بنابتٍ من حمصِيصٍ : أو ما حَقُرَ من خَرْبَصِيص[3] .

وكنتُ «بمدينةِ السَّلام***» فشاهدتُ بعضَ الورَّاقين يسألُ عن قافيةِ «عَدِىِّ بن زيد» التى أولُها :

بكَرَ العاذلاتُ فى غَلَسِ الصُّبْـ ـحِ يعاتبنه أما تستفيقُ[4]

---

(١) بصر به ، من باب كرم وفرح : صار مبصرا

٢ – الشرب ، بالفتح : القوم يشربون ويجتمعون على الشراب ، ج شروب كركب وراكب – والندام ، كالندامى والندماء : ج نديم وهو رفيق الشراب .

٣ – حمصيص ، محركة ، وقد تشدد ميمه : بقلة رملية حامضة ، واحدتها بهاء .

وخربصيص : هنة تتراءى فى الرمل ، وبه فسر الحديث : « إن نعيم الدنيا أقل وأصغر عند الله من خربصيصة » .

٤ – رواية المتن فى الأصل (ك) :

بكر العاذلات فى غلس الصبـــــح يقولون لى ألا تستفيق ؟

وبهامشه فى الشطر الثانى : (يعاتبنه أما – خ) أى نسخة ، فنقلناه إلى المتن لتلاؤم العاذلات نقلها فى (ب : ٢٦ ؛ ل: ٢٩) ! ورواية (الأغانى) وفى (شعراء الجاهلية المسمى شعراء النصرانية) :

بكر العاذلون فى وضح الصبـــــح يقولون لى أما تستفيق ؟
ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة فى يمينها إبريق

* الأعلام

* – عدى بن زيد : بن حماد ، العبادى . من بنى زيد مناة بن تميم – الشاعر الجاهلى النصرانى المشهور . كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف ، فلان لسانه وسهل منطقه . (طبقات ابن سلام ٣١ – الشعر والشعراء : ١١١ ، الأغانى ب : ٢ / ٩٧ معجم الشعراء : ٢٤٩) وشعراء الصاهل والشاحج

** – الحيرة – مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة ، كانت مسكن ملوك العرب فى الجاهلية بنى نصر ثم بنى لخم . (بلدان ياقوت) .

*** – مدينة السلام : بغداد ، عاصمة العراق بناها المنصور سنة ١٤٥ هـ . (معجم البلدان لياقوت) .

ودعا بالصَّبُوحِ فَجرًا فجاءت قَينةٌ فى يمينِهــا إبريقُ

وزعم الورَّاقُ أن «ابنَ حاجبِ النعمانِ*» سأل عن هذه القصيدةِ وطُلِبتْ فى نُسَخٍ من ديوانِ «عدىٍّ» فلم توجدْ . ثم سمعتُ بعد ذلك رجلاً من أهلِ «أستَراباذَ**» يقرأُ هذه القافيةَ فى ديوانِ «العِبادىِّ» . ولم تكنْ فى النسخةِ التى فى(1) دار العلم .

فأمّا «الأُقَيْشِرُ(2) الأسدى***» فإنهُ مُنِىَ بقاشرٍ(3) : وشَقِىَ إلى يومٍ حاشرٍ : قال ولعلهُ سيندمُ . إذا تفرَّى الأَدَمُ(4) :

أفنَى تِلادى وما جَمَّعْتُ من نَشَبٍ قرعُ القواقيزِ(5) أفواهَ الأباريقِ

ما هو وما شرابُه ؟ تقضَّت فى الخائنةِ(7) آرابُه . لو عايَنَ تلك الأباريقَ

---

١ – سقطت [فى] من متن ش ، ز ، ت ، وأضيفت بين الأسطر فى الأخيرتين .

٢ – فى ن : [الأفيشر] بفاء موحدة ، وليست مغربية – تصحيف .

٣ – القاشر والقاشور من الخيل : الجارى فى آخر الحلبة ، واستعمل اللفظ فى التأخر والشؤم . وفى (نوادر أبى مسحل) : ويقال عام أقشر . . . . إذا كان جدباً . وكذلك سنة قشراء (١ / ٦٠) والحاشر : الجامع ، ويلحظ فيه مع الجمع معنى الضيق .

٤ – تفرى الأدم : تشقق الجلد .

٥ – فى ن : [القوارير] وبهامشه : قواقيز ، عن الأغانى . وهى رواية الأصل (ك) . والقواقيز الكؤوس الصغار ، ج قاقوزة . والبيت من شواهد النحاة فى إعمال المصدر . (مغنى اللبيب ، الشاهد ٧٨١ ، والمقاصد النحوية فى شرح شواهد الألفية للعينى ط بولاق ٣ / ٥٠)

٦ – كذا فى الأصل ، وهى الدنيا . ويمكن أن تقرأ [الخانية] كما فى (ش) وهى الـخمور أو بيت الخمر راجع على ما هنا ، هامش (ل : ٢٩) وتأمل !

الأعلام

* – ابن حاجب النعمان : هو أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم . قال ابن النديم : لم يشاهد أحسن من خزانة كتبه ، وكان إليه ديوان السواد أيام معز الدولة . (الفهرست ط أوربا ١٣٤) .

** – أستراباذ : من أعمال طبرستان ، بين سارية وجرجان . (بلدان ياقوت ١ / ٢٤٢) .

*** – الأقيشر الأسدى : هو المغيرة بن الأسود – وقيل ابن عبد الله بن الأسود – من بنى أسد ابن خزيمة بن مدركة . وكان من مجان الكوفة وأصحاب الشراب . هجا « عبد الملك » و« مصعب بن الزبير » انظر (معجم الشعراء : ٣٦٩ ، الشعر والشعراء : ٣٤٣ ، جمهرة الأنساب ١٨٠)

لأيقنَ أنهُ فُتنَ بالغرور ، وسُرَّ بغيرِ مُوجبٍ للسرور . وكذلك «إياسُ* بنُ الأَرَتِّ» ، إن كان عَجِبَ لأباريقَ كإوَزِّ الطَّفِّ ، فإن الحوادثَ بسطتْ لهُ أقبَضَ كَفٍّ . فكأنه ما قال :

كأنَّ أباريقَ المدامةِ بينهم   إوَزٌّ بأعلى الطَّفِّ عُوجُ الحناجرِ[1]

ورَحِمِ اللهُ «العجّاجَ**» ، فإنهُ خَلَطَ في رَجَزِهِ العُلَبِطَ[2] والسَّجَاجِ[3] أين إبريقُه الذي ذَكَرَ فقال ؟ :

قَطَّفَ من أعنابِها ما قَطَفَا   فخمَّها حَوْلَينِ ، ثم استودفا

صهباءَ ، خُرْطوماً ، عُقَارًا ، قَرْقَفَا   فَسَنَّ في الإبريقِ منها نُزَفًا[4]

مِنْ رَصَفٍ نازَعَ سَيْلاً رَصَفَا

---

١ – عوج : جمع أعوج وعوجاء ، من العوج وهو الميل والانعطاف – والطف : الشاطئ أو ما أشرف من الأرض ، جمعه طفوف . وفى (اللسان) : أنشد أبو حنيفة لشبرمة الضبي :

كأن أباريق الشمول عشية   إوز بأعلى الطف عوج الحناجر

٢ – العلبط : الكثير ، ورجل علابط : غليظ ، ولبن علبط : رائب خاثر جداً .
وكل ذلك من فعالل (علابط) وليس بأصل ، لأنه لا تتوالى أربع حركات فى كلمة واحدة . (انظر اللسان مادة علبط ، وفقه اللغة للثعالبى ، باب النحت ص ٥٧٨) .

٣ – السجاج بالفتح ، كسحاب : اللبن الذى رقق بالماء ، قيل هو الذى ثلثه لبن وثلثاه ماء .

٤ – بهذه الفواصل فى الشطر الأول ؛ نقلها السيد نصر الله فى (ل ٣٠) عن طبعتنا الرابعة . فتأمل ! ورواية (تهذيب إصلاح المنطق : ١ / ١١٨)

« قطف من أعنابه ما قطفا »

« فشن فى الإبريق منها نزفا »

غمها : أخفاها مبالغاً – واستودف : استقطر . والصهباء : مافيها حمرة أو شقرة . والخرطوم : السريعة الإسكار – والقرقف : الباردة . وسن عليه : الماء صبه ، وقيل : أرسله إرسالا لينا ؛ وعلى رواية (التهذيب) يقال : شن الماء على شرابه : إذا فرقه عليه ، وشن عليهم الغارة : إذا فرقها .
والنزف ج نزفة ، وهى القليل من الماء أو الخمر . والرصف : الحجارة مرصوف بعضها إلى بعض . قال الباهلى : أراد العجاج أنه صب فى إبريق الخمر من ماء رصف وهو الذى ينحدر من الجبال على الصخر فيصفو . وتكرار الرصف – المنازعة – أصفى له وأرق . وانظر (تهذيب الألفاظ لابن السكيت – ٦٥٦ بيروت) .

الأعلام

* – إياس بن الأرت : هو إياس بن خالد الطائى الأرت ، غلب على أبيه هذا اللقب من الرتة وهى حبسة فى اللسان . شاعر حماسى . (انظر الحماسة ط بولاق ٣ ، ٣٨ ، ١٣٧ وخزانة الأدب ٣ / ٥٦٧ ، ٥٦٩) .

** – العجاج أبو رؤبة : عبد الله بن رؤبة ، من بنى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ويكنى =

وكم على تلك الأنهارِ من آنِيَةِ زَبرجَدٍ محفور ، وياقوتٍ خُلِقَ على خَلْقِ الفُور[1] ، من أصفرَ وأحمرَ وأزرقَ ، يُخَالُ إن لُمِسَ أحْرَق ، كما قال «الصَّنَوْبَرِىُّ*» :

تَخَيَّلُهُ ساطعاً وَهْجُهُ فَتَأبَى الدُّنُوَّ إلى وَهْجه

وفى تلك الأنهارِ أوانٍ على هيئةِ الطيرِ السابحةِ ، والغانيةِ عن الماء السائحةِ ؛ فمنها ما هو على صُوَرِ الكَرَاكِىِّ[2] ، وأُخَرُ تُشاكِلُ المَكَاكِى[2] ؛ وعلى خَلْقِ طواويسَ وبَطٍّ ، فبعضٌ فى الجاريةِ وبعضٌ فى الشَّطِّ ؛ يَنْبُعُ من أفواهها شَرابٌ ، كأنهُ من الرِّقَّة سَرابٌ ؛ لو جَرِع جُرْعةً منهُ «الحَكَمِىُّ**» لحكم أنهُ[4] الفوزُ القِدَمىُّ .

ـ أبا الشعثاء وهى ابنه . من أشهر الرجاز ، وسمى العجاج بقوله : « حتى يعج عندها عجيجا »

(طبقات ابن سلام ١٤٨ ، الشعر والشعراء ٣٧٤ ، وشعراء الساحل والشاحج) .

١ ـ الفور : الظباء ، لا واحد لها من لفظها ، وقيل مفردها فائر .

٢ ـ الكراكى : ج كركى ـ بالضم ـ طائر كبير طويل العنق والرجلين ، أبتر الذنب ، قليل اللحم ، يأوى إلى الماء أحياناً . والمكاكى : ج مكاء ـ كزنار ـ طائر صغير مغرد يألف الريف .

٤ ـ فى ت ، ط : [بأنه] .

٥ ـ كذا فى ك ، ش ، بجمع واصف وإضافته للخمر . وفى بقية النسخ [كل وصاف الخمر] . نقلها إلى هامش (ل : ٣٠) فمن أين له هذه النسخ الأخرى ؟

الأعلام

* الصنوبرى : أبو بكر أحمد بن محمد الضبى الحلبى . توفى سنة ٣٣٤هـ (الشذرات ٢/٣٣٥) ـ ترجم له « ابن النديم » بين جماعة الشعراء المحدثين ـ انظر (الفهرست ١٦٨ ط أوربا ، وخاص الخاص ١١٠ ، وفوات الوفيات ١ / ١٢١ وانظر معها « حلب » فى بلدان ياقوت) .

** ـ الحكمى : أبو نواس ، الحسن بن هانئ الشاعر العباسى المطبوع ، عرف بالمجون ، وهو أشهر وصاف الخمر ، وصاحب مذهب العدول عن افتتاح القصائد ببكاء الأطلال والدمن ـ توفى ببغداد فى خلافة الأمين سنة ١٩٥ أو سنة ١٩٦ (انظر الشعر والشعراء : ٥٠١ ، ونزهة الألباء : ٩٦ ، طبقات ابن المعتز ٨٧ ، وفيات ابن خلكان ١/١٣٥ ، وتاريخ بغداد ٧/٤٣٦ ، وشعراء الساحل والشاحج .

٣- محشــر بن القارح

فيقولُ ـ أنطقَهُ اللهُ بكُلِّ فَضلٍ ، إن شاءَ رَبُّه أن يقول ـ : أنا أَقُصُّ عليك قِصَّتى :

لمَّا نهَضتُ أنتَفِضُ من الرَّيْم[4] ، وحَضَرتُ حَرَصاتِ القِيامةِ ـ والحَرَصاتُ مِثلُ العَرَصاتِ[5] ، أُبْدِلَت الحاءُ من العين ـ ذكرتُ الآيةَ[6] : «تَعْرُجُ ٱلمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ إليهِ فى يَوْمٍ كان مِقدارُهُ خَمْسِين ألفَ سَنَة . فاصْبِرْ صَبْرًا جميلاً » فطالَ عَلَيَّ الأَمَدُ ، وٱشْتَدَّ ٱلظَّمَأُ والوَمَدُ ـ والوَمَدُ : شِدَّةُ الحَرِّ وسُكونُ الريح[7] ، كما قال أخوكم «النُّمَيرى * » :

---

١ ـ من آية ٣٧ : سورة الفاطر .

٢ ـ كذا فى الأصل،وفى ز ، ش ، ت : [الأيمان] وكنت آثرتها فى الطبعات السابقة ،فانظر (ب : ١٠٤) وهامش (ل : ٩٠) .

٣ ـ سورة البقرة آية ٢٨١ .

٤ ، ٥ ـ الريم، القبر . ـ العرصات ، والأعراص والعراص : جمع عرصة ، وهى ساحة الدار أو كل بقعة ليس فيها بناء .

٦ ـ سورة المعارج ، آيتا ٤ : ٥ .

٧ ـ بمثل هذا ، فسره « ابن السكيت » فى (تهذيب الألفاظ ٣٨٥) .

الأعلام

* ـ النميرى ، الراعى : ص ٢٢٨ .

كأنَّ بَيْضَ نَعامٍ فى مَلاحِفِها جَلاهُ طَلٌّ وَقَيظٌ ليلُه وَمِدُ[١]

وأنا رَجُلٌ مِهْيافٌ[٢] ، أى سريعُ العَطَش . فافتكرتُ ، فرأيتُ أمرًا لا قِوامَ لمثلى به . ولَقِيَنى المَلَكُ الحفيظُ بما زُبِرَ[٣] لى من فِعلِ الخير : فوَجدتُ حَسناتى قليلةً كالنُّفَا[٤] فى العام الأرْمَلِ – والنُّفَأ الرياضُ ، والأرْمَلُ قليلُ[٥] المَطَر – إلاَّ أنَّ التَّوبةَ فى آخِرِها كأنَّها مِصباحُ أبِيلٍ[٦] ، رُفِعَ لسالِكِ السبيلِ . فلمَّا أقمتُ فى المَوقِفِ زُهاءَ شهرٍ أو شهرَين . وخِفتُ فى العَرَق من الغرق[٧] . زَيَّنَت لى النفسُ الكاذبةُ أنْ أنظِمَ أبياتاً فى «رضوان . خازن الجنان» عَمِلتُها فى وزنِ :

« قِفا نَبْكِ من ذِكرَى حبيبٍ وعِرفانِ »[٨]

ووَسَمتها «برضوان» . ثم ضانَكتُ[٩] الناسَ حتى وقَفتُ منه بحيثُ يَسْمَع ويَرَى ، فَما حَفَل بى . ولا أظنّه أبِهَ لما أقولُ[١٠] .

١ – البيت « للراعى النميرى » يصف امرأة . ورواية « المبرد » فى (الكامل – انظر رغبة الآمل ١٧٨/٦) مثل (الغفران) وأنشده (اللسان والتاج – مادة ومد) : « إذ اجتلاهن قيظاً ليلة ومد »
قال : ليلة ومد بغير هاء ، شديدة الحرارة – واجتلاهن بمعنى كشفهن وحسرهن .
وقد جاءت فى طبعتنا الثالثة : « ليلة ومد » وليس الأصل . ونقلنا (ب : ١٠٥) !
ورجعت فى الطبعة الرابعة إلى : « ليله ومد » فانظر (ل : ٩٠) .
٢ – هاف يهيف هيفاً فهو هائف ، والمهياف مبالغة منه : عطش عطشاً شديداً .
٣ – زبر : كتب ، والزبر الكتابة .
٤ – النفأ : القطع المتفرقة من النبت ، والرياض الصغيرة .
٥ – فى ش،ه: [القليل المطر] . فى كتب اللغة : يقال عام أرمل ، أى قليل المطر والنفع . وجاء فى (نوادر أبى مسحل) : ويقال عام أرمل وأنشف وأنشر إذا كان مجدباً (٦٠/١) .
٦ – الأبيل والأبيل والأيبل : الراهب .
٧ – كذا فى المخطوطات . وفى ط : [وخفت من الغرق فى العرق] .
٨ – تمام البيت ، وهو « لامرئ القيس » : « ورسم عفت آياته منذ أزمان »
٩ – ضانكت : زاحمت .
١٠ – أبه له ، وبه ، يأبه أبها – كفرح ومنع : فطن له . ولا يؤبه له : لا يلتفت إليه .

فغَبَرْتُ بُرهةً ، نحوَ عَشرةِ أيامٍ من أيام الفانية ، ثم عَمِلتُ أبياتاً في وزنِ :

بانَ الخليطُ ولو طُووِعتُ ما بانا وقَطَّعوا من حِبال الوصلِ أقرانا[1]

ووَسَمتها بِ «رضوانَ» ثم دَنَوتُ منه فَفَعلتُ كفِعلى الأوَّلِ ، فكأَنى أحرِّكُ «ثَبيرا*» ، وألتمِسُ من [الغِضْرم] عَبيرًا . — و [الغضرمُ] [2] تُرابٌ يُشبهُ الجصَّ[3] — فلم أزَل أتتبَّعُ الأوزانَ التى يمكِنُ أن يُوسَمَ بها «رِضوانُ» حتى أفنيتُها ، وأنا لا أجدُ عندَه مَغُوثةً ، ولا ظَنَنتُه فَهِمَ ما أقول . فلمَّا استقصيتُ الغَرَضَ فَمَا أنجحتُ[4] ، دعوتُ بأعْلى صَوتى : يا رِضوانُ ، يا أمينَ الجبَّارِ الأعظَم على الفَراديسِ ، ألم تَسمعْ ندائى بك واستغاثتى إليك؟ فقال : لقد سَمعتُكَ تذكرُ رضوانَ ، وما عَلمتُ ما مَقصدُك ، فَما الذى تطلُبُ أيها المِسكينُ ؟ فأقولُ : أنا رَجُلٌ لا صبرَ لى على اللُّوَاب[5] — أى العَطَش — وقد استَطَلتُ مُدَّةَ الحِساب ، ومعى صَكٌّ بالتَّوْبةِ ، وهى للذُّنوبِ كلِّها ماحِيَةٌ ، وقد مَدَحتُكَ بأشعارٍ كثيرة ووَسَمتُها باسمِك . فقال : وما الأشعارُ ؟ فإنِّى لم أسمَعْ بهذه الكَلمةِ قَط إلاَّ الساعةَ . فقلتُ : الأشعارُ

---

١ — البيت لجرير ، وهو مطلع قصيدته النونية التى هجا بها « الأخطل » انظرها فى ديوانه (ص ٥٩٣ ط الصاوى) .

٢ — فى النسخ كلها : [العضرم] بعين مهملة ، وقد رجعنا إلى كتب اللغة فلم نجدها ، فالتمسناها فى [غضرم] بالغين والضاد المعجمتين . وهو : ما تشقق من ملاح الطين الأحمر ، والجص . وجاءت طبعتا بيروت ، بما حررناه فى الذخائر (ب : ١٠٧ ، ل : ٩١) .

٣ — الجص بفتح الجيم وكسرها : ما تطلى به البيوت من الكلس .

٤ — أنجح الرجل : صار ذا نجاح ، وأنجحت حاجته : قضيت .

٥ — لاب الرجل يلوب لوباً ولواباً ولوباناً : عطش ، وقيل : حام حول الماء وهو لا يصل إليه .

الأعلام

* — ثبير : اسم لعدة جبال بظاهر مكة .

(معجم البكرى ٣٣٥/١ ط لجنة التأليف)

جَمعُ شِعر ، والشعرُ كلامٌ موزونٌ تَقبَلُه الغَريزةُ على شرائِطَ ، إن زادَ أو نَقصَ أبانَهُ الحِسُّ ، وكان أهلُ العاجلةِ يَتقرَّبون به إلى الملوكِ والسادات ، فجئتُ بشيْءٍ منه إليك لعَلَّكَ تأذَنُ لى بالدُّخول إلى الجنةِ[1] فى هذا الباب ، فقد آستطلتُ ما الناسُ فيه ، وأنا ضَعيفٌ منِينٌ[2] ؛ ولا رَيبَ أنّى مِمَّن يرجو المَغفِرةَ ، وتَصِحُّ له بمَشيئةِ اللهِ تعالى . فقال : إنَّكَ لَغَبينٌ[3] الرأي ! أتأمُلُ أن آذَنَ لك بغَيرِ إذنٍ من رَبِّ العِزَّةِ ؟ هيهاتَ هيهات ! «وأنَّى لهُمُ التناوُشُ من مكانٍ بعيد»[4] .

فتَرَكتُه ، وانصرفتُ بأمَلى إلى خازنٍ آخرَ يُقالُ له : « زُفَرُ » فعَمِلتُ كلمةً ووَسَمتُها باسمِه فى وزن قولِ «لبيد *» :

تَمَنّى ابنتايَ أن يَعِيشَ أبُوهما وهل أنا إلاّ من رَبيعةَ أو مُضَرْ[5]

وقَرُبتُ منه فأنشدتُها ، فكأنّى إنّما أُخاطِبُ رَكُودًا[6] صَمَّاء : لأَستَنزِلَ أبُودًا عَصماءَ . ولم أترِكْ وزنًا مُقيَّدًا ولا مُطلَقاً يجوزُ أن يُوسمَ بِـ «زُفَرَ» إلا وَسَمتُه به ، فَمَا نَجَع ولا غَيَّر . فقُلتُ : رَحِمَكَ الله ! كُنَّا فى الدارِ الذاهبةِ نَتَقرَّبُ إلى الرئيسِ والملِكِ بالبيتَين أو الثلاثةِ ، فنَجِدُ عِنده ما نُحِبُّ ،

١ – قوله [إلى الجنة] ورد فى ك ، ش ، دون بقية النسخ .

٢ – من الحبل : قطعه ، والناقة ؛ هزلها من السفر ، والرجل : أضعفه . والمنة : الضعف والقوة (ضد) والمنين : الضعيف والقوى (ضد) . والأول هو المتعين هنا .

٣ – الغبن والغبانة : ضعف الرأى ، والغبين : الضعيف الرأى .

٤ – من آية ٥٢ ، سورة سبأ . والتناوش : التناول ، أبدلت فيه الشين واللام (كتاب الإبدال ٢/٢٣٣) وهو أيضاً التطاعن بالرماح .

٥ – البيت من شواهد المغنى (٨٠٦) وشواهد الكشاف (٤/٤٠٦) وروايته الشطر الأول :

• يسر ابنتى •

٦ – الراكد : كل ثابت فى مكانه ساكن ، وجفنة ركود : ثقيلة راكدة ممتلئة .

الأعلام

* – لبيد : ص ١٧١ .

وقد نَظَمتُ فيك ما لو جُمِع لَكان دِيواناً ، وكأنّك ما سَمِعتَ لى زَجْمةً[1] ـ أى كَلِمة ـ فقال : لا أشعُرُ بالذى حَمَمْتَ[2] ـ أى قَصَدتَ ـ وأحسبُ هذا الذى تجيئُنى به قُرْآنَ «إبليسَ» المارِدِ ولا يَنفُقُ على الملائكة ، إنما هو للجانِّ وعَلِّموه وَلَدَ «آدَمَ» فما بُغْيَتُك ؟ فذَكرتُ لهُ ما أُريدُ ؛ فقال : واللهِ ما أقدرُ لك على نَفْع ، ولا أملِكُ لِخَلْقٍ من شَفْع ، فمن أىِّ الأُمَم أنت ؟ فقلت : من أُمّةِ «مُحمدِ بن عبدِ اللهِ بْن عبدِ المُطَّلِب» . فقال : صَدَقتَ . ذلكَ نبىُّ العَرَب ، ومِن تلك الجِهَةِ أتيتَنى بالقَريض ، لأنَّ «إبليسَ» اللعينَ نَفَثَهُ فى إقليمِ العرَبِ فَتَعَلَّمَهُ نِساءٌ ورجال . وقد وَجَبَ علىَّ نُصْحُك . فعَلَيك بصاحِبك لَعَلَّه يَتوصَّلُ إلى ما ابتَغَيتَ .

فيَئِستُ مما عِندَه ، فجعلتُ أتخلَّلُ العالَمَ ، فإذا أنا برَجُلٍ عليه نُورٌ يَتَلألأُ ، وحوالَيه رجالٌ تَأْتَلِقُ منهم أنوار . فقُلتُ : مَن هذا الرجُلُ ؟ فقِيل : هذا «حَمزةُ بنُ عبدِ المطَّلِب*» صريعُ «وَحشىٍّ**» ؛ وهؤلاء الذين حَولَهُ

١ – زجم : نبس . والزجمة : النبسة والكلمة الخفية . وفى (نوادر أبى مسحل : ١/٥٩) : ويقال : ما سمعت من فلان نأمة ، ولا زأمة ، ولا زجمة .

٢ – حم : قصد ، ويقال : حم حمه ، أى قصد قصده .

الأعلام

* – حمزة بن عبد المطلب : بن هاشم بن عبد مناف من الصحابة الشعراء (الإصابة ١ / ٣٥٣ ، منح المدح لابن سيد الناس : ٢٣ مخطوط) ويكنى أبا عمارة وأبا يعلى ، وهما ابناه – شهد «بدراً» وأبلى فيها بلاء حسناً ، ثم شهد «أحداً» واستشهد فيها ، فى النصف من شعبان ، فى السنة الثالثة للهجرة ، قتله غلام حبشى يقال له «وحشى» وجاءت «هند بنت عتبة» فمثلت بجثته ولاكت كبده، واتخذت من أذنيه وأنفه قلائد ، وأعطت حلاها وحشياً .

انظر (السيرة ٣/١٦ ، ٥٦ – الطبرى حوادث سنة ٣ هـ – الاستيعاب ١/١٠٢) .

** – وحشى : بن حرب ، من سودان مكة ، كان مولى لطعيمة بن عدى ، وقيل لجبير ابن مطعم بن عدى . وقد وعد بالإعتاق إن قتل «حمزة» ، فأخذه على غرة فى «أحد» ، وصوب إليه حربته فأثبتها فى جسمه ، ثم انتزعها منه ، بعد موته . ولم يقاتل حتى رجع إلى مكة ، ومنها هرب إلى الطائف ، وأسلم بعد ذلك واشترك فى حروب الردة ، وقتل «مسيلمة الكذاب» فكان يقول : قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قتلت شر الناس .

(الاستيعاب ٢/٦٢٦ – السيرة ٣/٥) .

من آستُشْهِدَ من المُسلمينَ فى «أُحُد*» . فقُلتُ لنفسىَ الكَلُوب : الشِّعرُ عند هذا أَنفَقُ[1] منه عند خازنِ الجِنان ، لأنَّهُ شاعر ، وإخوتُه شُعَراءُ ، وكذلك أبوه وجَدُّه ، ولعلَّه ليس بَينَه وبين معَد بنِ عَدْنانَ ، إلاَّ مَن قد نَظَم شيئاً من موْزُونٍ . فعَمِلتُ أبياتاً على مَنهَج أبياتِ «كَعْبِ بن مالك**» التى رَثَى بها «حَمْزَةَ» وأَوَّلُها :

صفيَّةُ قُومى ولاَ تَعْجزى   وبكِّ النِّساءَ على حَمْزَةِ[2]

وجئتُ حتى وَلِيتُ[3] منهُ فنادَيتُ : يا سَيِّدَ الشُّهداء : يا عَمَّ رسول الله صلى اللهُ عليه : يا ابنَ عبدِ المُطَّلِب ! فَلمَّا أَقبَلَ علىَّ بوَجهِه أنشَدتُه الأبياتَ . فقال : وَيْحَكَ ! أَفى مِثلِ هذا المَوطِنِ تجيئُنى بالمَديح ؟ أَمَا سَمِعتَ الآيَةَ : «لِكُلِّ آمرِئٍ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه»[4] ؟ فقلت : بلى قد سَمِعتُها ، وسَمِعتُ ما بَعدَها[5] : «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ . ووجوه يَوْمَئِذ عليها غَبَرَةٌ . تَرْهَقُها قَتَرَةٌ . أُولٰئِكَ هم ٱلكَفَرَةُ

١ – نفق البيع : راج ورغب فيه . ونفقت السوق : قامت وراجت تجارتها .

٢ – البيت مطلع قصيدته التى بكى بها «حمزة» يوم أحد ، والخطاب فيها لأخته «صفية بنت عبد المطلب» .

وقد روى «ابن هشام» لكعب ، ثلاث قصائد أخرى – غير هذه – فى رثاء حمزة (السيرة ٣ / ٣٩) .

٣– ولِىَ فلاناً ووليه ، بالتخفيف فيهما : دنا منه وقرب ، وتبعه من غير فصل . والأول لغة قليلة الاستعمال .

٤ – سورة عبس ، آية ٣٧ .   ٥ – سورة عبس ، الآيات ٣٨ : ٤٢ .

الأعلام

* – أحد : جبل فى شمال المدينة ، حدثت عنده وقعة «أحد» التى استشهد فيها حمزة ، وسبعون من المسلمين : انظر (السيرة ج ٣ – الطبرى حوادث السنة الثالثة من الهجرة – ياقوت والبكرى) .

** – كعب بن مالك : الخزرجى الأنصارى (جمهرة الأنساب ٣٤١) شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد معه المشاهد كلها إلا بدراً وتبوك ، (الإصابة ٣ / ٣٠٢) وهو ثانى فحول المدينة فى طبقات ابن سلام ، ومن شعراء الصاهل والشاحج .

(السيرة ٣ / ٣٩ ، ٤ / ١٧٥ ، معجم الشعراء ٣٤٢ ، حماسة البحترى) .

ٱلْفَجَرَةُ » فقال : إنِّى لا أَقدِرُ على ما تَطلبُ ، ولكنى(١) أُنفِذُ مَعكَ تَوْرًا ـ أى رسُولاً ـ إلى ابن أخى «علىِّ بن أبى طالب» ، ليُخاطبَ النبىَّ صلى الله عليه [وسلم] فى أمرِكَ . فبَعثَ معى رَجُلاً ، فلَمَّا قَصَّ قِصَّتى على أمير المُؤمنين ، قال : أينَ بَيِّنَتُكَ؟ ـ يعنى صَحِيفةَ حَسَناتى ـ وكُنتُ قد رأيتُ فى المَحْشَرِ شَيخاً لنا كان يُدَرِّسُ النَّحْوَ فى الدارِ العاجلة ، يُعرَفُ بـ «أبى علىّ الفارسىّ*» وقد امترَسَ به قومٌ يُطالِبُونه ، ويقُولون : تأوَّلتَ علينا وظَلَمتَنا . فلمَّا رآنى أشار إلىَّ بيَدِهِ ، فجئتُهُ فإذا عِندهُ طَبَقةٌ ، منهم «يَزِيدُ بْنُ الحَكِمِ الكِلابىُّ**» وهو يقول : ويْحَك ، أنشَدتَ عنِّى هذا البيتَ برفعِ الماء ، يعنى قولَه :

فَلَيتَ كَفافاً كان شَرُّكَ كُلُّهُ ... وخَيرُكَ عنى ما ٱرْتَوَى الماءُ مُوتَرِى(٢)

ولم أقل إلاَّ الماءَ . وكذلك زَعَمتَ أنّى فتحتُ الميمَ فى قولى :

تَبَدَّلْ خَليلاً بى ، كَشَكْلِكَ شكْلُهُ ... فإنى خليلاً صالحاً بكَ مَقْتَوى(٣)

---

١ ـ كذا فى ك ، ش ، ا . وفى بقية النسخ : [ولكن].

٢ ، ٣ ـ البيتان من قصيدته الواوية المشهورة والخطاب فيها لابن عمه :

تكاشرنى كرها كأنك ناصح ... وعينك تبدى أن صدرك لى دوى

وهى مروية فى (حماسة البحترى ٢٢٨ والأمالى ١ / ٦٨ والأغانى ب ١١ / ١٠٠ ، والخزانة ط السلفية ١ / ١١١) . والرواية [illegible] البيت الأول :

فليت كفافا كان خير[illegible] ... وشرك عنى ، ما ارتوى الماء مرتوى

ـ على هامش الأصل ، طرة بخط الناسخ ، نصها : أصله مقتوى ـ بضم الميم ـ وهو الخادم ، وجمعه مقتوون . قال ابن كلثوم : « متى كنا لأمك مقتوينا » وقيل المقتوى الذى يعمل مع الناس بطعام بطنه . اهـ والبيت من شواهد المغنى (٤٧٦ ، أنشده ابن هشام برفع « الماء » وهو من مشكلات (ليت)

الأعلام

* ـ أبو على الفارسى : صفحة ٢١٧ .

** ـ يزيد بن الحكم : ذهب شارح (م) إلى أنه شاعر جاهلى . وإنما هو إسلامى أموى ، وأمه « بكرة بنت الزبرقان بن بدر » ولاه « الحجاج » كورة فارس ثم استنشده يريد أن يمدحه ، فأنشده قصيدة فخر ، فقام عنه مغضباً واسترد العهد ، فلحق يزيد بسليمان بن عبد الملك .

وقصيدته الواوية ـ التى منها بيتا (الغفران) ـ مروية فى (الأمالى والأغانى ، وحماسة البحترى ، والخزانة) وقد روى صاحب (الأغانى) أن « أبا عبيدة » قال : « أنشدنى رجل من بنى قيس بن ثعلبة لطرفة :

« تكاشرنى كرهاً » البيت . فعجبت من ذلك ، وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت : إنى كنت أرويه ليزيد بن الحكم ، فقال أبو عمرو : يزيد مولد ، يجيد الشعر ، وهو به أشبه » .

وإنما قلتُ : مُقتوى بضمِّ الميم .

وإذا هناك راجزٌ يقول : تَأَوَّلتَ عليَّ أنى قلتُ :

يا إبلى ما ذنبُه فتأبيَه ؟ ماءٌ رواءٌ ونَصِيٌّ حَوْلِيَهْ[1]

فحرَّكْتَ الياءَ فى [تأبَيَه] ، وواللهِ ما فعلتُ ولا غيرى من العرب .

وإذا رجلٌ آخَرُ يقول : ادَّعيتَ عليَّ ، أن الهاء راجعةٌ[2] على الدَّرْسِ فى قولى :

هذا سُراقةُ للقرآن يَدْرُسُه والمرءُ عِندَ[الرِّشَا]إنْ يَلْقَها ذِيبُ[3]

أفمجنونٌ أنا حتَّى أعتقدَ ذلك ؟

وإذا جماعةٌ مِن هذا الجنس ، كُلُّهم يَلُومونَه على تأويلِهِ . فقُلتُ : يا قوم ، إن هذه أمورٌ هَيِّنةٌ ، فلا تُعْنِتُوا هذا الشيخَ فإنهُ يَمُتُّ بكتابِهِ فى (القرآن) المَعروفِ بِ (كِتابِ الحُجَّة)[4] ، وإنهُ ما سَفَكَ لكم دَمًا ، ولا احْتَجَنَ[5] عَنكُم مالاً . فتفرَّقُوا عنه .

---

١ – النصى : نبت سبط من أفضل المراعى ، واحدته نصية . والذام : العيب . والرجز « لرفيان السعدى » عن (نوادر أبى زيد ص ٩٧ ، وشرح الرضى على الشافية ١٢٣/١) ويروى فيهما وفى الصحاح) : « ماء رواء ، وخلاء حوليه »

ورواية « أبى مسحل فى النوادر ٢ / ٤٩٩ » كرواية الغفران ، مع إسكان الياء فى : فتأبيه ، حوليه . وانظر (الخصائص ١ / ٣٣٢) .

٢ – فى الأصل : [ادعيت على على أن] بزيادة [على] .

ومن قوله : (على الدرس فى قولى) تبدأ نسخة ر .

٣ – البيت من شواهد « سيبويه » التى لم يذكر قائلها ، ومن شواهد ابن هشام فى المغنى وأبى حيان فى شرح التسهيل . على أن الضمير – فى يدرسه – راجع إلى مضمون يدرس ، أى يدرس الدرس ، فيكون عائداً على المصدر المدلول عليه بالفعل المتصيد وإنما لم يجز عنده عوده على القرآن ، لئلا يلزم تعدى العامل إلى الضمير وظاهره معاً . انظر (الخزانة ط السلفية ٢ / ٢ وشرح شواهد المغنى ٢٠٠ . و[الرشا] ضبطها فى الأصل بضم أوله ، جمع رشوة ، والأولى أن تضبط بالفتح : صغار الظباء ، أو هوما تحرك ومشى من أولادها وقد نقل ضبطنا وشرحنا إلى طبعتى بيروت (ب : ١١٠) ثم (ل : ٩٥) وليس الأصل !

٤ – كتاب الحجة فى القراءات لأبى على الفارسى . القفطى (٢/٢٣٦ ، نزهة الألبا لابن الأنبارى ص ١٨٧) . ٥ – احتجن المال : ضمه إلى نفسه واحتواه .

وشغِلتُ بخِطابِهم والنَّظر فى حَويرِهم[1] ، فسَقَطَ مِنِّى الكِتابُ الذى فيه ذِكرُ التَّوْبةِ . فرَجَعتُ أطلُبُه فما وجَدتُه . فأظهَرتُ الوَلَهَ والجزَعَ . فقال أميرُ المؤمنِين : لا علَيك ، ألَكَ شاهدٌ بالتَّوْبة ؟ فقُلتُ : نعم ، قاضى حَلَبَ وعُدولُها . فقال : بمن يُعْرَف ذلك الرجلُ ؟ فأقولُ : بِـ «عبدِ المُنعم ابن عبدِ الكريم * » قاضى حَلَبَ ـ حَرَسَها اللهُ ـ فى أيَّام «شِبْلِ الدَّوْلَةِ » . فأقامَ هاتفاً يَهتِفُ فى المَوْقِف : «يا عبدَ المُنعِم بنَ عبدِ الكريم ، قاضىَ حلبَ فى زَمانِ شِبل الدَّولة** ، هل مَعكَ عِلمٌ من تَوْبةِ علىٍّ بن منصور ابن طالبٍ ، الحَلَبىِّ الأديبِ» ؟ فلم يُجِبْهُ أحَدٌ . فأخَذَنى الهَلَعُ والقِلُّ ـ أى الرِّعدةُ ـ ثم هَتَفَ الثانيةَ ، فلم يُجِبْهُ مُجيب . فَلِيحَ[2] بى عندَ ذلك ـ أى صُرِعتُ إلى الأرض ـ . ثم نادى الثالثةَ ، فأجابهُ قائلٌ يقول : «نَعَمْ ، قد شَهِدتُ تَوْبَةَ "علىٍّ بن منصورٍ" وذلك بأَخَرَةٍ[3] من الوَقتِ ، وحَضَرَتْ مَتابَهُ عِندى جماعةٌ من العُدُول ، وأنا يَومَئِذٍ قاضى حَلَبَ وأعمالِها ، واللهُ المُستعان . » فعِندَها نَهَضتُ وقد أخَذْتُ الرمَقَ ، فذَكَرتُ لأميرِ المُؤمِنين ـ عليه السَّلامُ ـ ما ألتَمِسُ ، فأعرَضَ عنِّى وقال : إنَّك

---

١ ـ الحويركأمير : الجواب . تقول : كلمته فما رجع إلى حويرا . وهوأيضاً الاسم من المحاورة .

٢ ـ لاحته النار والسموم ولوحته : غيرته وسفعت وجهه ، ولاحه السفر والعطش والسقم ولوحه ، كذلك . ولاح والتاح : عطش .

٣ ـ جاء أخرة و بأخرة ، بالتحريك فيهما ، أى أخيرا .

الأعلام

• ـ عبد المنعم بن عبد الكريم : قاضى حلب فى أيام شبل الدولة ، ، لم نعثر عليه فى خدمتنا الطبعات السابقة . ثم وجدته فى تاريخ حلب لابن العديم ، قاضياً لحلب فى سنة ٤٢٠ هـ (١ / ٢٣٢ ط دمشق ١٩٥١)

• • ـ شبل الدولة : أبو كامل ، نصر بن صالح بن مرداس ـ ولى حلب سنة ٤٢٠ بعد مقتل أبيه ، وظل عليها حتى قتله جيش المصريين فى موقعة حاسمة على نهر العاصى عام ٤٢٩ هـ .
(تاريخ حلب لابن العديم ، السنوات ٤٢٠ : ٤٢٩ هـ ، تاريخ ابن الأثير ٩ / ١٦٢ ـ أعلام النبلاء ١ / ٣٢٦) .

لَتَرُومُ [حَددًا](١) مُمتَنِعاً ، ولك أُسْوَةٌ بوَلَدِ أبيك آدَمَ . وهَمَمتُ بالحَوْض فكِدتُ لا أَصِلُ إليهِ ، ثم نَغبتُ منه نُغبَات لا ظَمَأَ بعدَها . وإذا الكَفَرَةُ يَحمِلونَ أنفُسَهم على الوِرْدِ ، فتَذُودُهم الزبَانِيَةُ بعِصِىٍّ تَضطَرِمُ نارًا ، فيَرجِعُ أحَدُهم وقد احتَرَقَ وَجهُهُ أو يَدُه وهو يدعو بوَيْل وثُبُور . فطُفتُ على العِتْرةِ(٢) المُنتجَبِينَ(٣) فقلتُ : إنى كنتُ فى الدَّار الذاهبةِ إذا كَتَبتُ كِتاباً وفَرَغتُ منه ، قُلْتُ فى آخِره : وصَلَّى الله على سيدنا[مُحمَّد](٤) خاتم النَّبِيِّينَ ، وعلى عِتْرَتِهِ الأخيارِ الطَّيِّبينَ . وهذه حُرْمَةٌ لى ووَسِيلةٌ . فقالوا : ما نصنَعُ بكَ ؟ فقُلْتُ : إنَّ مولاتَنا «فاطمةَ*» ــ عليها السلامُ ــ قد دَخَلَت الجنَّةَ مُذْ دَهرٍ ، وإنها تَخرُجُ فى كلِّ حِينٍ مِقدارُه أربعٌ وعشرون ساعةً من الدُّنيا الفانيةِ(٥) ، فتُسَلِّمُ على أبيها وهو قائمٌ لِشَهادةِ القَضاء ، ثم تعودُ إلى مُستَقَرِّها من الجِنان(٦) ، فإذا هى خَرَجتْ كالعادةِ ، فاسأَلوا(٧) فى أمرى بأجمعِكم ، فلعَلَّها تسألُ أباها فىَّ .

١ ــ رواية الأصل : [جددا] بجيم معجمة وإن تكن نقطة الإعجام فيها باهتة جداً . وفى ز : [جدرا] وكانت فى ش [جددا] كرواية الأصل ، لكن الشنقيطى ضرب بقلمه على نقطة الحاء فصارت [حددا] بحاء مهملة . وهو ما اخترناه مرجحين أن يكون ما بنقطة الإعجام فى الأصل ، من أثر محو مقصود وعلى الرواية التى اخترناها ، جاءت طبعة(ب : ١١٢) ثم (ل : ٩٦)!

الحدد : الممنوع ، يقال هذا أمر حدد ، أى ممنوع لا يحل أن يفعل ، وهذا خبر حدد ، أى كاذب باطل . أما الجدد فهى الأرض الغليظة المستوية .

٢ ــ العتر : الأصل ، والعترة : ولد الرجل وذريته أو عشيرته ممن مضى .

٣ ــ كذا فى ك ، ش . وفى بقية النسخ : [المتنخبين].
يقال : انتجب الشىء اصطفاه واختاره ، والانتخاب أيضاً الاختيار .

٤ ــ من (ط) : ٥ ــ فى ط : [من ساعات الدنيا الفانية] .

٦ ــ فى ش : [الجنة] . ٧ ــ فى ط : [فاسألوها] ، وكانت كذلك فى ش ثم محى الضمير .

الأعلام

* ــ فاطمة : الزهراء بنت محمد ــ صلى الله عليه وسلم ، وزوج الإمام على ، وأم « الحسن والحسين ، وزينب » رضى الله عنهم ، (الإصابة ٤ / ٣٧٧ ــ الاستيعاب ٤٠٥٧) وقد عدها « ابن سيد الناس » من الصحابيات الشواعر (منح المدح ١٤٠ مخطوط) .

فلمّا حان خروجُها ونادى الهاتفُ : أنْ غُضُّوا أبصارَكم يا أهلَ الموقفِ حتى تَعبُرَ فاطمةُ بنتُ مُحَمد صلى الله عليه [وسلم] . اجتمع من «آلِ أبى طالبٍ» خَلْقٌ كثيرٌ ، مِن ذُكورٍ وإناث ، ممن لم يَشرَبْ خمرًا ، ولا عَرَف قَطُّ مُنكرًا . فلقُوها فى بعضِ السبيل ، فلما رأتْهم قالت : ما بالُ هذه الزُّرافةِ[1] ؟ ألكم حالٌ تُذْكَرُ ؟ فقالوا : نحن بخيرٍ ، إنا نَلتذُّ بتحفِ أهلِ الجنةِ ، غير أنَّا مَحبوسون للكلامةِ السابقةِ ، ولا نُريدُ أن نتسرَّعَ إلى الجنةِ من قبلِ الميقاتِ ، إذكنا آمنينَ ناعمين بدليلِ قولِه[تعالى] : «إنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُسْنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وهم فِيمَا ٱشْتَهَتْ أنفُسُهُم خَالِدُونَ . لا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهم ٱلْمَلائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنْتُم تُوعَدُونَ»[2] .

وكان فيهم «علىُّ بنُ الحُسَين*» وابناهُ «مُحمدٌ**» و «زيدٌ***»

1 – الزرافة ، كسحابة : الجماعة من الناس ، يكون فيها زهاء العشرة أو العشرين منهم .

2 – سورة الأنبياء ، الآيات ١٠١ ، ١٠٣ . قابل ترقيم الآيات فى طبعة بيروت (ص ١١٤) على طبعتنا الثالثة ، وتأمل !

الأعلام

* – على بن الحسين ، بن على بن أبى طالب ، الإمام زين العابدين أبو الحسن – رضى الله عنهم – ويقال له على الأصغر ، وليس للحسين عقب إلا من ذريته – وهو أحد الأئمة الاثنى عشر ، وأمه « سلافة بنت يزدجرد » آخر ملوك فارس . ولد سنة ٣٨ هـ ، وتوفى سنة ٩٤ وقيل سنة ٩٢ هـ بالمدينة . ودفن بالبقيع . (جمهرة الأنساب ٤٧ ، خلاصة التذهيب ١٣١ ، ابن خلكان ب ١ / ٤٠٤) .

** محمد : بن زين العابدين على بن الحسين . الملقب بالباقر – أحد الأئمة الاثنى عشر فى اعتقاد الإمامية – وهو والد « جعفر الصادق » ولد فى صفر سنة ٥٧ هـ وتوفى بين سنتى ١١٣ : ١١٨ على خلاف . ودفن بالبقيع . (الجمهرة ٤٧ ، ابن خلكان ب ١ / ٦٤٢) .

*** – زيد : بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أبو الحسين الهاشمى ، روى عن أبيه وجده ، وروى عنه « جعفر الصادق » و « الزهرى » ، وفد على « هشام » ، فرأى منه جفوة كانت سبباً فى خروجه عليه – وقد سار إلى الكوفة فقام إليه منها شيعة ، حتى ظفر به « يوسف بن عمر الثقفى » فقتله وصلبه عام ١٢٦ هـ – وذاعت عنه قصص فتنت الناس ، فأمر « هشام » بإحراق جثته – وإليه تنسب الفرقة الزيدية . (جمهرة الأنساب ٥٠ ، فوات الوفيات ١ / ١٦٤ ، تاريخ الطبرى) .

وغيرُهم من الأبرارِ الصالحين . ومع فاطمةَ عليها السلامُ ، امرأةٌ أُخرَى تَجرى مَجْراها فى الشرفِ والجلالة ، فقيلَ : مَنْ هذه ؟ فقيل : «خديجةُ* ابنةُ[1] خُوَيلدٍ بن أسدِ بن عبد العُزَّى » ومعها شَبابٌ على أفراسٍ منْ نُور . فقيل : مَنْ هؤلاء ؟ فقيل : «عبدُ الله ، والقاسمُ ، والطيِّبُ ، والطاهرُ ، وإبراهيمُ : بَنُو مُحمدٍ** » صلى الله عليه [وسلم] .

فقالت تلك الجماعةُ التى سألْتُ : هذا ولىٌّ من أوليائنا ، قد صَحَّتْ توبتُه ود ريبَ أنه من أهلِ الجنَّةِ ، وقد توسَّلَ بنا إليكِ . صلى الله عليكِ ، فى أن يُرَاحَ من أهوالِ الموقِف ، ويَصيرَ إلى الجنَّة فيَتعجَّلَ الفوزَ . فقالت لأخيها «إبراهيمَ» صلى الله عليه : دُونَكَ الرجلَ . فقال لى : تعلَّقْ بركابى . وجَعلت تلك الخيلُ تَخَلَّلُ الناسَ وتنكشفُ لها الأممُ والأجيالُ ، فلما عَظُمَ الزِّحامُ طارتْ فى الهواء ، وأنا متعلِّقٌ بالرِّكاب ،

الأعلام

* — خديجة : بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، القرشية الأسدية أم المؤمنين الأولى ، رضى الله عنها . توفيت قبل الهجرة ، بثلاث سنوات . فسميت سنة وفاتها : عام الحزن .
(الاستيعاب ٢/ ٧٣٨ ، الإصابة ٤ / ٢٧٣ ، السيرة لابن هشام ١ / ٢٠٢) .

** — بنو محمد صلى الله عليه وسلم : ذكر (الغفران) هنا خمسة ذكور ، وعلق الشارح عليه فى (م) بقوله : «والذكور من أولاد النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة : عبد الله والقاسم . وإبراهيم ، أما الطيب والطاهر فلقبان . . فلعله سهو من أبى العلاء إذ اشتبهت عليه الأسماء بالألقاب ، فعد الذكور خمسة ، وجل من لا يسهو والعصمة لله وحده » اهـ . ص ٨١ .

وليس فى الأمر هنا سهو يعتذر عنه ، فقد اختلفت كتب السيرة والتاريخ فى هذا ، ونص عبارة «ابن الأثير» فى الحديث عن (ذكر عدد أزواج النبى وسراريه وأولاده) : «فولدت له خديجة — رضى الله عنها — ثمانية : القاسم والطيب والطاهر وعبد الله ، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة . فأما الذكور فماتوا وهم صغار ، وأما الإناث فبلغن ونكحن وولدن . . ولم يولد له من غيرها إلا إبراهيم . » اهـ — (جـ ٢/ ١١٧ ط مصر) وانظر الخلاف فى الذكور من أبنائه صلى الله عليه وسلم بكتاب (الاستيعاب ١ / ٥٠ ط نهضة مصر) وقال ابن حزم فى الجمهرة (١٤) : «وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الولد ، سوى إبراهيم : القاسم ، وآخر اختلف فى اسمه فقيل الطاهر ، وقيل الطيب ، وقيل عبد الله . . . ماتوا صغاراً جداً » ثم ذكر البنات الأربع ، رضى الله عنهن .

فوَقَفتُ عند «مُحمد» صلى الله عليه [وسلم] فقال : مَنْ هذا الأَتاويُّ؟[١] أى الغريب . فقالت له : هذا رجلٌ سأَلَ فيه فُلانٌ وفلانٌ - وسَمَّتْ جماعةً من الأَئمةِ الطاهرين - فقال : حتّى يُنظَرَ فى عمَلِه . فسأَلَ عن عمَلى فوجدَ فى الدّيوانِ الأَعظَم وقد خُتِمَ بالتوبةِ : فَشَفَعَ لى ، فأُذِنَ لى فى الدُّخول .

ولمَّا انصرَفت «الزهراءُ» عليها السلامُ ، تعلَّقتُ بِرِكابِ «إبراهيمَ» صلى الله عليه .

فلمّا خلصْتُ من تلك الطُّموشِ[٢] ، قيل لى : هذا الصِّراطُ فاعبُرْ عليه . فوَجدتُهُ خالياً لا عَرِيبَ عندَه ، فبلَوْتُ نفسى[٣] فى العُبورِ فوَجدتُنى لا أَستمسِكُ . فقالت «الزَّهراءُ» صلى الله عليها ، لجاريةٍ من جَوارِها : يا فُلانةُ أَجيزيه . فجعَلتْ تُمارِسُنى وأَنا أَتَساقَطُ عن يَمينٍ وشِمال ، فقلتُ : ياهذه ، إن أَرَدتِ سَلامتى فاستَعمِلى معى قولَ القائل فى الدار العاجلة :

سِتٌّ[٤] إن أَعْياكِ أَمْرى فاحْمِلِينى زَقَفُونَهْ[٥]

---

١ - الأتى والأتاوى : الغريب ، وأصله فى السيل ، يأتى من حيث لا يدرك . وقد ضبطت الأتاوى فى (نوادر أبى مسحل ١/٧) بالفتح والضم .

٢ - فى (الصحاح والتاج واللسان) : الطمش الناس ، جمعه طموش . فلعله يقصد الجموع والزحام . وقد أغفله (القاموس) فى مادة طمش ، لكنه أشار إليه فى طبش فقال : الطبش الناس ، كالطمش .

ويجح مصحح القاموس ، أن إغفال المادة ، ليس إلا من قلم ناسخ .

٣ - فى ش : [بلوت] بياء مثناة ، ولعله سهو من الناسخ .

٤ - فى (الصحاح) : ستى ، للمرأة ، أى يا ست جهاتى ، أو لحن ، والصواب سيدتى . وزاد فى (التاج) : كأنه كناية عن تملكه لها - هكذا تأوله « ابن الأنبارى » - أو هو لحن . كما فى (شفاء الغليل) ، عامية مبتذلة ، كذا قاله ، والصواب : سيدتى .

ويحتمل أن يكون فى الأصل : سيدتى ، فحذف بعض حروف الكلمة ، وله نظائر . والظاهر أن الحذف سماعى . انظر حاشية المصحح ، على القاموس .

٥ - يرى سير « تشارلس ليال » ، فى إشارة بعث بها إلى المستشرق « نيكلسون » ، أن هناك صلة بين زقفونة وبين الكلمة السريانية التى تقابل : Elevatus, spensus, crucified : ويقول نيكلسون معلقاً : إنها تؤدى تماماً ، المعنى المطلوب :

This gives exactly the meaning required : J. R.A.S., 1902, P. 80..

٢٦١

فقالت : وما زَقَفُونَه ؟ قلتُ : أنْ يَطرَحَ الإنسانُ يديهِ على كَتِفَى الآخَر ، ويُمسِكَ الحاملُ[1] بيديه ويَحمِلَهُ وبَطنُه إلى ظَهره : أما سمِعتِ قوْل «الجَحْجَلول*» من أهل «كَفْر طابَ**» ؟ :

صَلحَتْ حالَتِى إلى الخَلْفِ حتَّى ... صِرتُ أمْشى إلى الوَرَى زَقَفُونَه

فقالت[2] : ما سمعتُ بزَقَفُونَه ، ولا الجَحْجَلول ، ولا كَفْر طابَ ، إلا الساعةَ . فتَحمِلُنى وتجوزُ كالبرْقِ الخاطف . فلما جُزتُ ، قالت «الزَّهراءُ» عليها السلامُ : قد وهَبْنا لكَ هذه الجارية ؛ فخذْها كى تخدُمَكَ فى الجنان .

فلمَّا صِرتُ إلى بابِ الجنَّة ، قال لى «رضوانُ» : هل مَعكَ مِن جَواز ؟ فقلت : لا . فقال : لا سبيلَ لكَ[3] إلى الدخولِ إلَّا بهِ . فبَعِلتُ بالأمرِ[4] ، وعلى بابِ الجنَّةِ من داخل ، شَجرةُ صَفْصافٍ ، فقلتُ :أعطِنى ورَقة من هذه الصَّفْصافةِ حتى أرجعَ إلى الموقفِ فآخُذَ عليها جَوازًا . فقال :

---

١ – سقطت من ط .

٢ – علق «نيكلسون» على قول الجارية ، بأن جهله يساوى جهلها تقريباً ، فلم يسمع قط بالجحجلول ، ولا استطاع أن يجد خبراً عنه أو عن زقفونه .

٣ – سقطت من ط .

٤ – بعل يبعل بعلا ، كفرح : تحير فلم يدر ما يصنع فهو بعل ، وبعل بالأمر ، إذا عى به . وفى (نوادر أبى مسحل) : ويقال . . . بعل ، ودجر ، وارتج عليه ، وأقفل ، وأبهم ، وأفحم ، بمعنى واحد (١/٧٣) .

الأعلام

* – الجحجلول : لم نعثر عليه فيما بين أيدينا من مراجع ، ولعله شاعر مغمور فى عصر الغفران ، أو قبله .

** – كفرطاب : بلدة بين المعرة ومدينة حلب ، فى برية معطشة ليس لأهلها شرب إلا ما يجمعونه من ماء الأمطار فى الصهاريج ، كذلك عرفها «ياقوت» . وقال «البكرى» : هى من كفور الشام المشهورة .

(بلدان ياقوت ٤/٢٨٩ – معجم البكرى ٢/٤٧٩) .

لا أُخرِجُ شَيئاً من الجنَّةِ إلَّا بإذنٍ من العليِّ الأعلَى ، تَقدَّسَ وتَبارَك . فلمّا دَجِرْتُ[1] بالنازلةِ ، قلتُ : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعونَ ! لو أنَّ للأميرِ «أبي المُرَجّى*» خازناً مثلَكَ ، ما وصَلتُ أنا ولا غيري إلى قُرْقُوفٍ منْ خِزانتهِ - والقُرْقُوفُ : الدِّرهَمُ[2] .

والتفَتَ «إبراهيمُ» - صلى الله عليه - فرآني وقد تخلَّفتُ عنه ، فرجَعَ إليَّ فجذَبَني جَذْبةً حَصَّلَني بها في الجنَّة .

وكان مُقامي في المَوقفِ مُدَّةَ سِتَّةِ أشهُرٍ من شهورِ العاجلة ، فلذلك بَقِيَ عليَّ حِفظي ما نزَفتْه الأهوالُ ، ولا نَهكَه تدقيقُ الحساب .

* * *

فأيُّكم[3] «راعِي الإبل**» ؟ فيقولون : هذا . فيُسَلِّمُ عليه «الشيخُ» ويقولُ : أرجو أن لا أجِدَك مثلَ أصحابِك صِفْرًا من حِفظِكَ وعَرَبيَّتِك . فيقولُ : أرجُو ذلك فاسألْني ولا تُطِيلَنَّ . فيقولُ : أحَقٌّ ما روَى عنك «سِيبَوَيهِ***» في قصيدتِكَ (اللاميةِ) التي تمدَحُ بها «عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ****» من أنك تَنْصِبُ الجَماعَةَ في قولِك :

---

١ - دجر يدجر دجراً ، كفرح : حار ، سكر ، فهو دجر ودجران .

٢ - القرقف كجعفر ، والقرقوف كعصفور : الدرهم الأبيض ، وهو أيضاً الخمر .

٣ - عود إلى حديث الشيخ «ابن القارح» مع عوران قيس ، وهو الحديث الذى قطعه استطراداً بقصة الحشر ، انظر (صفحة ٢٤٨) .

الأعلام

* - الأمير أبو المرجى : لم نهتد إلى ترجمته فيما لدينا من مراجع ، وواضح من السياق ، أنه أحد الأمراء فى عصر أبى العلاء .

** - راعى الإبل ، عبيد بن الحصين النميرى : ص ٢٣٨ . بن عبد شمس القرشى (جمهرة الأنساب ٨١) .

*** - سيبويه : ١٦٢ .

**** - عبد الملك بن مروان : بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى (جمهرة الأنساب ٨١) ، أبو الوليد . ولد بالمدينة سنة ٢٦ فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، وتولى الخلافة سنة ٦٥ هـ وتوفى سنة ٨٦ هـ .

(الطبرى ٨ / ٥٧ - ابن الأثير ٤ / ١٩٨ - ٢ / ١١٣ ، وأعلام الصاهل والشاحج) .

أيَّامَ قَوْمى والجَماعةَ كالذى   لَزِمَ الرِّحالةَ أنْ تميل مميلا[1]

فيقول : حقٌ ذلك .

١ — البيت ، من قصيدة طويلة عدتها فى (الخزانة) تسعة وثمانون بيتاً ، قالها يمدح « عبد الملك بن مروان » ويشكو بعض عماله. ضبط البيت فى (طبقات الشعراء — صفحة ١١٨ ط أوربا) برفع أيام ، وجر الجماعة . وأنشده « سيبويه » بالنصب فيهما ، على تقدير إضمار الفعل .
(الخزانة ٣/١٣٠ ط السلفية) .

٤ - مأدبة فى الجنـــة

* * *

ويَبْدو له – أيَّدَ اللهُ مَجْدَه بالتأييد – أن يَصنعَ مأدُبةً[1] فى الجِنان ، يَجْمَعُ فيها مَن أمْكنَ من شُعَراء الخَضْرَمةِ والإسلام ، والذين أصَّلوا كلامَ العَرب ، وجعلوهُ محفوظاً فى الكُتُب ، وغيرَهم ممَّنْ يتأنَّس بقليلِ الأدَب . فيَخْطِرُ له أن تكونَ كمآدبِ الدارِ العاجلة ، إذْ كانَ البارئُ – جلَّتْ عَظَمتُه – لا يُعجزُه أن يَأتِيهَم بجميع الأغراض ، من غيرِ كُلْفةٍ ولا إبْطاء. [فُتنشأُ][2] أرْحاءٌ على الكَوثَرِ ، تُجَعْجِعُ لِطَحْنِ بُرٍّ مِن بُرِّ الجَنَّةِ ، وإنهُ لأفضَلُ من بُرِّ «الهُذَلىِّ*» الذى قال فيه :

لا دَرَّ دَرِّىَ إنْ أطعَمْتُ رائدَهم قِرْفَ الحَتِىِّ وعندى البُرُّ مكْنوزُ[3]

بمقدارٍ تَفضُلُ به السمواتُ الأرَضِينَ . فَيقتَرحُ – أمْضَى القادرُ له

---

١ – بضم الدال ، من الأدب – بالتسكين – أى الدعوة . أما المأدبة بفتح الدال ، فن التأديب انظر (نوادر أبى مسحل ١/٣٧) .

٢ – رسم الكلمة فى ك : [تنشاء] على عادته فى إفراد الهمزة . وكذلك رسمت فى ش . وفى ز : [فيتنشأ]، وفى ت ، ط : [تنشأ]. فانظر (ب : ٢٣ ، ل : ١٠٥)

وأرحاء ، وأرحية ، ورحى : جمع رحى ، بفتحتين : وهى الطاحونة .

٣ – فى ط : « لا در درى إن أطعمت رائدكم » والقرف : لحاء الشجر ، أو هو ما يتقشر من الخبز ويبقى فى التنور . – والحتى : سويق المقل ، وقيل رديئه ، وقيل يابسه .

والبيت للهذلى « المتنخل » من كلمة يتألم فيها من صاحبين له أضافاه ثم لم يكرماه – ورواية (ديوان الهذليين ٢/١٥) :

لا در درى إن أطعمت نازلكم قرف الحتى وعندى البر مكنوز

ومثلها رواية المبرد فى الكامل (رغبة الآمل :٦ / ٢٠٤) .

الأعلام

* – الهذلى : هو هنا المتنخل : مالك بن عويمر بن عثمان ، من بنى هذيل بن مدركة

انظر (جمهرة الأنساب ١٩٧ ، وديوان الهذليين ١/٣٧) .

اقتراحَه ــ أنْ تحضرَ بينَ يَدَيْه جَوارٍ من الحُورِ العِين ، يَعْتَمِلْنَ بأرْحاءِ اليَدِ : فرَحًى من دُرٍّ ورَحًى من عَسْجَدٍ وأرحاءٌ لم يَرَ أهلُ العاجلةِ شيئاً من شكل جَواهرِهن . فإذا نَظَرَ إليهن حَمِدَ اللهَ سبحانَه على ما مَنَح ؛ وذكَرَ قولَ الراجز :

أعْدَدتُ للضَّيْفِ وللجيران حَـــريتين تَتَعــاوَران[1]

لا تَرْأمان وهُمَا طِئْران

---

١ ــ كذا في المخطوطات . وقد غيرها « نيكلسين » إلى : [خريتين] بخاء معجمة ! وفي ط : [حوريتين] . والتعاور : التناوب ــ أما الحرية فلم نجد من معاني المادة ما يناسب المقام ، إذ الحرية الخليقة ، والحرا مبيض النعام ومأوى الظبي . ويمكن أن تكون حريتان هنا : مثنى حرية ، تصغير حراة وهي الجانب ، والشق ، والناحية ، ــ وقد نقلْناها عنا (ب ١٢٤) .

وقد يفرض ــ على بعد ــ أنهما رحيتان ؛ مثنى رحية ، مصغر رحى .

ورئم الشيء : أحبه وألفه ، ورئمت الناقة ولدها : عطفت عليه ــ والظئر : العاطفة على ولد غيرها والمرضعة له ، الجمع أظؤر وأظآر .

هذا ما انتهى إليه جهدي عند نشر الطبعة الأولى للغفران ، وقد تلقيت بعد نشره محاولات لبعض الزملاء الدارسين ، في توجيه لفظ حريتين :

(ا) فالأستاذ السيد محمد يوسف ، مدرس اللغة الأردية بجامعة القاهرة ، يؤثر أن تكون [جريتين] مثنى جريئة ، مصغر جرنة ، وهي الحجر المنقور لدق الحبوب كما في معجم Lane . وهي تطلق على أداة كالهاون ، من قطعتي حجر ، إحداهما منقورة ، والأخرى مخروطة . (مجلة الكتاب : يولية ١٩٥١) .

(ب) وذهب الأستاذ السيد أحمد صقر ، في محاضرة له ألقاها عن تحقيق لنص الغفران ، بآداب القاهرة عام ١٩٥١ ، إلى أن الكلمة محرفة عن [خدبتين] مثنى خدبة ، وهي الجارية الممتلئة القوية على العمل . قال : أراد الراجز أن يصف رحى اليد ، فسلك طريق الكناية والإلغاز باستعمال خدبتين ، ثم استدرك فقال إنهما لا ترأمان ولدا ، وهما مع ذلك ظئران تعطفان على الضيف والجيران . ولو كان يريد الحجر ، لكان قوله « لا ترأمان وهما ظئران » عبثاً لا معنى له ، فإن الحجر لا يرأم ولا يظأر .

وأقول : بل هذا هو أسلوبهم في الإلغاز البديعي .

(جـ) وعند الأستاذ أحمد راتب موسى النفاخ بدمشق ، أنها قد تكون [حريتين] مثنى حرية ؛ نسبة إلى الحرة وهي الأرض ذات الحجارة السوداء . ثم أضاف : أو لعل الكلمة إحدى غريبات أبي العلاء التي أشار إليها « النشاشيبي » في خطابه في مهرجان المعري فقال : « ولقد أصاب الشيخ وأطاب ، حين حاش في رسائله ودواوينه وكتبه الكلمات الغريبات ، فجمع نادرات شاردات ، لم نر كثيراً منهن في معجم من المعجمات . » اهـ . (مجلة الكتاب : يونية ١٩٥١) .

وأقول : ليس من المنهج أن نسرع بحكم الغرابة ، فكل ما جاء به أبو العلاء من ألفاظ تبدو لنا غريبة ، تولى هو نفسه شرح أكثرها ، والذي تركه منها بلا شرح ، عثرنا عليه في المعاجم ، إلا كلمات معدودات يحتمل فيها التصحيف .

(د) واحتمال رابع ذهب إليه الزميل « الدكتور مصطفى كامل الشيبي ، المدرس بآداب بغداد » في مقال نشره بصحيفة « البلد » العراقية بتاريخ ١٩٦٠/١٢/١ ، وقد رجح فيه أن تكون الكلمة ــ

يَصِفُ رَحى اليَد .

ويبتسم[١] إليهنّ ويقول : اطْحَنّ[٢] شَزْرًا وبَتًّا[٣] . فيقُلْنَ : ما شَزْرٌ وما بَتٌّ ؟ فيقولُ : الشَّزْرُ على أيمانِكُنّ ، والبَتُّ على شمائِلكنّ ، أما سَمِعْتُنّ قولَ القائِل ؟ :

ونُصْبِحُ بالغَداةِ أتَرَّ شَيْءٍ ونُمْسِى بالعَشِىِّ طَلَنْفَحِينا[٤]
ونَطحَنُ بالرَّحَى شَزْرًا وبَتًّا ولو نُعْطَى المغازِلَ ما عَيِينَا

ويقال : إنَّ هذا الشِّعرَ لرَجُل أُسِرَ فكتَب إلى قَوْمِه بذلك .

ويَجِسِ[٥] فى صدرِهِ – عَمَّرَه اللهُ بالسُّرورِ – أرحاءٌ تدورُ فيها البهائمُ ، فيَمْثُلُ بين يَدَيْه ما شاءَ اللهُ من البُيوتِ ، فيها أحجارٌ مِن جَواهِرِ الجَنَّةِ ، تُدِيرُ بَعضَها جِمالٌ تَسُومُ فى عِضَاهِ[٦] الفِرْدَوْس ، وأينُقٌ لا تَعطِفُ على الحِيرَانِ[٧] ، وصنُوفٌ من البِغالِ والبَقَرِ وبناتِ صَعْدَةَ[٨] . فإذا اجتَمَع من

--- [جريتين] بجيم معجمة ، بمعنى جاريتين تتبادلان خدمة القوم . والجرى فى معاجم اللغة : الوكيل أو الرسول يجرى فى حاجة مرسله أو موكله . وفى (اللسان) عن أبى حاتم : قد يقال للأنثى جرية ، وهى قليلة . وكذلك جاء فى (المصباح المنير) : « قيل للأمة جارية على التشبيه ، لجريها مستخرة فى أشغال مواليها » وليست بعيدة بهذا المعنى ، عن جرية ، مؤنث جرى .

وبعد هذا التحقيق المغنى ، جاء السيد نصر الله ، فجعل الكلمة فى المتن : [جريتين] وليست الأصل . وفسرها بأنثى الجرى ، أى الوكيل (ل : ١٠٥) !

١ – فى ط : [ويبتسم]. وجمعت ك بين الروايتين بوضع لفظ [معا] فوقها .
٢ – فى ط : [طحن] بصيغة الماضى . تصحيف .
٣ – يقال : طحن بالرحى شزرا ، وهو أن يذهب بالرحى عن يمين ، وطحن بتا ، عن يسار .
٤ – البيتان فى (تهذيب الألفاظ لابن السكيت : ٦٣٣) غير منسوبين لقائلهما وروايتهما فيه كرواية الغفران . وعزاهما (اللسان) إلى العجاج فى مادة (تر) . وإلى رجل من بنى الحرماز ، فى مادة (طلفح) . والبيت الثانى معزو فى (الصحاح : طلفح) إلى رجل من بنى الحرماز .

يقال : تر الرجل يتر ، ترا : سمن وامتلأ جسمه واسترخى – والطلنفح : الخالى الجوف .

٥ – فى ش [ييجس] ، وفى ز ، س ، ا : [يحس] بحاء مهملة .
يقال وجس يجس وجسا ، سمع حسا خفيا . والوجس : الصوت الخفى . والواجس : الهاجس .
٦ – سامت الماشية : خرجت إلى المرعى . والعضاه : كل شجر يعظم وله شوك . واحدته عضة وعضاهة .
٧ – حيران ، وأحورة : جمع حوار ، وهو ولد الناقة قبل أن يفصل عنها .
٨ – بنات صعدة ، بالفتح : حمر الوحش ، والنسبة إليها صاعدى ، على غير قياس .

الطَّحْنِ[1] ما يُظَنُّ أنه كافٍ للمَأْدُبَة ، تَفَرَّق خَدَمُه من الوِلدانِ المُخَلَّدِين فجاءُوا بالعَماريس – وهى الجِداءُ – وضروبِ الطيرِ التى جَرَت العادةُ بأَكْلِها : كأَبْجاجٍ[2] العَكارِمِ ، وجوازِلِ[3] الطواويس ، والسَّمينِ من دَجاجِ الرَّحْمَةِ وفراريج[4] الخُلْدِ . وسِيقَت البَقَرُ والغَنَمُ والإِبِلُ لتُعْتَبَطَ[5] ؛ فارتفع رُغاءُ العَكَرِ[6] ويُعارُ المَعَزِ[7] ، وثُؤاجُ الضَّأْنِ[8] ، وصِياحُ الدِّيَكَةِ ، لِبيانِ المُدْيَةِ . وذلك كُلُّه – بحمدِ اللهِ – لا أَلَمَ فيه ، وإنَّما هو جِدٌّ مِثلُ اللَّعِب ، فلا إلهَ إلا اللهُ الذى ابتَدَع خَلْقَه من غيرِ رَوِيَّة ، وصَوَّرَه بلا مِثال .

فإذا حَصَلَت[9] النُّحُوضُ فوقَ الأَوْفاض ، والأَوْفاضُ مِثلُ الأَوْضامِ[10] بلُغَة طَيِّئٍ ؛ قال – زاد اللهُ أَمرَه من النَّفاذِ : أَحْضِروا مَن فى الجَنَّةِ من الطُّهاةِ الساكنينَ بِـ «حَلَبَ» على مَمَرِّ الأزمان . فتَحضُرُ جماعةٌ كثيرةٌ ، فيأْمُرُهم

١ – الطحن بالكسر ، والطحين : الدقيق – والعمروس : الجدى ، قال « أبو بكر » : وعرب الشام يسمون الحمل عمروساً ، قال : وأحسبه روميا (المعرب ٢٢٣) .

٢ – فى : ش [أبجاج]وفى بقية النسخ : [أبجاج]جمع بج بالضم ، وهو فرخ الطائر كما فى (القاموس) . وقال « ابن دريد » فى (الجمهرة) : زعموا ذلك ولا أدرى ما صحتها – والعكرمة : الأنثى من الحمام .

٣ – الجوازل : جمع جوزل ، وهو فرخ الحمام أو الطاووس .

٤ – الفراريج : جمع فروج ، وهو فرخ الدجاجة بخاصة .

٥ – عبط الذبيحة يعبطها واعتبطها : نحرها وهى سمينة فتية لا علة فيها .

٦ – العكر ، بفتحتين : واحدته عكرة ، على مثال بلحة ، وهى القطعة من الإبل .

٧ – اليعار : صوت الغنم ، وقيل صوت المعزى ، وقيل هو الشديد من أصوات الشاة – وقد يعرت تيعر يعارا – صاحت .

٨ – الثؤاج : صياح الغنم ، وقد ثأجت أى صاحت .

٩ – فى ن : [جعلت النحوض] .
والنحوض ، والنحاض : جمع نحض وهو اللحم ، أو المكتنز منه ، ويقال : نحض نحاضة ، كثر لحمه ، فهو نحيض ومنحوض .

١٠ – الأوضام : جمع وضم ، خشبة الجزار التى يقطع عليها اللحم ، وهو أيضاً كل ما وقيت به اللحم عن الأرض ، من خشب أو حصير .

باتِّخاذِ الأطعمةِ ، وتلك لَذّةٌ يَهَبُها الله عزَّ سُلطانُه ، بدليلِ قولِهِ [تعالى] : «وفيها مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وأنتم فيها خالِدُون . وتلك الجَنّةُ التى أُورِثْتُمُوها بِمَا كنتُمْ تَعْمَلُونَ . لكُمْ فيها فاكِهَةٌ كثِيرَةٌ مِنها تَأْكُلون»[1] .

فإذا أَتَت الأطعِمةُ ، افترقَ غِلمانُه الذين كأنهم اللؤلؤُ المكنونُ ، لإحضارِ المَدْعُوِّينَ ، فلا يَتْرُكونَ فى الجَنّةِ شاعرًا إسلاميًّا ، ولا مُخضرمًا ، ولا عالِماً بشىءٍ من أصنافِ العلوم ، ولا مُتأدِّبًا ، إلا أحضَرُوه . فيَجْتَمِعُ بَجْدٌ عظيمٌ — والبَجْدُ : الخَلْقُ الكثيرُ ، قال الشاعر[2] :

تَطُوفُ البُجــودُ بأبْوابِه — من الضُّرِّ فى أزَماتِ السنينَا —

فتُوضَعُ الخُوْنُ[3] من الذَّهَبِ ، والفَوَاثِيرُ مِن اللُّجَيْنِ ، ويَجْلِسُ عليها الآكِلُونَ ، وتُنْقَلُ إليهم الصِّحافُ ، فتُقيمُ الصَّحْفَةُ لَدَيْهِم وهم يُصِيبونَ مما ضُمِّنَتْهُ ؛ كعُمْرِ كُوَىً وسُرَىً — وهما النَّسْرانِ مِن النُّجوم .

فإذا قَضَوا الأَرَبَ مِن الطعامِ ، جاءت السُّقاةُ بأصنافِ الأشرِبَةِ ، والمُسمِعاتُ بالأصواتِ المُطرِبَة .

• • •

ويقولُ — لا فَتِىءَ ناطقاً بالصوابِ — : عَلَيَّ بمَنْ فى الجَنّةِ من المُغَنِّين والمُغَنِّيات ، مِمَّنْ كان فى الدارِ العاجلة ، فَقُضِيَتْ له التَّوْبةُ . فتحْضُرُ جَماعةٌ كثيرةٌ من رجالٍ ونِساءٍ : فيهم «الغَرِيضُ*» ، و «مَعْبَدٌ**» ، و «ابْنُ

---

١ — من سورة الزخرف ، آيات ٧١ : ٧٣ .

٢ — عزاه « ابن السكيت » إلى كعب بن مالك . وروايته فى (التهذيب ٢٩) للشطر الأول :

• تلوذ البجود بأذرائنا • — والبجود : جمع بجد ، والبجد من الناس الجماعة ، ومن الخيل مائة وأكثر .

٣ — الخون : جمع خوان ، كغراب وكتاب ، وهو ما يؤكل عليه — والفواثير : جمع فاثور ، وهى الخوان من رخام ، والصينية من معدن .

الأعلام

* — الغريض : ص ٢١٣ .

** — معبد ، المغنى : ص ٢١٤ .

مِسْجَحٍ* » و «ابنُ سُرَيْجٍ** » ؛ إلى أن يَحْضُرَ «إبراهيمُ*** المَوْصِلِيُّ» وابنُهُ «إسحاقُ**** » . فيقولُ قائلٌ من الجماعةِ ، وقد رأى أسرابَ قِيانٍ قد حضَرْنَ مِثلَ : [بَصبصَ(1) *****] و «دنانيرَ******؟ » و «عِنانَ ******* » : مِن العَجَب أنَّ «الجَرَادتَيْن » فى أقاصِى الجَنَّةِ . فإذا سَمِع ذلك ـ لا بَرِحَ سَمْعُه مطروقاً بِما يُبْهِجُه ـ قال : لا بُدَّ من حضُورِهما .

---

١ ـ فى الأصل : [بعبيص] ومثلها فى ن ، ط ، س ، ا .
وفى ز [نصيص] وبما أثبتناه رواية ش ، وهى الصواب ؛ انظر ذيل الأعلام .

الأعلام

* ـ ابن مسجح : أبو عثمان ، سعيد بن مسجح ، مولى بنى جمح ؛ وقيل إنه مولى بنى نوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

مكى أسود ، من فحول المغنين وأكابرهم . نقل غناء الفرس إلى العرب ، ثم رحل إلى الشام وأخذ ألحان الروم . وهو الذى علم « ابن سريج والغريض » الغناء .
(أغانى الدار ٣/٢٧٦) .

** ـ ابن سريج ، المغنى ؛ ص ٢١٤ .

*** ـ إبراهيم الموصلى : أصله من فارس . من بيت شريف فى العجم ـ نزل أبوه « ميمون » بالكوفة فى بنى دارم ، وولد له بها إبراهيم سنة ١٢٥ هـ . وتوفى ببغداد سنة ١٨٨ هـ .

وإنما سمى الموصلى لأنه هرب إلى الموصل وهو فتى ، حين أنكر عليه ذووه طلبه للغناء . وقد أقام بها سنة ؛ فلما عاد قال له إخوانه من الفتيان : مرحباً بالموصلى .

كان كبير المغنين فى عصر الرشيد ، وكان مع الغناء كاتباً شاعراً خطيباً .
(الأغانى ٥/١٥٤ ـ ابن خلكان ١/١٣)

**** ـ إسحاق الموصلى : أبو محمد ، إسحق بن إبراهيم الموصلى ـ أخذ الأدب عن « الأصمعى » و « أبى عبيدة » وغيرهما ، وتعلم الغناء فغلب عليه ، ونسب إليه لبراعته فيه ، ولم يكن له فيه نظير . توفى سنة ٢٣٥ هـ فى خلافة الواثق . (الأغانى ٥ / ٢٦٨ ، نزهة الألبا ٢٢٧ ، وأعلام الصاهل والشاحج) .

***** ـ بصبص : جارية مولدة ، من مولدات البادية ، حلوة الوجه حسنة الغناء . كانت مولاة « ليحيى بن نفيس » ، وكان صاحب قيان يغشاه الأشراف ، ويسمون أغانى جواريه . وقيل إن « المهدى » اشتراها منه سراً وهو ولى عهد ، بمبلغ سبعة عشر ألف دينار . (أغانى بولاق ١٣/١١٤) .

****** ـ دنانير : مغنية محسنة « ليحيى بن خالد » ، اشتهرت بالجمال والظرف ، والأدب ورواية الشعر والغناء . (الأغانى ب : ١٦/١٣٦ ، ٥/٢٤٨) .

******* ـ عنان : جارية الناطفى . مغنية محسنة فى العصر العباسى . ولها شعر فى المدح والغزل .

انظر (الورقة ٣٩ ، الأغانى ب ١٠/١٠١ ـ الفهرست ١٦٤) .

فَيركَبُ بعضُ الخدَم ناقةً من نوقِ الجنَّة ، ويذهَبُ إليهما على بُعدِ مكانِهما ، فَتُقبلان على نَجيبَيْنِ أسرعَ من البَرْقِ اللامع . فإذا حَصَلتا فى المَجلِس ، حيَّاهُما وبَشَّ[1] بهما وقال : كيف خلَصْتُما إلى دارِ الرحمةِ بعد ما خبَطتُما فى الضَّلال ؟ فتقولان : قُدِرَتْ لنا التَّوْبةُ ومُتْنا على دينِ الأنبياء المُرْسَلين[2] فيقول : أحسَن اللهُ إليكما ، أسمِعانا شيئاً من (القصيدةِ الحائيةِ) التى تُرْوَى لِ «عبيدٍ» مَرَّةً ولِ «أوْسٍ» أُخرى[3] — وما سَمِعتَا قَطُّ بعَبيدٍ ، ولا أوْسٍ — فتُلْهَمانِ أن تُغَنِّيا بالمطلوبِ ، فتُلَحِّنان :

وَدِّعْ لَميسَ وداعَ الوَامِقِ اللاحِي ... قد فنَّكتْ فى فَسادٍ بعد إصلاحِ[4]

---

١ — رسم الكلمة فى الأصل يشتبه بكلمة [بشر] لامتداد قوس الشين وقد اختلفت النسخ فى الرواية ، فى ش : [بش بهما] وفى ز ، ت ، ط : [بشر بهما].

يقال بش للشىء إذا أقبل عليه وفرح به . وبش بالصديق : سر به . وفى كتاب الإبدال : البشاشة والهشاشة انطلاق الوجه بالبشر (١/٨٨) .

٢ — فى ت ، ط : [الأنبياء والمرسلين].

٣ — القصيدة الحائية مروية فى (ديوان عبيد ط لندن ص ٧٥) وقد رويت فى (شعراء الجاهلية - النصرانية : ٤٩٣) منسوبة إلى أوس بن حجر وانظر (سمط اللآلى ١/٤٣٩) . وفى (التاج واللسان) استشهاد بأبيات منها فى مواد متفرقة ، لعبيد « عن الجوهرى » ولأوس « عن ابن قتيبة » وقال فى (التاج ، مادة أسف) بعد استشهاده ببيت من الحائية : هكذا رواه اللسان على الشك ، وهو موجود فى ديوانيهما . واستشهد « أبو الطيب اللغوى » فى كتاب الإبدال ببيت منها مصدراً بعبارة : قال أوس بن حجر أو عبيد بن الأبرص (١/٤٩١) .

والقصيدة فى رواية (الديوان) تختلف عن رواية (الغفران) فى ترتيب الأبيات .

٤ — الوامق : المحب ، ومقه يمقه مقة ومقا : أحبه — واللاحى : اللائم — وفنك فى الأمر فنوكاً : لج فيه وألح ، وفنك فى الشر تفنيكاً : لج فيه كذلك .

الأعلام

• — عبيدة ، بن الأبرص : ص ١٨٢ .

• • — أوس : بن حجر بن عتاب الأسدى التميمى (جمهرة الأنساب ٢٠٠) كان فحل مضر حتى نشأ « النابغة و زهير » فأخملاه ووضعه ابن سلام فى أول شعراء الطبقة الثانية ، وكان من أوصف الشعراء للقوس ، والسحاب ، وقد سبق إلى دقيق المعانى فيهما .

انظر مع ديوانه : (الشعر والشعراء ٩٩ ، الموشح للمرزبانى ٦٣ ، أغانى بولاق ١٠ / ٦ ، وشعراء الصاهل والشاحج) .

إذ تَشْتَبِكُ بِمَصْقُولٍ عوارِضُهُ ... حَمْشِ اللثاتِ عِذابٍ غيرِ مِملاحِ [١]

كأنَّ رِيقَتَها بعدَ الكَرَى اغتبقَتْ ... مِن ماءِ أدكَنَ فى الحانوتِ نضَّاحِ [٢]

ومِن مُشَعْشَعةٍ وَرْهـاءَ نَشْوَتُها ... ومِن أنابيبِ رُمَّـانٍ وتُفَّاحِ [٣]

هَبَّت تلوم ؛ وليست ساعةَ اللاحِى ... هَلَّا انتظرتِ بهذا اللومِ إصْباحى!!

قاتلَها اللهُ ؛ تَلْحانى وقد عَلِمَت ... أنّى لِنفسِىَ إفسادى وإصلاحى [٤]

إنْ أشْرَبِ الخمرَ أو أُرْزَأْ لها ثَمنًا ... فلا مَحـالةَ يَوْمًا أنَّنى صاحِ [٥]

ولا مَحالةَ مِن قَبرٍ بِمَحْنِيَـةٍ ... أو فى مَلِيعٍ كظَهْرِ التُّرْسِ وَضَّاحِ [٦]

فتُطْرِبانِ مَن سَمِع ، وتَستفِزَّان الأفئدةَ بالسُّرور . ويكثرُ حمدُ اللهِ – سُبحانَه – كما أنعَم على المؤمنين والتائبين . وخَلَّصَهم من دارِ الشِّقْوَة إلى مَحَلِّ النِّعم .

ويَعْرِضُ له – أدامَ اللهُ الجَمالَ ببقائهِ – الشَّوقُ إلى نَظَرِ سَحابٍ كالسحابِ الذى وصَفه قائلُ هذه القصيدةِ فى قولِه :

إنِّى أَرِقْتُ ولم تَأْرَقْ معى صاحِ ... لِمُسْتَكِفٍّ بُعَيْدَ النَّومِ لَمَّـاحِ [٧]

---

١ – لثة حمشة : قليلة اللحم ، وهو يستحسن .

٢ – اغتبق الخمر : شربها عشيا ، واغتبق أيضاً : شرب الغبوق ، وهو خمر العشى .

٣ – الورهاء : الحمقاء .

٤ – هنا تبدأ القصيدة فى (الديوان – ط لندن) .

٥ – بعده فى الديوان :

كان الشباب يلهينا ويعجبنا ... فما وهبنا ولا بعنا بأرباح

٦ – يروى الشطر الثانى فى (الديوان) :

• وكفن كسراة الثور وضاح •

المحنية والمحنوة والمحناة : منعطف الوادى – والترس : صفحة من الفولاذ تقى من السيف ونحوه ، وهو أيضاً قرص الشمس .

٧ – لم يرد هذا البيت فى (ديوان عبيد) . ورواه أبو على القالى فى أماليه لعبيد :

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه ... فى عارض كمضىء الصبح لماح

وانظر (سمط اللآلىء : ١/٤٣٩) .

قد نمتَ عنى ، وباتَ البرقُ يُسهِرُنى ... كما استضاءَ يَهُودِىٌّ بِمصبَاحِ[1]

تَهدِى الجَنوبُ بـأُولاهُ وناءَ به ... أعجازُ مُزْنٍ يَسُوقُ الماءَ دَلَّاحِ[2]

كأَنَّ رَيِّقَهُ لَمـا عَلاَ شُطَباً ... أَقْرابُ أَبْلَقَ يَنْفِى الخيْلَ رَمَّاحِ[3]

كأَنَّ فِيه عِشَارًا جِلَّةً شُرُفاً ... عُوذًا مَطافيلَ قَد هَمَّتْ بِإرْشَاحِ[4]

دَانٍ مُسِفٌّ فُوَيقَ الأَرضِ هَيْدَبُه ... يكادُ يَدْفَعُه مَنْ قام بالراحِ[5]

فمَن بِنَجْوَتِه ، كمَنْ بِعَقْوَتِهِ ... وَالمُسْتَكِنُّ : كمَنْ يَمْشى بقِرْواحِ[6]

وأَصبَح الرَّوْضُ والقِيعانُ مُمْرِعَةً ... ما بَينَ مُنْفَتِقٍ منهُ ومُنْصاحِ[7]

فيُنشِئُ اللهُ ـ تَعالتْ آلاؤهُ ـ سَحابةً كأَحسَنِ ما يكونُ من السُّحُب مَنْ نَظَرَ إليها شَهِد أنّه لم يَرَ قطُّ شيئاً أَحسنَ منها . مُحَلاَّةً بالبَرْقِ فى وَسَطِها وأَطرافِها . تُمْطِرُ بماءِ وَرْدِ الجَنَّةِ مِن طَلٍّ وطَشٍّ ، وتَنثُرُ حَصى الكافورِ كأنه صِغارُ البَرَدِ ، فَعَزَّ إلهُنا القديمُ الذي لا يُعْجِزُه تصويرُ الأَمانىِّ وتكوينُ الهواجِسِ من الظُّنُون

* * *

١ ، ٢ ـ البيت الأول « قد نمت عنى » أضيف بهامش ك ، واختلفت النسخ فى ترتيبه مع ما بعده : وضعه ش بعد البيت [تهدى]وجاءت به النسخ الأخرى قبله . ثم جىء به فى (ب ١٢٩ ، ل ١٠٩) . على ترتيبنا ونسقنا فى الذخائر !

والمزن : القطع من السحاب أو ذو الماء منه ـ ودلاح : مثقل بمائه ، من دلح يدلح دلوحاً ، مشى بحمله منقبض الخطو لثقله عليه .

٣ ـ الريق من كل شىء : أوله وأفضله ـ والشطب والشطيب ككتف وكأمير ، جبل . وبه فسر (اللسان) البيت ـ والأبلق : ما كان فى لونه سواد وبياض .

٤ ـ العشار : جمع عشراء ، وهى التى أتى على حملها عشرة أشهر ـ والجلة : المسنة ـ والشرف : الكبار .

٥ ـ المسف : الشديد الدنو من الأرض ـ والهيدب : ما تدلى منه .

٦ ـ فى (شعراء النصرانية ٤٩٣/٤) : « فمن بمقدته » : ورواية (الديوان وكتاب الإبدال ٤٩١/٢) مثل (النفران) .

النجوة : ما ارتفع من الأرض ـ والعقوة : الساحة ـ والقرواح : الهضبة الملساء الجرداء .

٧ ـ (رواية الديوان) : « من بين مرتفق منه ومنطاح » .

القيعان : جمع قاع وهو الأرض السهلة انفرجت عنها الجبال والآكام ـ والمنفتق : المنفرج والمنصاح : المنشق ـ والمنصاح : السائل .

ويَلتَفِتُ فإذا بِ «جِرَانِ العَوْدِ النُّمَيرِىِّ*» فَيُحيِّيهِ ويُرَحِّبُ بهِ . ويقولُ لبعضِ القِيانِ : أَسْمِعينا قولَ هذا المُحسِن :

حَمَلْنَ جِرانَ العَوْدِ حتى وضَعْنه ... بِعَلياءَ فى أرْجائها الجِنُّ تَعْزِفُ[1]

وأَحْــرَزْن مِنَّا كلَّ حُجْزَةِ مِئْزَرٍ ... لَهُنَّ ، وَطاحَ النَّوْفَلِىُّ المُزَخْرَفُ[2]

وقُلْنَ : تَمَتَّعْ ليلةَ النَّأْيِ هذهِ ... فإنَّكَ مَرجومٌ غَدًا أو مُسَيَّفُ[3]

– وهذا البيت يُروَى لِ «سُحَيمٍ**» – فتُصيبُ تلك القَيْنَةُ وتُجيدُ . فإذا عَجِبَت الجَماعةُ من إحسانها وإصابَتِها قالت : أتَدْرُونَ مَنْ أنا ؟ فيقولون : لا واللهِ المحمودِ ! فتقول : أنا «أُمُّ عَمرٍو» [التى][4] يقولُ فيها القائلُ :

---

١ – الأبيات من فائيته التى مطلعها :

ذكرت الصبا فانهلت العين تذرف ... وراجعك الشوق الذى كنت تعرف

(الديوان صفحة ١٣ : ٢٤ ط دار الكتب)

٢ ، ٣ – وضع البيت الأول فى (الديوان) بعد الثانى .

وقد روى البيت الثانى فى ش ، س ، ز ، ت ، ا : « وقلن تمتع ليلة النأس هذه » وهذا تصحيف لعل أصله أن الياء فى (ك) تشتبه بالسين .

طاح : سقط – والنوفل : شىء من الحلى تديره النساء على رؤوسهن تحت الخمار – والرجم : اللعنة والرمى بالحجارة ، والدفن – والمسيف : المضروب بالسيف .

٤ – فى الأصل والمخطوطات : [الذى] ، وبهامش ش : [التى] مصوبة بقلم الشيخ . فانظر (ب : ١٣١ ، ل : ١١١) .

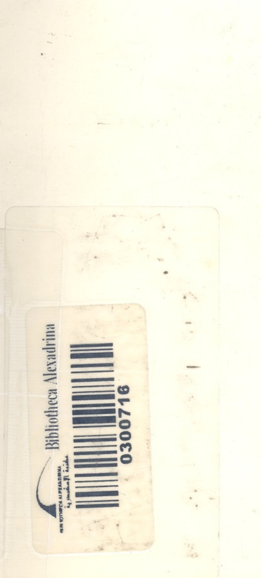
الأعلام

* – جران العود : النميرى ، عامر بن الحارث ، اختلفوا فى زمنه ، فقيل جاهلى ، وقيل أموى. وجران العود لقب له ، مأخوذ من قوله ، يخاطب امرأتيه :

خذا حذراً يا جنتى فإننى ... رأيت جران العود قد كاد يصلح

يريد سوطاً قده من صدر جمل مسن . وانظر معه البيت ٤٤ من أول قصائده فى الديوان . (الشعر والشعراء ٤٠٠ ، ديوانه ط دار الكتب ، وشعراء الصاهل والشاحج ، ودائرة المعارف الإسلامية) .

** سحيم ، عبد بنى الحسحاس : ١٣٤


Bibliotheca Alexandrina
0300716